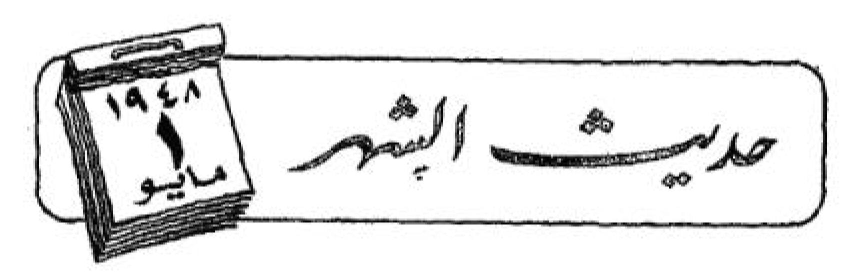


تحذير

تمر مصر ، ويمر الشرق معها ، فى فترة من اخطر فترات الزمان ، وهى فترة محنة وامتحان ، ولا يدرى احد اليوم عن اى شيء يتمخض الغد ، الغد القريب لا الغد البعيد ، ففي السحب القاتمة المتجمعة احتمالات ، وفى الافق تنبؤات وتخرصات ، ورب تنبؤ حبيب كذب ، ورب تخرص كريه صدق ، وقد تزيد الامور حرجا فيفتح الصاحي فى الصباح عينه وهو لا يدرى على اى شيء يفتحها ، على شيء تعوده ، هو به قليل الرضا ، ام على شيء باغت داهم هو به اقل رضا ، بل به الفجيعة فى نفسه واهله وعشيرته وامته

فهذا الوقت العصيب ، الذى تمر به مصر والشرق ، يجب ان يتريث فيه كل لسان قبل ان يقول ، ويتريث كل قلم قبل ان يكتب ، وتتمهل كل يد قبل ان تعمل ، وتتردد الرجل كثيرا قبل أن تخطو ، فقد تخطو فلا تلبث ان تتحرق فى جمر مستعر

ومن الناس من تعجبهم النار اذ تلتهب ، يعجبهم منها بياض وحرة ، وتعجبهم منها السنة هوجاء ، لها مع الريح فحيح ، ولها مما تأكله من الاشياء أوار ، وتزيدهم اعجابا فيزيدونها حطبا ، ثم يصيبهم منها الشرر ، أو يقذفهم الريح منها بلسان ، فلا يلبثون ان يصيروا لها حطبا

حراس الامن

فى الشهر الماضى أضرب حراس الامن لأول مرة . وماكاد الاضراب يبدأ يومه الاول حتى اضطرب الامن أشد اضطراب فى عاصمة البلاد الثانية . وجاء هذا فى اعقاب ذلك ، حتى كانه كان منه على ميعاد . وحدثت احداث فى الاسكندرية لا يمكن ان يفهمها ، ولا نقول يبررها ، عقل عاقل . كانت أحداثا بلا غرض . كرب البيت غاب عن بيته ساعة ، فقام الاطفال الى ملابسهم يمزقونها ، والى مائدة الطعام يحطمونها ، والى النوافذ والابواب يخلعونها ويحرقونها . فالذى جرى فى تلك المدينة العظيمة لا يمت الى اضراب البوليس بسبب ، ولا تربطه بمطالب رجاله رابطة

ان من شأن الجماهير اذا تكوكبت فقدت ارادتها ، وذابت ارادة الفرد العاقل فى ارادة الساعة التى تهيمن ، كائنة هذه ما كانت ، وعندئذ يستطيع الاشرار القليلون ان يقودوا الاخيار

الكثيرين الى كل موبقة ، كما يقود الطفل الضئيل البعير الضخم من خطامه

وهذا الذى حدث ، على قبحه ، حدث مثله فى غير مصر من بلاد لها حظوظ أكثر من مدنية ، واقساط أكثر من ثقافة . واذكر بالذات انجلترا . فمنذ ربع قرن او يزيد ، اضرب البوليس فى مدينة ليفربول بضع ساعات ، كانت المخازن فى اثنائها نهبا للجمهور . واذكر انه كان من خطورة هذا الحادث ان حرم اضراب البوليس بقانون ، ووقف رئيس الوزراء المشهور ، لويد جورج ، من رجال الامن الذين اضربوا موقفا قاسيا ، فلم يأذن لاحد منهم ان يعود ، باعتبار ان الذى أتوه جريمة فى حق الوطن لا تغتفر

الهند

جاء مصر اول سفير للهند ، او ان شئت فللهندستان البوذية . وعلى الرغم من خصومتها القائمة للباكستان الاسلامية ، أو لعله بسببها ، قد اختارته مسلما . وفى هذا معنى للمجاملة جيل . ونحن نود ان ننظر له على انه مجاملة للباكستان اولا ، ثم لمصر ثانيا . فالباكستان والهندستان شقان لدولة لا بد أن تكون واحدة ، ان فرقتهما ظروف الحاضر ، فسوف تضطرهما الى التجمع والتكتل ظروف المستقبل

أن الهند ، بشقيها ، بلد عظيم شتيت ، بلغ تعداده عام ١٩٤١ ، ٣٨٩ مليون نسمة ، ليس فيهم من يعرف القراءة والكتابة غير ٤٦ مليون نسمة ، اى ان الكاتبين القارئين يبلغون نحو ١٢ ٪ والقراءة والكتابة ادنى مراتب الثقافة . فاذا شئت ان تبحث عن سبب ما بين الدولتين من خصومة ، بل عن سبب ما اضطرهما من الخوف والذعر والريبة الى ان تصيرا دولتين ، والى ما اكتنف خلق الدولتين من دماء اسيلت ، وحريات أهدرت ، فانت واجد سبب هذا كله فى هذه الـ ١٢ ٪ انه الجهل يدعو الى ضيق الذهن ، وضيق الصدر ، وهو الذى يجعل العاطفة تنطق وتعمل بينما يخرس العقل ، وهو الذى يخلق الريبة حيث لا ريبة ، ويبذر بذور الخوف حيث لا خوف ، وهو الذى يجعل من صلة الناس بالله أداة لكراهة الناس ، والتعصب لهم وعليهم ، والتنكيل ببعض والحدب على بعض ، وما كانت هذه الصلة بالله الا لتجمع عليها الامم على محبة الله عبادا صالحين

ان الدولتين ، على رغم تفاصلهما ، لا تزالان مختلطتين الى حد بعيد . ففى الهندستان لا يزال يوجد اربعون مليونا من المسلمين . وفى الباكستان بضعة ملايين من البوذيين . وهذه القلة ، فى هذه الدولة أو تلك ، سلامتها ، بل رفاهيتها ، موكولة الى ذمة الكثرة . وستجد الدولتان ، فى حسن رعاية هذه القلة ، مجالا للتنافس بينهما ، فى العدل والكرم والاحسان ، تنافسا يمهد بلا شك

الطريق الى نوع وثيق من الاتحاد ان لم تكن الوحدة

ان الشرق العربى ، والشرق الاسلامى ، يهمه صفاء الدولتين وتعاونهما ولو على افتراق. فهما دولتان شرقيتان ، لهما عادات الشرق ولهما مزاجه ، ولهما فى ضياع الحرية تاريخه ، ولهما فى حلبات الامم كبوته . وهما مثله اليوم نهوضا من كبوة ، واعدادا للنهضة ، وجنوحا الى امل . ولهذه الوحدة فى الامزجة والآمال يستطيع الشرق الموحد ان تجمعهما به وحدة أكبر واوسع، تشمل السياسة والتجارة والصناعة، وتشمل كذلك الثقافة، وتؤلف منهم معا جبهة فى الشرق والجنوب الشرقى من آسيا تواجه سائر الجبهات ، فى سلام ان كان سلام ، وحرب ان كانت حرب

كفر سعد

لقد اصبح كفر سعد فى مصر علما على ما يجب أن تعمله الدولة لتتفادى ما يمكن أن يهدد كيانها من تقويض. فلقد قامت الحكومة، بارشاد مولانا الملك ومن وراء حفزه ، بتوزيع بضعة آلاف فدان على فقراء الزارعين . وليست هذه أول مرة توزع الحكومة الارض على من لا ارض له ، ولكن الجديد فى الذى حدث ان الحكومة فرقت بالمجان ارضا بعد اصلاحها. وهى لم تصلحها فحسب ، بل جعلت من هذه الارض قرية ، تربطها منافع، وتخدمها وحدات. وجعلت او تجعل فى كل قطعة بيتا ، واعطت او تعطى لكل رجل بهيمة ، تعطى له من جهدها . كما تعطى من لبنها

وكل هذا جديد اهتدت له الحكومة بعد أن تبينت ان الزارع الذى لا مال له ، من العبث تمليكه ارضا يحتاج اصلاحها الى المال الكثير ، بينا هو لايملك قوت يومه

ولقد حاربت الحكومة فى تلك السياسة ضغطا ثقل عليها من كبار المالكين ، لتكون هذه الارض لهم، بحجة أنهم وحدهم القادرون على اصلاح ونفقة . لقد خيبت الحكومة حجتهم بقيامها هى بالاصلاح ونفقاته ، بل وبتزويد العامل بمقومات العيش حتى تجود الارض الطيبة الخيرة وتربو

وفى شمال الدلتا ما بين المليون من الافدنة والمليونين لم تصلح بعد . فيجب أن تبقى هذه وقفا على الفقراء ، فتقام عليها كفور لسعد وكفور . والذى تنفقه الدولة فى فتح ابواب الرزق لبنيها لا ينال خيره اصحاب هذه الارزاق وحدهم ، فهو واصل خيره الى الامة بزيادة الثروة فيها ، وواصل خيره الى ذوى النعمة الكثيرة بتأمين ما فى يدهم منها

ان لكل عصر روحا لا تغلب . وروح هذا العصر ان لا اخذ الا مع اعطاء ، ولا امن الا فى اراحة الجميع . والفقراء لا يطلبون الا الرزق الحلال، والفرص المواتية ، على العمل الذى يحفظ على الرجل مروءته ، لا على الاحسان الذى يهدر من الرجل كرامته

قصر النيل

وقفت مع ضابط غير عظيم ، نتأمل هذا القصر المشرف على النيل ، قصر النيل . فقلت : لشد ما كان الفرح عظيما عند اخلائه. فقال : وسوف يكون الامل عظيما كذلك عند امتلائه . ونظرت اليه ممعنا فقال : ان هذا القصر بقيامه هذا ، وبسعته هذه ، وبوقوعه في قلب العاصمة هكذا ، وبتاريخه الذي كان ، سوف يكون دائما مصدر اغراء للذين تركوه ان يعودوا . وهذه هي الحرب الثالثة تنذر بالوقوع ، وهذه هي المعاهدة ، معاهدة الصداقة ، معاهدة ١٩٣٦ ، لا تزال قائمة . وانت تدرى بأى شيء تقضي . واول ما سوف تقضي به ظهور تلك الوجوه الحمر في هذه النوافذ مرة اخرى

والحق انى لا ادرى ما الذى اخر اولى الامر عن ان يمحوا عن وجه الارض ذكرى تندى لها جباه الناس . ان الامر لا يحتاج الى بناء ، ولا يحتاج الى انشاء ، وانما يحتاج الى الهدم . فهل نحن مترددون حتى في هدم ، عاجزون حتى عن هدم

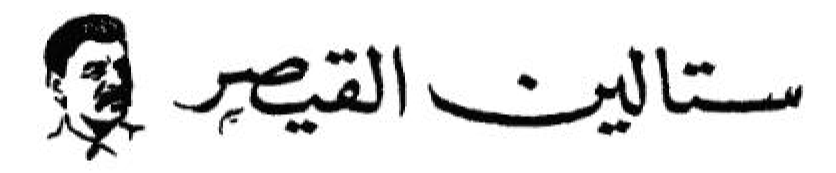
وتلك المساحات العظيمة حول القصر ، ما تركها هكذا تشكو الفراغ ، وتجعل الناس يحسبون انها لا تفعل الا ان تزيد عليهم الشقة في النقلة من جانب من الميدان الى جانب

قالوا لقد اختلفت المصالح على بنائها ، وان الزمن كفيل بالتوفيق. ولكن ما هذا بالعصر الذى يأذن للأمور أن تترك حبالها على غاربها. وان كان سيكون حسم غدا ، فلم لا يكون اليوم ؟

وقالوا ان البناء غالى الثمن اليوم ، وسيرخص غدا ، وما هو براخص غدا ، وانما هى تعلة الذى لا يريد أن يحسم ، ولا يود لأمر ما أن يحزم . وكيف يمنع اولو الامر انفسهم من البناء ، ويأذنون للشركات أن تبنى ليستأجروا منها البيوت بأثمان مضاعفة

●

ان القاهرة عاصمة الشرق ، وهي عاصمة قارة من قارات الارض الخمس ، فيحق لها ، بل يجب عليها ان تحتل مكانتها بين المدن النابهة في حسن العمارة والذوق والجمال . والقاهرة ليس بها مواقع كثيرة يشار اليها بالبنان ، فيقال هنا جمال ، وهنا فخامة وهنا ذوق .. وميدان اسماعيل جدير بآمال اسماعيل التى كانت ، وهو يعطى الفرصة لابناء النيل أن يثبتوا للنيل ، ان دماءهم لا يزال يجري فيها حب العمارة الذى كان لآبائهم ، وحب الفن واتقان الصنعة . وانهم جديرون ، ان محوا للنيل قصرا ، أن يبنوا له قصورا ، سامقة شامخة ، تتراءى أخيلتها في مائه مجلوة كما تتراءى في المرآة اخيلة العرائس من النساء



بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

> انك لا تسمع الآن فى روسيا باسم من أسماء أقطاب الشيوعية الأولين ، بل لا تسمع باسم واحد من أسماء القادة الذين كسبوا معارك الحرب العالمية فى الميادين . . فليس هناك إلا ستالين . . ستالين القيصر الذى لا يبقى على منافس ، ولا يقف أمام سلطانه سلطان !

من المشاهدات المتكـررة ان التعصب للعقيـدة الشيوعيـة يقترن كثيرا بتشـويه فى الخلق ، أو بعقـدة نفسـية . وقد يقترن بالغرضين معا فى معظم الاحيان

وليس ستالين بالاستثناء لهذه القـاعدة العـامة . بل هو من شواهد تأيدها من جوانب عدة ، يرجع بعضها الى الوراثة وتركيب البنية ، ويرجع بعضها الى النشأة البيتيـة ، ويرجع بعضهـا الى النشأة الاقليمية ، ثم الى النشأة فى البلاد الروسية على العموم

مات لأبويه ثلاثة اطفال قبـل مولده ، وهى ظـاهرة تدل على شىء فى بنية ابويه ، وقد يكون الاب على الاكثر هو مصـدر العلة فى توريث ابنائه الضعف وسـوء التركيب . لانه كان يدمن الخمر على عادة ابناء صناعته فى روسيا الوسطى وروسيا الجنوبية . فقد كان ابوه اسكافا وهم يقولون هنـاك فى أمثالهم : « أشرب من اسكاف »

وولد ستـالين ملتصق الاصابع فى قدميـه ، مصـابا بالهـزال فى ذراعه اليسرى Cachexia وهى من عوارض الوراثة فى ابناء المعاقرين للخمور الرديئـة على الخصوص . وقد ذكر ذلك سـوفارين Souvarine مترجمه باللغة الفرنسية ، وشفع كلامه برأى الاطباء المختصين فى امثال هذه الولادة

واصيب بالجـدرى وهو فى السابعة من عمره . فلم يعالج على اصول العلاج العلمى الصحيح ، وترك المرض فى بنيته ما يعقبـه هذا المرض عادة من العقابيل مع سوء العلاج

*

ومات ابوه وهـو فى الحـادية

عشرة»، وكان قبل موته قلما يلقاه فى البيت الا ليضربه أو يعنفه لهربه من التعلم فى دكانه . فنشأ الصبى على العادات المألوفة فى « الطفل الوحيد » أو الطفل الذى يخرج الى الدنيا بين الافراط من قسوة ابيه والافراط من تدليل امه . فمضى يركب رأسه ويصر على هواه ، وفصل من المدرسة الدينية التى الحقته امه بها لتخرجه قسيسا وترتفع به من طبقة الاجراء . . وكان سبب فصله قلة الأمل فى نجاحه

ومن المعلوم أن ستالين نشأ فى بلاد الكرج ، وهى بلاد مقهورة تكثر فيها الثورات على حكامها الروسيين . فلم يكن أقرب اليه من طبيعة الحنق والثورة ، وقد سمى فى صباه كوبا Koba على اسم بطل من ابطال الجبال فى قصة وضعها شاعر من شعراء الاقليم . لان ستالين كان يتشبه بكوبا هذا ، ويتخذه مثلا له فى البطولة وشدة المراس

❋

واتفق ان المصانع الكبرى – كمصانع البترول والمنجنيز – بدأت فى روسيا الجنوبية ، وكان لمدائن باكو وباتوم وتفليس نصيب كبير منها ، بين المدائن التى كان يتردد عليها ستالين ويلتمس فيها أسباب المعاش

فعرف الاضراب والدعوة الى الثورة بين عمال الاقليم وهو فى طفولته الباكرة ، واجتمعت عوامل الوراثة وعوامل البيت وعوامل الوطن وعوامل الاقليم وصناعات الاقليم على تمكين النقمة فى طبيعته ، وتوجيهه الى الدعوة التى عكف عليها مدى الحياة

قال زميله «ارما شفيلى» : انه لم يره فى صباه يبكى قط ، وانه لم يكن يعرف غير السخرية والعبث بشكايات زملائه الصغار

وما يقال عن صباه يقال عن فتوته ، ويقال عن كهولته وعن سائر ايامه . فلم يكن العطف بينه وبين الناس صفة من الصفات التى اشتهر بها فى حادثة واحدة من حوادثه الكثيرة . بل كان على نقيض ذلك يقدم على اعمال يأباها الشيوعيون أنفسهم ، ولا سيما فى ايام الدعوة ومحاولة التأثير فى الجماهير

فقد كان زعماء الشيوعيين من الروس يحذرون اتباعهم من استباحة الاموال الخاصة أو العامة وان احتاجوا الى المال . لانهم كانوا يريدون أن يتمثلوا للجماهير فى صورة لا يحتقرونها ولا ينفرون منها ، وكانوا يودون أن يلقوا فى روعها انهم يخرجون على القوانين لانهم طلاب دعوة لا لانهم يستبيحون العدوان ويستحلون الاموال

ولكن ستالين لم يكن يحفل بنصيحة الزعماء حيثما سنحت له الفرصة لمخالفتها ، فاشترك فى الهجوم المسلح على قافلة من القوزاق كانوا ينقلون مبلغا ضخما من المال فى شوارع تفليس ، فمات ثلاثة من الحرس وجرح نحو خمسين منهم ومن المارة فى الطريق . ولم

ينتفع الحزب بالمال المأخوذ، وكان يزيد على ثلاثمائة واربعين الف روبل. لان صرف الاوراق الكبيرة من طريق التهريب والاختلاس مستحيل داخل البلاد الروسية. ولما ارسلت الاوراق الى الخارج كانت المصارف الاوربية قد تلقت بيانا عنها من الحكومة الروسية، فقبض الشرطة على الذين تقدموا بها الى تلك المصارف، وكانت جنايتها على الحزب ورؤسائه أعظم من جدواها

هذه امثلة من أصول العقد النفسية التى اشتملت عليها طبيعة ستالين، وهى فى دلالتها الخلقية لا تمنع ما اتصف به من الحيلة والمثابرة والاصرار والفطنة الى الفرصة السانحة فى الشؤون العملية. فهى صفات توجد فى جميع الطبائع، وتمتزج بجميع الاخلاق

*

لم يقل أحد من ذوى الرأى ان ستالين رجل عظيم، او رجل عبقرى، ولكنهم اتفقوا على انه رجل يستخدم الفرص ويستفيد من المواقف، ويصبر فى سبيل غرضه، ويحسن الحيلة فى طلب النجاح من مواطن الخلاف والنزاع

فلم يكن ستالين قط بين زعماء الرأى فى الحركة الشيوعية، ولم يكن أحد منهم يعتمد عليه فى وضع الخطط وتقرير القواعد وتفصيل النظريات، ولكنهم كانوا يعتمدون عليه فى الاعمال التى تحتاج الى الدأب والحيلة والتنفيذ. فلم يكن يذكر فى تاريخ الحركة الاولى بين رؤوسها المعدودين. وانما ارتفع شأنه بعد أن تم التأسيس وجاء دور التنفيذ والاستفادة من الظروف

ويخطر على البال هنا سؤال لا بد منه فى هذا المقام وفى كل مقام مثله، وهو كثير التكرار فى ابان الثورات

كيف اذن تغلب ستالين على خصومه، واستأثر بالامر فى الهيئات الشيوعية العليا ؟

والسؤال ليس فى حقيقته من المشكلات. لان تغلب الاوساط على الممتازين فى امثال هذه الظروف أمر مطرد ومألوف

ان الممتازين يتركون اعمال الادارة والتنفيذ لمن يصبرون عليها ويطيقون تكاليفها، وقد كان ستالين جليدا على العمل، ولم يكن مخيفا ولا محسودا بامتيازه على أقرانه، فوكلوا اليه من أجل ذلك وظيفة السكرتارية فى الحزب، وقبل هو هذه الوظيفة كل القبول لانه لم يكن يطمع فى الظهور من طريق غير طريقها

وفى كل مجتمع من الزعماء والنظراء مجال للتنافس والخلاف. فاستعان ستالين بالحيلة على التقرب من فريق بعد فريق من اعضاء الهيئات الاولى، واستعان به كل فريق على خدمته فى الاعمال الادارية أو التنفيذية الموكولة اليه. فاغتنم الفرصة السانحة لجمع الانصار من حوله، وبث الموظفين من هؤلاء الانصار فى وظائف

الحكومة الكبرى ، ولم ينس الوظائف الصغيرة التي ينتفع بأصحابها في أوقات الأزمات

*

وقد كان من الجائز ان هذا كله لا يرتفع به الى هذه القمة لولا المصادفة التي لا تندر في تاريخ الامم ولا في تاريخ الزعماء

فجاءت المصادفة المطلوبة في الوقت المطلوب ، وشل الزعيم الاكبر « لنين » فعجز عن العمل وانقطع ما بينه وبين الزعماء واداة الحكومة بغير وساطة ستالين . وشغل الزعماء المتازون بالتنافس بينهم ولم يشغل ستالين عن غرضه الذي استعد له ووضعه نصب عينيه

ثم تنبه « لنين » للخطر بعد فوات الأوان ، فاقترح عزل ستالين من وظيفة السكرتارية ، ولم يعمل أحد بهذا الاقتراح لان « لنين » في ذلك الوقت كان قد عجز عن الحركة ، بل عجز عن الكلام

ولما مات لنين كانت مصادفة اخرى قد خدمت ستالين كأنما جاءته على ميعاد . فمرض تروتسكي قبل ذلك وسافر الى الجنوب ليستشفي من داء الصدر وغيره من العلل المضنية ، وبلغه هناك ان موعد الجنازة قد ارجىء الى يوم قريب ، فوصل الى العاصمة بعد تشييع الجثمان ، وتفقده الشعب في الجنازة فانكروا غيابه ، وتم لخصومه ومنافسيه ما بيتوا النية عليه

فخير ما يوصف به ستالين انه رجل دؤوب متيقظ للفرص ، خبير بمنافذ الحيطة في الشؤون العملية، لا يثير المنافسة قبل تمكنه من السلطان، ولا يبقى على منافس بعد التمكن من سلطانه ، فلا يزال به حتى ينحيه عن سبيله قبل أن يبلغ من المكانة مبلغا يخشاه

*

وآية ذلك انك لا تسمع الآن في روسيا باسم واحد من أسماء أقطاب الشيوعية الاولين ، بل لا تسمع باسم واحد من اسماء القادة الذين صمدوا للالمان وكسبوا معارك الحرب العالمية في الميادين الروسية، وحسبك ان تعلم هذا لتعلم الوسائل التي تم بها كل هذا ، وتعلم أن سكرتيرا في حزب لن يستطيع ما استطاع بغير الحيلة الخفية والتدبيرات السرية ، لان سكرتير الحزب لا يملك من سلطان القانون ما ينازل به كل هؤلاء المنافسين

واذا وضعنا ستالين في الميزان، فالعبرة من وزنه أن الملكات الوسطى قد ترجح على الملكات العليا عند المقابلة بين الكفتين ، لان العبرة بالاخلاط التي تضاف اليهما فتثقل بها كفة الاوساط وتخف بها كفة المتازين . ولو خلت الكفتان من هذه الاخلاط لما كان هناك من شك في ناحية الرجحان من كفتي الميزان

عباس محمود العقاد

روسيا التي عرفتها

بقلم الأستاذ ميخائيل نعيمة

دخلت روسيا طالبا عام ١٩٠٦، وانا فى السابعة عشرة من عمري. وخرجت منها عام ١٩١١ . فما دار فى خلدي يوم دخلتها اننى داخل جوف بركان ، ولا يوم تركتها ان ذلك البركان سينفجر انفجاره الهائل بعد سبعة اعوام لا أكثر ، فيسجل التاريخ افول آخر دولة استبدادية وبزوغ اول دولة اشتراكية فى العالم

مر على مغادرتي بلاد الصقالبة سبعة وثلاثون عاما ، وانا كلما ذكرتها فكما يذكر الولد البار اباه او أمه . او كما يذكر من سار فى فدفد قاحل ، عابس ، خيلة غناء نبتت له بغتة خلف كثيب من الكثبان فتفيأ ظلالها ، وبرد لظاه بسلسبيلها ، ومتع ناظريه بخضرتها ، وتزود منها نشاطا وجمالا ، ثم مضى فى سبيله

*

لقد احببت روسيا . اجل ، احببتها « لأول نظرة » . وما كان حبى لها نتيجة لعرفان جميل اولشعور بأنى مدين لها بما تعلمته فى مدارسها . فقد نسيت ، او تناسيت، جل ماعلمتنيه المدارس من روسية وغير روسية . ولكننى ما نسيت ولن انسى بلادا هى روسيا وشعبا هو الشعب الروسى .

أقام الكاتب خمس سنوات فى روسيا قبل الثورة الشيوعية . وهو يقدم هنا صورة مصغرة لما كان عليه الشعب الروسى فى ذلك الحين

وما أدرى اى شيء فى تلك البلاد صادف ابعد الهوى فى نفسى ، فكان له مثل فعل السحر فى فكرى وقلبى وروحى

من الاكيد أن ذلك « الشيء » ما كان امرا بسيطا تسهل الدلالة عليه بأصبع أو ببرهان . بل كان مركبا من عناصر كثيرة ، بعضها حسي وبعضها معنوى . ومن اهم عناصره الحسية ذلك المدى اللامتناهي الذى يجعل المسافر فى روسيا يشعر كما لو كان فى بلاد تتاخم الازل والابد . وهو غير المدى الذى يحسه المسافر فى الصحراء . فالمدى الصحراوى، طال أم قصر ، مدى جاف ، ساحق ، غدار ، جياش بالمخاوف والاخيلة المزعجة . اذا انبسط فيه النظر انكمش القلب ، او انطلق فيه الخيال انحبست النفس . فى حين ان المدى الذى احسسته فى روسيا ، وبالاخص

فى منطقة « اوكرانيا » حيث كنت أدرس ، كان مدى يفيض بالفتنة للعين ، وبالانس للقلب ، وبالغواية للخيال . فيه الحقول السخية ، والمروج الخضر ، والغابات البكر ، والانهر الدفاقة ، والسماوات الرفيقة — لا هى فى الصيف صفائح من النحاس المحمي ، ولا هى فى الشتاء قباب من الجليد . وأنت اذ تحس ذلك المدى السحرى فى بلاد الروس ، تحس ما يماثله فى الشعب الذى استوطن تلك البلاد . اللهم ان تيسر لك ، مثلما تيسر لى ، أن تملك لغته ، وأن تقف على تاريخه ، وان تؤاكله وتشاربه ، أو كما يقولون فى روسيا ، ان « تمالحه وتخابزه » ، فتفهم مشكلاته ، وتتغلغل فى نفسيته ، فلا تفوتك معتقداته وخرافاته ، وطقوسه وعاداته ، ولا تخفى عليك مواطن ضعفه وقوته . واذ ذاك فانت لا تملك نفسك عن حبه .

لم يمض على وجودى فى روسيا غير بضعة أشهر ، حتى فارقنى ذلك الشعور الذى يلازم الاجنبى فى بلاد ليست بلاده — شعور الغريب بين قوم غير قومه . ذلك لأن الذين حللت بينهم ما لبثوا ان انتزعوا منى ذلك الشعور بما فى طبيعتهم من لطف وصدق وبساطة وعطف على الغريب . فلا ادعاء ، ولا صلف ، ولا خبث ، ولا تكتم .. بل قلوب مفتوحة واكف مبسوطة

*

ليس الكلام عن اى شعب من الشعوب بالأمر السهل مهما يحاول المتكلم الانصاف والدقة . فما من صفة اتصف بها شعب كله . فهى قد تنطبق على فئة منه دون فئة ، فتصدق هنا ولا تصدق هنالك . وانا اذ أكلمك عن الشعب الروسى لا اريدك ان تفهم انى اكلمك عن كل روسى فى روسيا . بل جل ما استطيعه هو تبيان بعض الصفات العامة التى خبرتها بنفسى فى ذلك الشعب . فان انا قلت لك ان الشعب الروسى شعب صبور ، وديع ، نقى الطوية ، انسانى النزعة ، وانه الى ذلك شعب مؤمن وتقى ، فلست أعنى ان كل عامل أو عالم او تاجر أو سياسى فى روسيا هو كذلك

*

لقد هالنى ، فى جملة ما هالنى ، من الشعب الروسى وقتئذ ، انه كان مصنفا بالتشريع لا بالتقاليد طبقات طبقات . اسفلها طبقة الفلاحين والعمال ، واعلاها طبقة الاشراف . وهذه الاخيرة كانت تماشيها فى النفوذ طبقة الجندية العالية وطبقة الكبار من رجال الدين . وقد كانت طبقة الفلاحين والعمال تستهوينى وتسحرنى على قدر ما كانت الطبقات العليا تثير نفورى واشمئزازى . فما مر بى فلاح ورفع لى قبعته احتراما وحيانى بقوله : صباحا سعيدا يا « بادن » « اى ياسيد » الا انقبض قلبى ، وانكسر جفنى ، وصعد دم الخجل الى وجهى . ولا مررت يوما من أيام الصيف بحقل انتشر فيه الحاصدون

والحاصـدات ورأيت أجسامهم تحنى وتستقيم ، ووجوههم تستحم بالعرق ، ثم سمعت أصواتهم تتماوج مع الزرع بأغان موقعة أحسن التوقيع ، الا تهللت روحى، وضحكت عيناى، وباركت نفسى الزرع والزارعين والحصاد والحاصدين . ولا أبصرت عاملا يحمل عدة عمله على كتفه ، واذ يمر بكنيسة يقف بخشوع ويرسم على وجهه علامة الصليب ويمضى فى طريقه ، الا تخشعت لخشوعه وأكبرت قلبه العامر بالايمان

*

كنت اشعر ان الفلاحين والعمال فى روسيا يحملون على ظهورهم واكتافهم جميع بطاح روسيا وجبالها ، ويحملون فوقها اوزار طبقتهم واوزار بقية الطبقات . فلا يرزحون ولا يئنون ولا يندى لهم بالدمع جفن . انه لصبر ولا صبر أيوب . وانها لصلابة ولا صلابة الصوان . وانه لايمان يعدل بأتى ولا ايمان ابرهيم . لا . ما عرفت من كل ما عرفت من شعوب الارض شعبا يتحمل المضض والحرمان وشظف العيش بمثل الصلابة والثبات والايمان التى يتحملها بها الفلاح الروسى. ولا عرفت فلاحا امتزج بالتربة التى يعمل فيها وشابهها حتى صار بعضا منها ، الى حدما امتزج الفلاح الروسى بتربته وشابهها . فهو قطعة منها . وهو منبسط مثلها . لا خبث فيه ولا التواء . وهو غنى بالمواهب المكنونة فيه على قدر ما تربته غنية بقوة الخصب والخيرات الدفينة فيها

أما الطبقة الوسطى فى روسيا ـ أو ما يدعونه البورجوازية ـ فكانت همزة الوصل بين الطبقات السفلى والعليا ، تستمد من تلك وهذه . فلا عجب أن تكون فيها محاسن الاثنين ومساوئهما . ثم لا عجب أن تكون أرهف حسا من طبقة الاشراف بحاجات الطبقة السفلى وشكاواها وآمالها. وهذه الطبقة البورجوازية كانت بمثابة ميزان الحرارة وميزان الطقس فى البلاد

ان خف الضغط من أعلى أو من اسفل كانت البورجوازية فى سكينة وسلام . وان اشتد الضغط وانذر الجو بالعواصف ، والحرارة بالحمى ، مشت خلف الستائر فى البيوت البورجوازية همسات ووشوشات : وكانت مؤتمرات وكانت حركات

*

لقد كان الضغط على أخفه بعيد الثورة التى عقبت الحرب مع اليابان . ولكن ما لبث ان اخذ يشتد رويدا رويدا اذ راحت الحكومة القيصرية تسترد بقوة الشرطة الحريات القليلة التى كانت منحتها البلاد . فعاد التذمر ، ولكن خلف الابواب . وكان على اشده بين شبيبة المدارس . ولا بد لى من الشهادة بأن الشبيبة الروسية التى عرفتها كانت شبيبة تؤثر الجد على الهزل ، والعمل على اللهو ، والتفكير المستقل على الانجراف مع التيار . فما أكثر ما كنا نخوض موضوعات تكسرت

عليها امواج الفلسفة جيلا بعد جيل . وما اكثر ما كنا نتجادل فى امور ادبية فناخذ فى تحليل هـذه الرواية او تلك لمشاهير الروائيين من روسيين وغيرهم ، متناولين بالبحث اتفه حوادث الرواية واجلها ، واهم اشخاصها واقلهم اهمية . وفى ساعات اللهو كانت تبرز الآلات الموسيقية ما بين قيثار وكمان ومندولين ، او ترتجل الاجواق الغنائية ، او يدور الرقص الكلاسيكي والوطنى والروسى ، وبالاخص اهل اوكرانيا ، فانهم مولعون بالموسيقى ولهم اغان شعبية خلابة ، غنية بالالحان والالوان والعواطف ، وضروب من الرقص غاية فى اتزان الحـركة وسرعتها وخفتها . وللرقص والغناء الروسيين شهرة عالمية

*

لا اعنى ان حياة الشبيبة الروسية كانت كلها حياة جد وتفكير وخلق فنى ، وانها كانت طـاهـرة من الطيش والعبث والمنكرات . واية شبيبة لا تدفع جزية للطيش والعبث والمنكرات؟ ولـكننى اريد القول ان المجارى العميقة فى حياة الشبيبة الروسية كانت مجارى ترمى الى اهـداف بعيدة .. واجل تلك الاهـداف وابعـدها ، كانت الحرية لوطنهم وللعـالم اجمع . فالادب الروسى الذي ادهش العالم بقوته وصدقه وعمقه ما كان ادبا روسيا لاغير . بل انه تخطى حدود بلاده شرقا وغربا وشمالا وجنوبا . فكان ادبا انسانيا شـاملا . وذلك الادب هو الحادى الاول الذى كانت الشبيبة الروسية تصغى الى حدائه وتسير على هديه

*

هـذه صـورة مصغرة جدا لروسيا التى عرفتها فاحببتها . وقد احببت منها مداها الحسى والمعنوى ، واحببت شعبها لأنه شعب انسانى ، مثـالى ، ولأنه شعب مؤمن تقى . وما ايمانه غير جانب من مثاليتـه . والادب الروسى ان حفل بشيء فبالمثاليين تتحطم مثـاليتهم على صخور الواقع القاسية .. فلا يقنطون ، وعن الكفاح لا يكفون . وما الثورة الهاصرة التى قام بها الروس فى الزمان الاخير الا انتفاضة جبار صبر على الحيـف دهرا فنفـد صبره وراح يطلب لنفسه وللعالم انصافا وحرية وسلاما . اما ان الثورة حاولت ان ترفع الحيف بالحيف ، فذلك شأن الثورات على مر الدهـور . وهـو موطن من مواطن الضعف فيها

لا شك فى ان الثورة قد بدلت كثيرا فى حياة روسيا المـادية والسياسية والاجتماعية . حتى ان من عرفها مثلى قبيل الحرب العالمية الاولى لا يكاد يعرفها بعيد الحرب الثانية . فهى تنتقل انتقالا خاطفا من بلاد زراعية متأخرة الى بلاد صناعية من الطراز الحديث . وانا ما ازال اذكر كيف كنا لثلاثة عقـود خلت اذا تحدثنـا عن الاختراعات والمخترعين فى العالم ، لا نجد اختراعا روسيا واحدا نباهى به الا « السامو فار » ! . .

أما اليوم ففى روسيا مشروعات كهربائيـة وهندسـية ومصانع ضخمة ليس لها نظير فى العالم . ويقال ان الأمية قد امحت منها تماما

وإذا صح ما نسمعه ونقرؤه من ان الثورة قد حلت مشكلة القوميات والديانات والبطالة حلا لاقيام لها بعده ، فمن الاكيد أنها اتت بما يشبـه المعجزة . اذ ان تلك المشكلات الثلاث ما تزال اعقد مشكلات العالم واعصاها واخصبها فى اثارة القلق والتنافس والخصام والتباغض بين الناس . وفى اعتقادى ان الحكم للثورة او عليها من هـذا القبيل سابق لاوانه . فما هى المرة الاولى ـ ولا الاخيرة ـ ثار فيهـا شعب على الحيف والفقر والاستبداد ثم افاق من سكراته فاذا به لا يتمتع بالعدل والبحبوحة والحرية التى كان ينشد . واذا بالحيـف قد تردى رداء جديدا ، وبالفقر قد انتقل من الجيب الى القلب او من جيب الى جيب ، واذا بالاستبداد قد وجد له مراعى غير مراعيـه القديمة

تأتى الثـورات وتمضى . اما الشعوب فتبقى. وتزلزل الارض زلزالها ، فتغيب معالم وتبـدو معالم. اما التراب فيبقى ترابا ، ويبقى الصخر صخرا . والماس لا يتحول صـوانا ، ولا الزعرور يصبح سنديانا

ميخائيل نعيمة

الحياة افضل

دخل الوليد بن عبد الملك المسجد مرة ، فرأى شيخا هد كيانه الزمن واحنى ظهره الكبر ، فاقترب منه وقال له مداعبا :

ـ الا تؤثر الموت يا شيخ ؟

قال الرجل :

ـ لا يا أمير المؤمنين .. لقد ذهب الشباب وشره ، واتى الكبر وخيره . وانا اذا قمت الآن حمـدت الله ، واذا قعدت ذكرته . واحب أن تدوم لى هاتان الخلتان

عقبة كؤود

شكت ام الدرداء الى زوجها الحاجة والعوز .. فقال لها :

ـ اصبرى ، فان امامنا عقبة كؤودا ، لا يجوزها الا اخف الناس حملا من متاع الدنيا

روسيا الحمراء في سطور..

• يشغل الاتحاد السوفيتي نصف أوربا وثلث آسيا . وتبلغ مساحته ٢٢ مليون كيلو متر مربع ، أى نحو ثلاثة اضعاف مساحة الولايات المتحدة الامريكية وطول اراضيه من الغرب الى الشرق نحوعشرة آلاف كيلومتر، ومن الشمال الى الجنوب نحو خمسة آلاف كيلومتر، تتمثل فيها جميع المناطق الاقليمية ما عدا المنطقة الاستوائية

• يتألف الاتحاد السوفيتي من ست عشرة جمهورية ، يبلغ عددسكانها ـ حسب احصاء عام ١٩٣٩ ـ ١٨٦ر٤٦٧ر١٧٠ نسمة وهى تضم ما يربو على ستين امة كبيرة

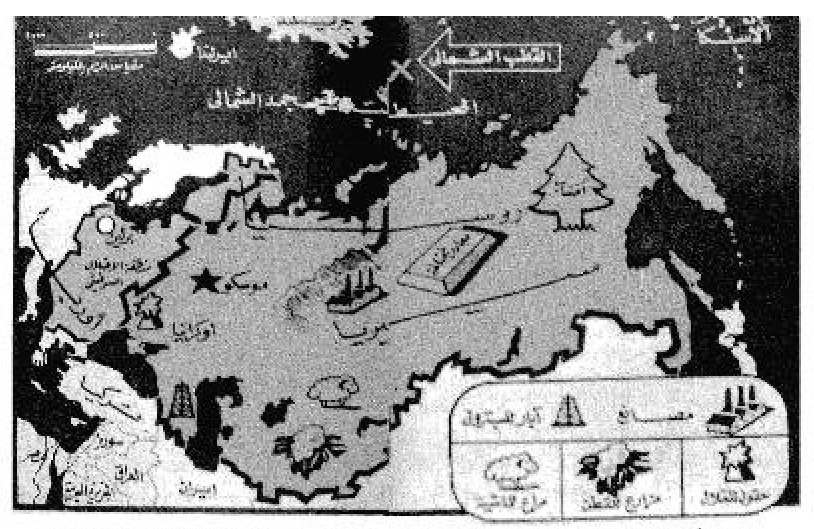
• يختلف توزيع السكان على اراضى الاتحاد السوفيتي اختلافا كبيرا . فبينما يبلغ متوسط كثافة السكان نحوثمانية اشخاص للكيلومتر المربع ، نرى أن نصيب الكيلومتر فى المناطق الجنوبية والمناطق الوسطى من القسم الاوربى يزيد على مائة شخص. وتشتد كثافة السكان بوجه خاص فى وديان القوقاز والمناطق الصناعية فى الاورال

• يقيم فى الريف الروسى نحو ثلثى السكان ويشتغلون بالزراعةورعاية الاغنام والماشيه. والثلث الباقى يشتغل بالصناعة والتعدين وغيرهما من المهن . ولا يستطيع الفلاح الروسى الخروج من المزرعة التى يعمل فيها ، كما انه لا يستطيع أن يغير حرفته او أن ينتقل من بلدته

• تعد روسيا من اغنى بلدان العالم من ناحية الموارد الطبيعية، فهى الرابعة فى انتاج الفحم ، والثانية او الثالثة فى انتاج الحديد والنيكل ، والثالثة فى انتاج البترول . وبها غابات تبلغ مساحتها نحو ٥٠٠ر٣ الف ميل مربع ، يصدر من اخشابها قدر كبير لكثير من البلدان

• ليس الفرد فى روسيا مجبرا قانونا على العمل . ولكن بطاقة التموين ـ التى لا يستطيع المرء أن يعيش هناك بدونها ـ لا تعطى الا لمن يعمل. فمن لا يعمل هناك لا يأكل . ولذلك ليس فى روسيا من لا يشتغل ، لا زوج ولا زوجة ولا ابن راشد ولا ابنة راشدة

• تعمل الزوجات فى المزارع والمصانع مع الرجال جنبا الى جنب ، وقد انشئت الوف من دور الحضانة ، تعنى بالاطفال اثناء تغيب أمهاتهم عن البيت .



... روسيا من أغنى بلدان العالم من ناحية الموارد الطبيعية . . وتوضح هذه الخريطة المناطق التي تكثر بها المناجم والمصانع وآبار البترول ومزارع القطن والغلال والغابات

وتعطى الام علاوة الشد العمل لفترات راحة قصار ، ليتسنى لها ارضاع طفلها . ويدفع الآباء والامهات لا بد من ايرادهم مقابل ايداع اطفالهم في هذه الدور

التعليم اجبارى في روسيا ابتداء من سن السابعة . وجميع المدارس الروسية : الروضة والابتدائية والثانوية والعالية ، تحت اشراف الحكومة . وهي في جميع هذه المراحل تسعى الى تكوين مبادىء الشيوعية في نفوس الاطفال منذ صغرهم وتعويدهم تمجيد زعمائها . ومن الاناشيد الذائعة بين الاطفال ما ترجمته :

« لينين العظيم مهد الطريق امامنا

« وستالين بث فينا روح الوئام للامة

« وتغلغل فينا حب الكفاح والتطلع الى أعمال البطولة »

● لذلك كان أكثر الكتب ذيوعا في الاتحاد السوفياتي هي مؤلفات لينين وستالين . وقد طبع من مؤلفات لينين في السنوات العشرين الاخيرة نحو ١٢٠ مليون نسخة ، وطبعت مؤلفات ستالين أكثر من ١٦ مرة



• بالرغم من اعادة افتتاح الكنائس والجوامع فى السنوات الاخيرة ، فانه لا عبرة للشرائع الدينية اذا تعارضت مع القوانين المدنية. فاذا كانت القوانين تجيز زواج شابين ، فزواجهما شرعى ولو تنافى ذلك مع قواعد الدين الذى يعتنقانه ، وكذا فى حالات الطلاق وغيرها من الحالات الشخصية

• الخدمة فى الجيش اجبارية للجميع .. وتتراوح مدتها بين عامين وخمسة أعوام. ويستخلص من الاحصاءات الرسمية ، ان قوات روسيا المسلحة كانت نحو ١٥ مليون جندى فى منتصف عام ١٩٤٥ .. سرح منهم عشرة ملايين فى اواخر اغسطس ١٩٤٦

• تؤجر الحكومة المساكن للأهالى مقابل ٢ ٪ من الدخل . وهى تراعى عند التأجير عدد أفراد كل عائلة . ويستطيع أصحاب الدخل الكبير ان يبنوا لانفسهم بيوتا اذا شاءوا ، وانما بشرط أن تكون لسكنهم الخاص.. اذ لا يحق للفرد منهم ان يستغل بيته أو يستأجره

• فى اول كل عام ترسل وزارة العمل لمديرى المصانع تقارير بمقادير الانتاج المطلوبة منهم . وللمدير الحق فى مراجعة الوزارة ، اذا راى ان القدر المطلوب منه اكبر من طاقته . ولكن اذا زاد الانتاج آخر العام عن القدر المطلوب منح المصنع جائزة مالية توزع على العمال والمهندسين ، كل حسب استحقاقه ، هذا عدا اجورهم الثابتة

• المزارع التعاونية الشائعة فى روسيا ، هى مساحات كبيرة من الاراضى الزراعية ، يتعاون فى فلاحتها عدد من المزارعين بوساطة الآلات وباستخدام أحدث الاساليب الزراعية التى تهيئها لهم الحكومة. ولكل فلاح بالمزرعة منزل خاص تحوطه قطعة ارض له الحرية فى استغلالها كيف يشاء. وبكل مزرعة تعاونية مستوصف ودار للسينما ومكتبة وجهاز للراديو

• يحق للفرد ان يتقاعد فى سن الخامسة والخمسين. والحكومة تمنحه عندئذ « معاشا » دائما ولكنه اذا رغب فى مواصلة العمل زيد « معاشه » . وباستثناء العجزة والمعتلين ، فانه ليس ثمة من يترك عمله فى هذه السن

• جميع الاطباء موظفون فى الدولة ، يتقاضون اجورا شهرية حسب كفايتهم واهمية عملهم ومكانتهم العلمية .. ويشتغل بالطب عدد كبير من الجنس اللطيف

• فى كل حى وكل مزرعة وكل مصنع مستشفى صغير يعمل فيه طبيب او اكثر ، يلجأ اليهم المريض ، فاذا عجز اطباء هذا المستشفى الفرعى عن علاجه ، احيل الى احد الاخصائيين

نظام الحكم فى روسيا السوفيتية

بقلم الدكتور أمير بقطر

كانت نواة النظام الحالى فى روسيا جمعيات سرية نظمها العمال الديمقراطيون الاشتراكيون سنة ١٨٩٨. وكان اعضاؤها يجتمعون فى كهوف وأوكار سرية، يتناقشون فى مبادىء كارل ماركس وفردريك انجلز

ومن هذه الجمعيات السرية تألف حزب الثورة الاشتراكية سنة ١٩٠٠، وكان من أهم اغراضه مصادرة أملاك الاشراف وتقسيمها بين صغار الفلاحين. ومن هذا الحزب تفرع حزب آخر اطلق عليه اسم «الحزب الديمقراطى الدستورى»، سنة ١٩٠٥. وكانت الجمعيات السرية تتألف من قسمين، البولشفيك أى الاغلبية، والمنشفيك أى الاقلية، وكان لينين رئيس الاغلبية

كانت كل هذه الهيئات ترمى الى هدف واحد، هو القضاء على «الاوتقراطية القيصرية»، ولكنها اختلفت فيما بينها على النظام. فالديمقراطيون الاشتراكيون — وهم الذين اطلق عليهم اسم الشيوعيين فيما بعد — ارادوا ان يتقلد زمام الحكم عمال المدن. والثوار الاشتراكيون ارادوا أن تستولى الحكومة على الاملاك وتوزعها على صغار الفلاحين. أما الديمقراطيون الدستوريون، فكان من رأيهم ان يكون نظام الحكم على غرار النظم الدستورية فى بريطانيا وفرنسا

وفى خلال الثورة الاولى التى قامت سنة ١٩٠٥، كان هناك فريقان: فريق من نواب العمال السوفيت وزعيمه «تروتسكى»، والثانى من ممثلى العمال الديمقراطيين الاشتراكيين، أو البلشفيك، وزعيمه «لينين». ولم يكن كل من اسمى «لينين» و«تروتسكى» الا اسما مستعارا، خوفا من القبض على صاحبه اذا عرف. ثم قامت الحكومة القيصرية بحملة شعواء، قتل فيها من قتل، وسجن ونفى فيها من سجن ونفى. فهرب تروتسكى الى عدة بلدان فى أوربا، ثم الى أميركا، ثم الى المكسيك حيث مات قتلا. وهرب لينين الى سويسرا وبعض بلدان أوربا، حيث طفق يدبر حركته الاشتراكية خارج وطنه. وقد بلغ نشاطه القمة فى منفاه سنة ١٩١٩، حينما أسس

حركة العمال الدولية الثالثة وجعل مركزها موسكو

ثم اندفع لهب الثورة الروسية الثانية سنة ١٩١٧ ، وقبض فى ١٥ مارس منها على « نقولا الثانى » قيصر روسيا مع افراد أسرته ، ونفوا الى سيبريا . وفى ذلك الحين عاد لينين من سويسرا بعد ان مر بالمانيا والسويد ، تحميه حكومة المانيا. وعاد كذلك تروتسكى من امريكا . وتحت قيادة الزعيمين فى سنة ١٩١٨ انضم عمال بتروغراد وموسكو واستلم الزعيمان قيادة الجيش ، وقبضا على ناصية الحكم عملا بالقول القائل « من امسك بزمام الجيش امسك بزمام الحكم » وما جاءت سنة ١٩٢٩ حتى كانت الامبراطورية الروسية مقسمة الى سبع جمهوريات ، وهى : اتحاد السوفييت ، اكرانيا ، روسيا البيضاء ، قوقازيا ، أزبك، تركمان ، نادزيك ، (ضمت اليها أخيرا ارمينيا)

نظام هرمى

ونظام الحكم الحالى فى روسيا نظام هرمى .. ففى قاعدة الهرم صغار الفلاحين وعمال المدن ، منظمين فى فروع محلية تدعى كل منها « سوفييت » ، وهى لجان او مجالس محلية ، يعاد انتخابها مرة كل ثلاثة اشهر . واعضاء هذه المجالس نائب او ممثل واحد لكل مائة عامل من عمال المدن ، ونائب او ممثل واحد لكل الف فلاح من سكان الريف. اى ان ممثلى الصناع عشرة امثال ممثلى الفلاحين

وتلى الدرجة الاولى او قاعدة الهرم ، الدرجة الثانية .. وهى مجلس المراكز القروية . ويتالف من نواب تنتخبهم مجالس السوفييت القروية ، وذلك بنسبة ممثل او نائب عن كل عشرة اعضاء من كل مجلس سوفييت

والدرجة الثالثة هى مجلس المقاطعة . وهو يتالف من ثلاثمائة عضو .. ينتخبهم نواب السوفييت المحليون ، بنسبة عضو واحد عن كل الف نفس

وتلى هذه، الدرجة الرابعة من درجات الهرم ، وهى مجلس الولايات ، ويتكون من ٣٠٠ نائب بنسبة نائب من المدن عن كل ٢٠٠٠ ناخب، فى حين أن كل نائب من نواب الريف او القرى ، يمثل عشرة آلاف من السكان



هيئات الحكم من القمة إلى القاعدة



ضريح « لينين »
زعيم الثورة
الروسية، بموسكو

مجلس السوفيت الأعلى
أثناء انعقاده بقصر
الكرملين . . وهو
يتألف من ٢٠٠٠
عضو وينعقد مرة
واحدة في كل عام

ثم تأتى بعد ذلك الدرجة الخامسة، وهى مجلس الاقليم (أو المنطقة) ، ولا يزيد ممثلوه عن ٥٠٠ نائب ، أى واحد عن كل ٥٠٠٠٠ ناخب من ناخبى المدينة أو سكانها ، ونائب عن كل ٢٥٠ ألفا من ناخبى الريف ، أى سكان القرى

وأعلى درجة من درجات الهرم هى السادسة ، وهى مجلس السوفييت الاعلى لجميع الولايات الروسية . ويجتمع هذا المجلس الاعلى مرة واحدة كل عام، ويتكون من ٢٠٠٠ عضو ، ينتخبون اما من مجالس الاقاليم أو مما يليها من المجالس السفلى . ولما كان عدد اعضاء هذا المجلس كبيرا ، فقد أناب عنه لجنة تنفيذية مركزية، تقوم بتصريف اعماله . ولكن هذه اللجنة التنفيذية المركزية ايضا كبيرة جدا ، اذ يبلغ عدد اعضائها ٣٨٦ ، ولذا فقد سلمت زمام اعمالها الى ما يسمونه الرياسة Presidium ، وعدد اعضائها ٢٧ فقط

وبرغم بلوغنا قمة الهرم تقريبا، فان هذه « الرياسة » ليست فى الواقع حاكم روسيا الفعلى ، اذ توجد فوقها هيئة صغيرة قوية ، تدعى « مجلس الشعب » وهو يتألف من أعضاء الوزارة والمجلس الادارى . ويتكون هذا المجلس الادارى من رؤساء المصالح المسئولين أمام المجلس التنفيذى المركزى . وسلطة رئيس هذا المجلس توازى سلطة رئيس الجمهورية أو رئيس الوزارة فى البلدان الاخرى . وجميع الجمهوريات التى تتألف منها روسيا تتبع فى نظام الحكم النظام الهرمى السابق ذكره

ويدعى مجموع الجمهوريات السبع « اتحاد جمهوريات السوفييت الاشتراكية » . وتنتخب هذه الجمهوريات السبع ممثلين لتكوين مجلس اتحادى سوفييتى عام ، يبلغ عدد اعضائه ٦٠٠ . ونظرا لكثرة عدد ممثليه ، فان أعماله يعهد القيام بها الى مجلس تنفيذى يدعى « اتحاد مجلس القومسيون »

على أن السلطة العليا التى تربط هذه الهيئات والمجالس كلها ، هى الحزب الشيوعى، وهو ما كان يدعى سابقا حزب البولشفيك ، وهو حزب لا صفة دستورية له . ويمثل الحزب الشيوعى مجلس عام ، له لجنة تنفيذية مؤلفة من ٧١ عضوا . ولكن السلطة النهائية تنحصر فى مجلس أعلى ، مؤلف من ١٢ عضوا فقط ، ويسمى المكتب السياسى Politbureau ، وهو الذى يدير دفة الحزب . وزعيم هذا المكتب الصغير يوسف ستالين . ومع السلطة الهائلة التى يملكها هذا الحزب فان عدد أعضائه لا يكاد يبلغ المليونين

وفى داخل المكتب السياسى حلقة صغيرة يتزعمها ستالين ، وهى مكونة من أربعة اعضاء غيره. واعضاء هذه الحلقة هم الذين يسيطرون فى الواقع على سائر أعضاء المكتب السياسى، ويكتمون



ستالين وأعوانه الستة . . الذين يسيطرون على جميع الشؤون السياسية والاقتصادية فى روسيا

اصطف هؤلاء الناخبون والناخبات ـ أمام احدى اللجان المختصة ـ لانتخاب أعضاء مجلس السوفيت القروى



انفاسهم ، فتصبح مقاومتهم لاعضاء الحلقة الصغيرة عديمة الجدوى . ولا يأتمن ستالين سوى هؤلاء الاربعة ، ولا بد أن يكون خلفه منهم . وها هم أولاء بحسب ترتيب أهميتهم :

١ ـ مولوتوف وهو ذلك النمر المعروف فى الشؤون الخارجية ويأتى نفوذه بعد ستالين مباشرة

٢ ـ بيريا ، وهو من سكان الجبال ، عبوس ، قليل الحديث ، أصلع الرأس ، ظنين . واذا استثنينا ستالين ، فانه العضو الوحيد من جورجيا فى المكتب السياسي . ويشرف اشرافا مطلقا على قوة البوليس السرى . ولا يعرف أحد بالضبط عدد هذه القوة ، ولكن أوثق المصادر تقدرها بنحو مليونين . ويعاونه رجلان من أعضاء الحزب الشيوعى ، يناط بأحدهما وزارة الداخلية ، وبالآخر وزارة الامن العام . وحسب هذه الوزارة أهمية ، ان الميزانية المخصصة لها عن سنة ١٩٤٥ ، بلغت سبعة آلاف مليون روبل ، أو نحو ٣٥٠ مليون جنيه مصرى

وعلاوة على هذا كله فان « بيريا » هو العضو الذى عهد اليه ستالين ادارة شؤون الطاقة الذرية ، توصلا للوقوف على سر صناعتها

٣ ـ ملنكوف ، ويطلق عليه اسم الطفل البدين ، وكان يوما ما السكرتير الخصوصي للمارشال ستالين ، وقد عرف عنه ان ذاكرته قوية الى حد يفوق الوصف ، حتى قيل عنه انه فهرس عام أو دائرة معارف ، يرجع اليه ستالين فى أية لحظة ، فيجد الجواب عن كل سؤال ، بغير أن يحتاج الى البحث عنه فى أكداس الدفاتر والسجلات والوثائق . والآن يعد من أقطاب الحزب الشيوعى ، وبيده مفتاح سياسة روسيا الداخلية . فجميع التعيينات والترقيات المهمة هو الذى يستأثر بالسلطة فيها . وكانت هذه الوظيفة منذ نيف وعشرين سنة مضت فى يد ستالين ، وهى التى مهدت له السبيل الى التغلب على كل من جرؤ على منافسته

٤ ـ زدانوف ، وهو أيضا صنيعة المارشال ستالين ، وله اليد الطولى فى القضاء على كثير من العقبات الداخلية التى كانت تعترض ستالين ، وفى منع الكوارث التى كادت تودى بزعامته . وزدانوف الرئيس الاعلى لمدينة لننغراد ، وهى وظيفة تعادل وظيفة محافظ عاصمة كبرى ، كلندن أو نيويورك . وهو وملنكوف وستالين الوحيدون الذين يشتركون فى عضوية كل من المكتب السياسى ، ومكتب تنظيم الحزب الشيوعى ، وهذا الاخير أهم هيئة فى روسيا بعد المكتب السياسى

ويعرف هؤلاء الاربعة باسم أنصار القومية المتطرفة ، والمجاهدين الفدائيين الذين يؤمنون باتباع سياسة القوة فى الداخل والخارج . وكثيرا ما بلغت حدتهم وشدة تطرفهم مبلغا حدا

بستالين أن يتدخل ويخفف من غلوائهم ، ويأمرهم بالاعتدال

ويقول الاجانب الذين عاشوا طويلا في روسيا : ان رجال الكرملين اشد رجال الحكومات ارتيابا في نيات الاجانب ، بل في نيات مواطنيهم . ولا يعلم أحد أسباب مخاوفهم على وجه التحقيق . ولكن الحدس او التخمين على ضوء الحوادث هو الذى يلقى ضوءا على ذلك الارتياب وتلك المخاوف . فمن هذه الاسباب خوف الزعماء على أنفسهم ، خصوصا وانهم تولوا الزعامة بحد السيف ونفوا الاعداء الى سيبريا وقتلوا مواطنيهم ، البرىء منهم والمذنب . ومن الاسباب ، تلك السلسلة الطويلة من الحوادث التى قتل فيها عشرات الالوف من انصار الثورة ، وكان بين القتلة عدد يذكر من الجيش الاحمر بالذات ، ورجال الحزب ، وبوليسه السرى . ومن اهم الاسباب جغرافية روسيا ، وسهولها وبطاحها الممتدة الى ابعد مدى ، مما يجعل مراقبة الحدود أمرا مستحيلا . وطالما كانت هذه السهول العارية طريقا ممهدا للغزاة

ويدل على ذلك انه منذ سنة ١٨٠٠ احتلت مدينة منسك على يد الغزاة الاجانب ١٠٦ مرة ، واحتلت مدينة كييف مئات المرات ، حتى كف سكانها عن احصاء هذه المرات .. فلا غرابة اذا أصبح الارتياب فى نية كل أجنبى غريزة راسخة . ولا عجب اذا كان « جستابو » روسيا (ويدعى أوجبو) أقوى مراسا وأشد بأسا ونفوذا من جستابو هتلر . ويتنعم ضباطه وجنوده بأشهى الاطعمة ، واثمن الملابس ، وافخر السيارات ، واجمل الراقصات ، والاموال التى لا حد لها . وسلطة « الاوجبو » تخول له بغير قيد أو شرط أن يتحكم فى حياة كل فرد فى روسيا بغير محاكمة ، فيما خلا ستالين . وله ان ينقض على الخزانات والرسائل والاوراق السرية وغرف النوم وقاعات الطعام ، لتفتيشها فى اية ساعة من ساعات الليل او النهار . وتحوى سجلاته تفاصيل عجيبة عن كل مشتبه فيه ، وكل من يشتم منه رائحة العداء ، فى روسيا وسائر بلدان العالم . وليس للجيش الاحمر او الحزب الشيوعى اية سلطة عليه ، وليس لمكاتبهما اقل مناعة ضد تفتيش الاوجبو فى اية لحظة كانت

وبالرغم من الستار الحديدى الذى يفصل روسيا عن سائر بلدان العالم ، ويحجب العيون من رؤية ما يحدث هناك ، وبالرغم من ان الفقر والعوز والاحتياج لا تزال ضاربة اطنابها فى البلاد ، وبالرغم من ان أعداء الحزب الشيوعى والجيش الاحمر ، تعمل فيهم ايدى التقتيل والنفى الى اقاصى سيبريا ، لاقل شبهة وبغير محاكمة ـ بالرغم من هذا كله ، فان السواد الاعظم من الروسيين يفضلون السوفييتية على عهد الاستبداد القيصرى

أمير بقطر



المرأة الروسية فى النظام السوفيتى

المرأة اليوم فى الاتحاد السوفياتى – فى نظر القوانين والانظمة السائرة – هى والرجل سواء بسواء .. لها ما له من حقوق، وعليها ما عليه من واجبات. وينص الدستور السوفياتى على ان « المرأة عضو فى المجتمع مماثل للرجل »

فلا يوجد فى روسيا السوفياتية مرفق واحد من مرافق الحياة. أو ميدان من ميادين النشاط، أو فرع من فروع العمل، سواء أكان ذلك العمل يدويا ام ذهنيا ام فنيا، ليس للمرأة فيه نصيبها من النشاط، أو لا يحق لها أن تأخذ منه ذلك النصيب. ففى روسيا نساء يعملن كطبيبات، ومهندسات، وعالمات، ومعلمات. وقد الفت المرأة الروسية احتراف مهن كانت من قبل وقفا على الرجال وحدهم، فاصبحت مثلا تدير الآلات المعقدة فى المصانع، وتسوق القاطرات، وتشرف على المعامل والصناعات

وادى النظام الذى فرض على العمال رجالا ونساء، الى القضاء على البطالة قضاء تاما. فروسيا هى البلد الوحيد فى العالم الذى لا تواجه فيه الحكومة من وقت الى آخر مشكلة البطالة والعمال

العاطلين ، كما هى الحال فى معظم البلدان شرقا وغربا . ولا فرق فى هذا بين الرجل والمراة

كتبت «الكسندرا كولونتاى» ـ وهى سفير قروسيا فى السويد ـ تقول : «ان من اهم العوامل التى ساعدت على اقامة النظام الشيوعى فى روسيا وتثبيت دعائمه ، اشتراك المراة مع الرجل ، منذ اللحظة الاولى ، فى تشييد الدولة السوفياتية ، ومنذ اللحظة الاولى ايضا ، اعطيت المراة السوفياتية جميع الحقوق التى يتمتع بها الرجل »

لقد فتحت الحكومة السوفياتية امام المراة ، جميع فروع النشاط والعمل المنتج ، وضمنت لها ايضا ، التمتع بجميع الحقوق اللازمة لمواصلة القيام بواجبها الذى تفرضه عليها الطبيعة البشرية ، وهو أن تتزوج وتلد وتسهر على تربية ابنائها وتهتم بمنزلها

*

وعندما وضعت نصوص القوانين السوفياتية ، وجه المشرع عناية خاصة الى المراة ، فلم ينظر الى الامومة نظره الى مسالة شخصية بين الرجل والمراة ، بل نظر اليها كواجب اجتماعى يتحتم على المراة القيام به على أحسن وجه

والمجالس واللجان السوفياتية تصرف وقتا ومالا وفيرين فى انشاء المطاعم الشعبية، وحدائق الاطفال ، وميادين الالعاب الرياضية ، وعيادات الولادة وما شابه ذلك . ويقول لينين فى دستوره : انهذاكله من شانهان يخفف عن المراة عبء واجب الأمومة المفروض عليها ، بحيث ان الدولة نفسها تحل محلها فى القيام بجزء من ذلك الواجب . ويوجد ـ حسب الاحصاء الاخير ـ فى الاتحاد السوفياتى ، ٧ آلاف عيادة للولادة ، نصفها فى القرى ونصفها الآخر فى المدن. واكثر من ٢٠ الف مستوصف للاطفال

وتمنح الحكومة السوفياتية الامهات مساعدات مادية كبيرة ، تزداد قيمتها بزيادة عدد الاطفال الذين تنجبهم الأم . فالمراة الحامل تمنح اجازة تنقطع خلالها عن العمل انقطاعا تاما ، ويصرف لها مرتب يكفيها لسد جميع نفقاتها. وبعد الولادة ، تعود الى عملها الذى يحفظ لها مهما تكن مدة الاجازة طويلة . والمساعدات المادية التى تصرف للامهات تتفق قيمتها مع مقتضيات العيش ومقدار النفقات التى تواجهها كل أم حسب عدد الاطفال الذين انجبتهم . وفى سنة ١٩٤٥ بلغت قيمة المساعدات التى دفعت للامهات الروسيات من خزينة الدولة اكثر من مليارى روبل

وفى روسيا السوفياتية وسامان يمنحان للامهات النابهات ، واحد باسم « وسام الأمومة » والثانى باسم « المجد للامومة »

وتعنى لجان الصناعات بتوزيع العمل على الامهات عناية خاصة ايضا ، فالعمل الذى تقوم به الأم غير العمل الذى تقوم به الفتاة ، ولم تشذ الحكومة عن هذه القاعدة الا فى خلال الحرب الاخيرة ، حيث أصبح كل روسى وكل روسية جنديا فى نظر الدولة، يترتب عليه القيام بالعمل الذى يفرض عليه أيا كان نوعه

*

وقد قال ستالين فى احدى خطبه . ان اشتراك المرأة الروسية فى تطبيق « مشروعات السنوات الخمس » التى استنها زعيم روسيا وقائدها ، قد ضمن تحقيق هذه المشروعات على أوسع نطاق

ومنذ ثلاثين سنة ، كان عدد النساء اللواتى يشتغلن طلبا للرزق ، فى روسيا ، يبلغ نحو مليونين وثلاثمائة الف امرأة، منهن نحو مليون وثلاثمائة الف خادم فى بيوت الاغنياء و ٧٥٠ الفا يعملن فى الحقول . ولم يكن فى روسيا كلها امرأة واحدة تعمل فى مؤسسة علمية او هندسية . اما

يعمل عدد كبير من النساء فى الطيران الحربى والمدنى بالاتحاد السوفيتى . . وتبدو فى الصورة ثلاث من المشتغلات بقيادة الطائرات





لفيف من المشتغلات بالزراعة فى إحدى المزارع التعاونية بأوكرانيا حيث يتوافر انتاج الحبوب والغلال

اليوم ، ففى روسيا ٧٥٠ الف معلمة فى المدارس و ١٠٠ الف طبيبة و ٢٥٠ مهندسة. ونصف طلبة المدارس العليا من البنات .

وتعمل نحو ٣٣ الف امراة فى المعامل الكيميائية او معامل المباحث العلمية ، ونحو ٢٥ الف امراة يحملن رتبة أو شهادة جامعية . وقد منحت جوائز ستالين للبحوث العلمية الى ١٩٦ امراة حتى الآن

وتبدى المراة الروسية فى الميدان السياسى نشاطا لايقل عن نشاط الرجل فيه . فان عدد النساء النائبات فى مجلس السوفيات الاعلى ، كان فى العام الماضى ٢٧٧ امراة . اما فى مختلف المجالس السوفياتية فى انحاء الاتحاد ، فقد فازت فى الانتخابات الشعبية ٥٦ ألف امراة ..!

وقد حاولت المراة الروسية ، المطالبة بحقوقها للمرة الاولى ، فى سنة ١٩٠٥ ، فى عهد الحكم القيصرى .. ولكنها كانت محاولة فاشلة ، لم يكتب لها شىء من النجاح . ومنذ ذلك الوقت ، بدات المراة الروسية تعمل فى الجمعيات التى مهدت لقيام الثورة



يستمتع الفنانون والفنانات فى روسيا بمكانة خاصة .. وهذه « تمارا مارا كوفوا » تربح أموالا طائلة من عملها على الستار القضى . وقد منحت أخيراً وسام ستالين تقديراً لفنها

سنة ١٩١٧ ، وانشاء النظام الشيوعى فيما بعد . وقد نزلت المراة الروسية الى الشارع للمرة الاولى فى ٨ مارس عام ١٩١٧ ، فى أواخر الحرب العالمية الاولى، عندما ثار الشعب الروسى وأرغم حكومته على وقف الحرب وعقد صلح منفرد مع ألمانيا

*

ولا صحة لما يقال ويكتب عن مركز المراة فى روسيا بالنسبة الى الرجل ، وان الزواج والطلاق خاليان من كل قيد وشرط ، وان المراة مشاع بين الرجال .. فهذا غير صحيح . وللزواج فى روسيا السوفياتية قانون تنفذ نصوصه بصرامة . كما أن للطلاق ايضا قانونا نافذ المفعول . وهذا القانون يعطى المراة الحق فى طلب الطلاق . ولكن هذا ليس محصورا فى روسيا وحدها ، ففى امريكا وفرنسا وغيرهما من البلدان ، يحق للمراة ان تطلب الطلاق وتحصل عليه .

واما أن المراة لا تملك سلطة على ابنائها ، وأن هؤلاء الابناء انما هم « ملك » للدولة ، فهذا لا يطابق الواقع . ولكن القانون الروسى يعطى الدولة حق الاشراف على تربية الاطفال وتعليمهم

والمراة الروسية تشغل طائفة كبيرة من الوظائف الحكومية ، وعددا غير قليل من المناصب العالية . ولروسيا عدد كبير من النساء « الدبلوماسيات » يعملن فى القنصليات والمفوضيات والسفارات الروسية فى الخارج.

ويقال - وقد يكون هذا صحيحا عن روسيا وعن غيرها من الدول - ان حكومة موسكو تكثر من توظيف النساء فى مفوضياتها وسفاراتها ، لانها تستخدمهن فى أعمال التجسس والحصول على معلومات ، يصعب احيانا على الرجال أن يحصلوا عليها

*

ان المراة الروسية تتمتع بجميع الحقوق التى يتمتع بها الرجل ، وان عليها جميع الواجبات التى عليه . وهذا ما يجعلها مضطرة الى التضحية بأشياء كثيرة عزيزة على النساء، من حيث حب الظهور والانصراف الى اللهو وانفاق المال والوقت فى البهرجة وغيرها مما تميل اليه المراة بالفطرة . فان التمتع بجميع الحقوق كان له فى روسيا ثمن دفعته المراة مختارة اومضطرة . وهذا الثمن قد قضى على كثير من مظاهر الأنوثة والتأنق والترف . وقد لا تكون جميع النساء الروسيات راضيات بهذه الحالة وهذه الحياة . ولا شك فى ان كثيرات من نساء روسيا يفضلن التنازل عن بعض ما يتمتعن به من حقوق ، مقابل اطلاق الحرية لهن ، بأن يعشن كما تريد المراة أن تعيش ، لا كما يفرض عليها القانون

ع ٠ ج



صحائف الأنباء

« ما أكثر الأنباء الصحائح فى هذه الأيام . . وما أقل فهم الناس لها وعمقهم لخفاياها »

بقلم الدكتور طه حسين بك

فى اى انباء مصر تريد ان اكتب اليك ايها الصديق الكريم ؟ فيما يرضيك ويلهيك ، ام فيما يؤذيك ويضنيك .. فعندي وعند كل مصرى من هذه وتلك اطراف . امرنا فى ذلك كأمر غيرنا من الناس فى غير مصر من البلاد ، فعند كل انسان مهما يكن ومهما يكن بلده ، انباء تسر وتلهى وانباء أخرى تسوء وتؤذى ، لأن حياة الناس كلهم فى عصورهم كلها وفى اوطانهم كلها مزاج من الجد والعبث ، ومن الخير والشر ، ومن اللذة والألم ، ومن الحزن والسرور

فى اى انباء مصر تريد ان اكتب اليك اذن ؟! اما ان كنت راضي العيش ناعم البال مطمئن القلب، فقد ينبغى ان أكتب اليك فى انباء مصر التى تحزن بعض الحزن ، وتنغص بعض التنغيص ، ليعادل ما تحمل اليك من المساءة بعض ما انت فيه من المسرة . وأما ان كنت ضيق النفس كئيب الضمير محزون القلب ، فقد ينبغى ان اكتب اليك فيما يسليك ويلهيك، لتجد فيما يلقاك من ذلك راحة تخفف ما انت فيه من جهد ، وسرورا يلطف ما انت فيه من حزن ، ورضا يردك الى ما ينبغى لك من اعتدال المزاج .. ولكن لا أعرف من أمرك شيئا ، وقد انقطعت رسائلك عنى منذ شهر وبعض شهر ، ورسائلك لاتنقطع الا حين تشغلك السعادة ، اوحين يشغلك الشقاء . فانت رجل تؤثر نفسك بما يتاح لك من الخير وبما يعرض لك من الشر ، ولا تفكر فى أصدقائك ، ولا تكتب اليهم الا حين تفرغ من السعادة والشقاء جميعا ، وتضطر الى هذه الحياة الهادئة التى تضيق بها وتضيق بك ، فتتسلى عنها وتسليها عنك بالتفكير فى الاصدقاء والسعى الى لقائهم ان كانوا قريبا منك ، والكتابة اليهم ان نات بهم عنك الدار

●

فانت فى هذه الاسابيع الكثيرة التى لم تصل الى فيها رسائلك ، مشغول عنى وعن غيرى بنعمة سيقت اليك أونقمة صبت عليك . وأنا من أجل ذلك حائر فى أمرك وأمرى ، أخشى أن تكون سعيدا فيشغلك كتابى عن سعادتك .

واخشى ان تكون شقيا فيكون فى تأخير الكتابة اليك شىء من التقصير فى ذاتك والتفريط فيما ينبغى لك من الحق على ، ان نابتك النوائب او المت بك الملمات . وما اكره ان تستأثر بما يتاح لك من الخير لانى احبك ، وما أريد ان تستأثر بما يعرض لك من الشر لأنى اشفق عليك . فخذ كتابى اذن كما هو وانظر فى أوله ، فان كنت سعيدا فدعه حتى تفرغ من سعادتك او تفرغ منك سعادتك . فليس من هذا بد ، لأن سعادة الناس فى هذه الحياة سحابة صيف لا تظل الا لتنقشع ولا تلم الا لتزول . وان كنت شقيا ، فاستعن به على دفع ما يغشاك من الشقاء

●

وفى انباء مصر والحمد لله ما يسلى المحزون عن حزنه ، وينغص على السعيد سعادته ، ويدعو الرجل العاقل الاريب الى اطالة التروية والامعان فى التفكير

لقد بعد عهدك بمصر ايها الصديق الكريم ، وطال فراقك لها ، وقد جدت فيها أمور وحدثت فيها احداث ، غير تلك الامور وهذه الاحداث التى تنقلها اليك الصحف التى تصدر حيث تقيم والتى تأتيك من حيث نقيم نحن ، لأن الصحف لا تنقل من الاحداث والانباء الا ظواهرها . فأما حقائقها ودقائقها وأسرارها ومصادرها ، فليست من الصحف فى شىء ، وليست الصحف منها فى شىء . وما أكثر الانباء التى تروى فى الصحف قد رواها الكتاب من غير فهم ، وقراها القراء عن غير فهم ايضا ، وتحدث بها المتحدثون وذهبوا فى تأويلها المذاهب من غير فهم كذلك ، لانهم عرفوا ظواهرها وجهلوا حقائقها ، ولأن الصحفيين لا يكتبون التاريخ ، تعجلهم عن ذلك مهنتهم التى تضطرهم الى الاسراع ، والى النظام ، والى أن يملأوا صحفا بعينها فى أوقات بعينها ، لا ينبغى أن يسبقوها ولا ينبغى أن يتأخروا عنها . فهم معجلون مهما يتمهلوا ، وهم مسرعون مهما يستأنوا ، وهم مقصرون مهما يتكلفوا من البحث والاستقصاء

●

وقد قرات فى الصحف ونقل اليك الناقلون من غير شك ان فى مصر نظاما مبتكرا لا يعرفه بلد من بلاد الارض ، وهو توكيل الشرطة بالجامعات ومعاهد العلم تحرسها حين يسفر الصبح ، وتحرسها حين يظلم الليل ، وتحرسها بين ذلك حين تستوى الشمس فى كبد السماء ، وحين يبسط الظلام سلطانه الرهيب على الكون . وزعم لك بعض الصحف ، وقال لك بعض القائلين ، ان هذا النظام المبتكر البديع قد أريد به الى حصار الجامعات ومعاهد العلم ، حتى لا ينفذ اليها احد من غير اهلها ، مخافة أن يشغل الجاهلون طلاب العلم عن علمهم . وزعمت لك صحف اخرى ، وقال لك قائلون آخرون ، ان هذا النظام المبتكر البديع انما اريد به الى حماية الجاهلين الغافلين

من المتعلمين المتنبهين ، مخافة ان ينتشر الجامعيون والمثقفون فى الارض ليملأوها شرا بعد أن ملئت خيرا . وقال لك أولئك وهؤلاء ان فى هذا النظام المبتكر البديع عبثا بالحرية وتضييقا على الناس فى حياتهم ، فبين الجامعيين والمتعلمين وبين الجاهلين والغافلين صلات يجب أن ترعى وعرى يجب الا تنفصم ، صلات الأبوة والبنوة والاخاء ، وصلات الرحم والقرابة والمودة . وكل هذه خصال لا ينبغى أن تقطع لأن الله أمر بها أن توصل ، فهذا النظام شر ، وهذا النظام نكر ، وهذا النظام بغيض الى آخر ما قيل والى آخرما سيقال، ما دام هذا النظام المبتكر البديع قائما ، وما دام الصحفيون يكتبون من غير استقصاء ، وما دام الناس يقولون بغير علم ، ويخوضون فيما لا يحسنون الخوض فيه . ودعنى أستعر من أبى العلاء بيته المشهور :

غدوت مريض العقل والدين فالقنى
لتسمع أنباء الأمور الصحائح

●

وأنا أعلم انك لن تسعى الى لقائى ، لأنك تؤثر غربتك وتألف ما أنت فيه من كسل . فأنا أسعى الى لقائك بهذا الكتاب ، لأسمعك أنباء الأمور الصحائح عن رغبة منك فيها أو انصراف منك عنها ، فما أحب لك أن تجهل مع الجاهلين وتخطىء مع المخطئين . وقد علمت أن مصر ما زالت سباقة الى الخير ، نفاذة من المشكلات ، حلالة للألغاز . فقد استكشفت مصر فى هذه الايام الشداد أن العلم ينفع ويضر ويحسن ويسىء ، ينفع اذا استأثر به العلماء الذين يحسنون فهمه وتصريفه ، ويضر اذا خلص الى الجهلاء أو خلص اليه الجهلاء الذين لا يسيغونه ولا يعقلونه ولا يحسنون التمثل له والانتفاع به .. شأنه فى ذلك شأن السلاح الخطر الذى لا يحسن استعماله الا من كان به خبيرا ، وشأن العقاقير الخطرة التى لا ينبغى أن يخلى بينها وبين الذين لا علم لهم بالطب وطبائع الامزجة والاجسام . وما رأيك لو أبيحت القنابل الذرية للناس جميعا ، وما رأيك لو أصبحت ألوان السم الزعاف قريبة المتناول من أيدى الناس جميعا . فالعلم أشد خطرا من القنابل الذرية لأنه يبتكرها ، وهو أشد خطرا من السم الزعاف لأنه ينشئه ويركبه ويقدر حظه من كل دواء .

●

وقد لاحظت مصر فى هذه الاعوام الاخيرة أن قليلا من علم العلماء قد خلص الى جهل الجهلاء ، فسدت لذلك أمور الناس وأخلاقهم وصلاتهم وأحكامهم على الاشياء وتصورهم للحياة . فشكا من لم يألف الشكاة ، وسخط من لم يعرف السخط ، ورضى من لم يكن له حظ من رضا ، وأمن من لم يكن ينبغى له الامن ، وخاف من لم يكن للخوف اليه سبيل

ونظرت مصر فاذا أهلها

ساخطون صاخبون قلقون مضطربون ، لا يرضون عن شيء ولا يرضى عنهم شيء ، قد عبسوا للحياة وعبست لهم الحياة ، حتى انكرتهم شمسهم المشرقة . وانكروا هم شمسهم المشرقة ، حتى ضاق بهم نيلهم الهادىء السمح ، وود لو تحول عن واديهم فشق مجراه فى الصحراء حتى لا يرى هذه الوجوه العابسة ، وهذه النفوس المظلمة ، وهذه القلوب التى بعد عهدها بالاطمئنان

●

هنالك التمست مصر لهذه الآفات الطارئة أسبابها وبحثت عن مصادرها ، فلم تجد لها سببا ولا مصدرا الا هذه المعرفة التى تنسل من الجامعات ومعاهد العلم .. فتلم بالاندية والدور ، وقد تتسكع فى الشوارع والحقول ، فتصادف عقولا خلقت للجهل والغفلة ، وقلوبا خلقت للجمود والهمود ، فتفسد على الناس امورهم كلها . وليس أحب الى مصر من أن يكون أهلها احرارا ، وليس احب الى مصر من أن يكون اهلها علماء ، ولكن الحرية والعلم من هذه الاشياء الخطرة التى لا ينبغى أن تعطى للناس بغير حساب ، وانما يجب أن تقتطر لهم تقطيرا وتقدر لهم تقديرا ، ويقتر عليهم فيها تقتيرا . من أجل ذلك ، ومن اجل ذلك وحده ، آثرت مصر سلامة ابنائها من أن يسرفوا على انفسهم فى العلم ، وما يستتبع من الحرية وتنبه الشعور ، فندبت شرطتها وجيشها لحمايتهم من هذا الخطب الملم والوباء المبيد

لهذا ، ولهذا وحده ، ضرب حول الجامعات ومعاهد العلم بهذه الاسوار الكثاف الصفاق من قوة الشرطة والجند ، حماية للجاهلين من علم العلماء ، وحماية للعالمين من جهل الجهلاء ، فمخالطة الجهلاء خطر على المتعلمين ومخالطة العلماء خطر على الجاهلين ، والدولة الرشيدة الحازمة خليقة أن تفرق بين أولئك وهؤلاء والا تصل بينهم الاسباب الا بمقدار

●

وقد لا حظت مصر أن هذه القصة ستثير لها مشكلة من أشد المشكلات عنفا واعظمها تعقيدا ، فشرطتها محدودة وجيشها معدود قليل العدد ، وهما لا يكفيان لحماية الناس من علم العلماء وعدوان المعتدين ، وانما يكفيان لحمايتهم من احد هذين الشرين لا منهما جميعا . ففكرت ، وقدرت ، ودبرت ، ورأت أن شر العلم أشد خطرا من شر العدوان . . فالمجرم الواحد أو المجرمون الكثيرون يصيبون الشخص الواحد أو الاشخاص فى الاماكن النائية والمواطن المتباعدة ، على حين تفسد القطرة الضئيلة من العلم والمعرفة عقولا وقلوبا كثيرة لا يبلغها العدد . من أجل ذلك نقلت اليك الصحف ، وقال لك القائلون ، ان امور الامن تضطرب فى مصر بين حين وحين ، فيصرع هنا قاض ، ويخطف هناك معلم ، وتسرق دار فى هذه المدينة أو تلك ، وتقع موقعة فى قرية من

قرى الشمال أو من قرى الجنوب . . لا ينشأ هذا عن تقصير من أولى الأمر ، ولا عن تفريط فى جنب الأمن ، وانما ينشأ هذا عن موازنة بين ألوان الشر ، واختيار لأخف الضررين ، واذعان لأحكام الضرورات الملجئة . والناس ساخطون دائما ناقدون دائما ، تطول ألسنتهم فتسرف فى الطول ، وتجمح أقلامهم فتغلو فى الجموح ، وتحميهم الدولة من العدوان فيشكون من انتشار العلم ، وتحميهم الدولة من انتشار العلم فيشكون من انتشار الاجرام ، وينسون قول الشاعر القديم :

اذا لم يكن إلا الأسنة مركباً
فلا رأى للمضطر الا ركوبها

هذه ياسيدى هى بعض الانباء الصحائح التى أشار اليها أبو العلاء ، وما أكثر الانباء الصحائح فى هذه الايام ، وما أقل فهم الناس لها وتعمقهم لحقائقها ، وما اجدرنى بأن احدثك بألوان منها ، لتعلم أين نحن وأين أنت ، ولتوازن بين حياتك المضطردة وحياتنا المضطربة . ولكن اعلم انك لا تريد أن توازن ولا أن تقيس على أن تعرف من أمرنا شيئا ، وما انت وحياتنا هذه الخصبة التى تتعب وتشق لكثرة ما فيها من الخصب الذى يغذو القلوب والعقول ، ألم تحدثنى فى آخر كتبك الى بأنك تؤثر نعمة الجهل على شقاء العقل . . فانعم بجهلك حيث أنت ، ودع لنا ما نحن فيه . وتقبل تحية كلها رثاء لك واشفاق عليك

طه حسين

الناسك والخليفة

بلغ هارون الرشيد ان ناسكا يقيم متعبدا فى جبال تهامة ، فزاره مرة وساله عن حاله . ثم قال له :
ــ أوصنى ومرنى بما شئت . . فوالله لن اعصيك
فسكت العابد ولم يقل شيئا
وبعد أن تركه الخليفة ، قال الذين شهدوا الزيارة ، للعابد :
ــ ما منعك ، وقد اقسم الا يعصيك ، أن تأمره بتقوى الله والاحسان الى رعيته ؟
فقال الرجل :
ــ أيأمره الله فيعصيه ، ثم آمره انا فيطيعنى !

لماذا نقرأ؟ وماذا نقرأ؟ وكيف نقرأ؟

بقلم الدكتور أحمد أمين بك

أسئلة، على بساطتها، صعبة الجواب، تحتاج الى دقة نظر وامعان فكر

أما لماذا نقرؤ؟ ففي نظري أننا نقرؤ لغرض من غرضين، أو هما معا. فأحد الغرضين أن نتعرف العالم أو شيئا عنه، فمن قبلنا ومن عاصرنا جربوا الحياة، واطلعوا على آراء من قبلهم، وبحثوا وفكروا، وأودعوا كل ذلك في كتبهم، وأوضحوا ما وصلوا اليه من حقائق — أو ما ظنوه حقائق — في كتاباتهم. وكل باحث وكل مفكر وكل فيلسوف نظر الى العالم من زاويته، واختص بناحية من نواحي التجارب، تعمق فيها ووصل منها الى نتائج سجلها في كتب ألفها. فنحن اذا قرأنا هذه الكتب، وفرت علينا تجارب جديدة وأزمانا طويلة قطعها المجربون قبلنا وقربوها الى أذهاننا، فنستطيع اذا نحن قرأناها أن نصل في زمن قريب الى ما وصلوا اليه في عهد طويل، ثم نبني على ما قالوا ونكتشف ما جهلوا

«القراءة فن لا يحسنه إلا القليلون، وفرق كبير بين من يزاول العمل حيثما اتفق وبين من يزاوله كفنان»

والانسان بطبيعته ميال الى معرفة الكون الذي حوله والوصول الى كنهه، ثم استخدام هذه المعرفة في شؤونه وتوفير أسباب سعادته. ولكن هذا الكون متعدد النواحي كثير المظاهر، لا يستطيع الفرد في عمره القصير أن يحيط بكنه كل مظاهره وادراك جميع نواحيه. فاقتصرت كل جماعة على ناحية منه وعلى مجموعة من ظواهره، فبحثتها ودرستها وألفت فيها، وجاء الآخرون يقرأون للاولين، كل حسب استعداده وميوله وما تخصص فيه، فكانت القراءة، وهي قراءة للدرس والتحصيل والبحث عن الصواب والخطأ والحق والباطل، حتى يصلح الأواخر ما أخطأ فيه الأوائل، ويبني الخلف على ما أسس السلف

ونوع آخر من القراءة، هو القراءة

للمتعة وتغذية العواطف ، على حين أن النوع الأول يغذى العقل ، كأن يقرأ الانسان ديوان شعر جميل ، فيستمتع به وتتفتح نفسه له ، لأنه يرى أن الشاعر استطاع أن يعبر عن عواطف القارىء أحسن مما يعبر ، وصور نفسه أحسن مما يصور ، وقدر على التعبير الجميل عن مشاعره حيث عجز هو عن التعبير عنها ، فهو يقرؤ ويلتذ القراءة كما يلتذ الظمآن الماء البارد الزلال . وكذلك الشأن في قراءة القصة الجميلة والرواية الجيدة وأنواع الأدب المختلفة .. فكلها ممتعة، تقرؤ للذتها وجمالها وفنها بجانب ما يلذ من أفكارها . وكلما كان الشاعر أو الروائى أقرب الى نفس القارىء وأكثر اتحادا بعواطفه وملاءمة له، كانت القطعة الادبية أمتع والتلذذ بها أوفر. ويختلف الاستمتاع بالنتاج الأدبى باختلاف الأديب وقارئه .. فاذا سما الأديب وسما القارىء كانت اللذة بالنتاج الأدبى أسمى وأرقى ، واذا انحط الأديب انحط قارئه وكانت اللذة بأدبه أوضع وأحط ، كما هو الشأن فى كل اللذائذ الحسية والمعنوية

وقد يجتمع الغرضان معا ، فمن أمعن فى القراءة للدرس وجد لذته فى ذلك ، وكلما عمق البحث واستغرق فكر القارىء ووافق عقله ونفسه واستعداده، كان القارىء أشد بدرسه شغفا وأكثر هياما وأوفر متعة

●

وأما ماذا نقرؤ ؟ فنستطيع أن نستنتج ذلك من الاجابة الأولى ، فليقرأ كل ما يتفق ودراسته ، ويتفق ونفسه ، ويتفق وعواطفه ، ولكن يجب أن يسمو عقله ، فيدرس النافع المفيد لا السخيف الضار . فمن عكف على دراسة كتب التنجيم والخرافات والأوهام والسحر فعمره ضائع . فاذا اجتنب هذا الباب ، فكل فرع من فروع العلم الصحيح صالح للدرس والقراءة فيه والاستزادة منه . وكل ما نقوله فى هذا الشأن ، أن يدرس القارىء ميله واستعداده وملكاته وكفايته ، ثم يتجه الجهة التى يحسنها وينصرف عما ليس أهلا له ، حتى تكون قراءته ودرسه أكثر فائدة وأتم نفعا . وكذلك الشأن فى القراءة للمتعة .. فهناك أدب رفيع تسمو به النفس وتسعد به العواطف وترقى به المشاعر ، وهناك أدب وضيع رخيص تنحط به العواطف وتسفل به المشاعر . فليجتهد القارىء أن يتسامى ، لا أن يتضع ، وأن يرتفع بالقراءة ، لا أن ينحط ، وأن يتخير غذاءه الروحى كما يتخير غذاءه المادى

والقراءة فى الحقيقة ظل للنفس والروح ، فاذا انحطت النفس مالت الى قراءة ما يثير الشهوات ويهيج الغرائز ، واذ سمت طلبت الفن

الرفيع الذى يرقى بالروح ويحلق فى السماء . والشأن فى ذلك كالشأن فى الانسان ، تدرج فى الرقى منذ عهد الطفولة الى أن صار رجلا كاملا، وكان فى كل دور من أدوار عمره يقتنى الكتب يقرؤها . فاذا أنت استعرضت مكتبته فى أطوار عمره ، رأيتها فى كل طور أرقى مما كانت عليه من قبل . وهناك نوع من الناس تبقى نفوسهم على حال واحدة تلتصق بالأرض دائما ، فمكتبتهم واحدة وان تعددت أسماؤها

●

وأما كيف تقرؤ ، فالحق أن القراءة فن لا يحسنه الا القليل .. وفرق كبير بين من يزاول العمل حيثما اتفق وبين من يزاوله كفنان . وليس فن القراءة يوزن بكثرتها، ولكن بدقتها، ولا بطول وقتها ، ولكن بنتيجتها . فهناك من يقرؤ صفحة قراءة فنية ، فتدر عليه من الفائدة والخير ما لا تدره قراءة ألف صفحة قراءة غير فنية . ان هؤلاء الكثيرين الذين يقرأون ، كما يزعمون ، لقتل الوقت، مثلهم مثل من يتعاطى المخدر ليغيب عن الدنيا أو يسبح فى الخيالات والاوهام . ولم تخلق القراءة لهذا ، انما خلقت للدرس أو للاستمتاع الصحيح . هناك من يقرأون كل ما تصل اليه أيديهم حسبما اتفق، فيقرأون الجرائد والمجلات والكتب من غير أن يكون لهم غرض معين وغاية محدودة . فهذه القراءة لا تفيد درسا ولا تسبب متعة، فهم كمن يتجول فى الشوارع من غير غرض أو يتسكع فى الطرقات لغير غاية . انما القراءة الصحيحة قراءة حدد غرضها وغايتها ، فيعرف القارىء ما يقرؤ ولماذا يقرؤ — قراءة يشعر معها أن موقفه من الكتاب الذى يقرؤه موقف الصديق من الصديق ، فلينظر الانسان لمن يقرؤ كما ينظر من يصادق

ان أهم شرط للقراءة الصحيحة أن تكون قراءة فى دقة وامعان ، يستطعم فيها القارىء الجملة من الفصل، أو الفصل من الكتاب ، كما يستطعم الآكل اللذيذ ، يجيد مضغه ويجيد هضمه ، ويسائل نفسه بعد القراءة الدقيقة لكل فصل : « ماذا يريد الكاتب ؟ وهل أخطأ أو أصاب ؟ وفيم أخطأ وفيم أصاب ؟ واذا كان قد أخطأ فما صواب ما أخطأ فيه ؟ » ان قراءة كتاب على هذا النهج خير من قراءة الكتب الكثيرة قراءة سطحية لاعمق فيها ولا تفكير

وهذه القراءة تستلزم أن يهب القارىء عقله كله ونفسه كلها لما يقرؤ، فلا يشغله شاغل آخر ولا تقطع تيار فكره العوارض .. فقديما قالوا : « ان العلم لا يعطيك بعضه ، الا اذا أعطيته كلك »

أحمد أمين

فالشيوعية سوف تنتهي صاعدة الى ما انتهت اليه الاشتراكية هابطة

الفقر داء عز دواؤه ..

بقلم الدكتور
احمد زكى بك

الفقر داء قديم، وهو من الداءات التي اعيت الامم واعيت القرون

وكما ان الفقر قديم ، فكذلك الثراء قديم . فلم يوجد فقر الا وجد الى جانبه غنى، ولم يوجد غنى الا وجد الى جانبه فقر . انهما ككفتي الميزان ، ان شالت احداهما من خفة ، حطت الاخرى من ثقل. او هما كالضوء والظلام ، لا ينعكس الاول عن بياض حتى تكون عند جوانبه ظلال من سواد.

او هما كـ « نعم » و « لا » . فلولا نعم ما كانت لا ، ولولا لا ما كانت نعم. ولولا الاثبات ما كان نفى ، ولولا النفى ما كان اثبات

والذين يستوحون اصول الاخلاق والتخلق من الطبيعة ، يجدون هذا الخلاف في الحظوظ هو القانون السائد في الكون .

فالأدغال فيها القوى والضعيف ، وفيها السائد والمسود ، وفيها الشابع والجائع ، وفيها الآكل والماكول . والنبات فيه الشجرة السامقة الطويلة ، والشجيرة القزمة القصيرة ، والعشب الذى اتنفى منه حتى السوق والازهار. ومن النبات ما ينبت ، على الشبع والرى ، فى طينة النيل السوداء ، ومنه ما ينبت، على الجوع والظماء، فى رمال الصحراء . والجماد فيه الجامد وفيه الهش . والارض فيها الجبال والوديان . والنجوم فيها الجليل والضئيل، والمعتم واللامع، وفيها الشموس والاقمار ، وفيها التابع والمتبوع . فقانون الخلاف هو المسيطر على الطبيعة ، من حية وجامدة

*

والانسان، سيد هذا الكوكب، لو ان ذراريه ولدت متساوية الحظوظ في الثراء ، ما بقيت لهم هذه المساواة في الحياة طويلا . فلا بد أن يفتقر منهم هذا، ويثرى ذاك . ولا بد أن يسعد هذا ، ويشقى ذاك لانهم عندما ولدوا لم يولدوا بحظوظ متساوية ، فى اجسام وعقول وقلوب . لقد ولدوا وفيهم الطويل والقصير ، والبدين والنحيل ، والقوى الشديد ، والضعيف المسترخى. وولدوا وفيهم الابيض والاسود ، والجميل والقبيح، والذكى والغبى، والجرىء والحيى ، والشفوق والقاسى ، وكل هذه صفات

تسلك بالناس فى الحياة مسالك شتى ، تؤدى بهم الى ما سيطر على الخلائق والكون من خلاف

فالى أن نستطيع ان نسيطر على الطبيعة ، لتخلق من الناس عندالولادةخلقا واحدا، ذا كفايات واحدة وصفات واحدة ، وقوى واحدة ، فكل مجهود نحن باذلوه فى مساواة الناس بعضهم ببعض مجهود ضائع ، تأباه القدرة عند القادر ، والكفاية عند الكافى

ولست احسب أن مذهبا من المذاهب ، قديمها وحديثها ، ذهب بطلب هذه الغاية ، أعنى المساواة الكاملة بين الناس ، فى المكاسب والارزاق

ان الذى يطلبه الطالبون اليوم، وقبل اليوم ، ليس المساواة الكاملة ، ولكن حزم الامور بحيث لا يبعد الناس عن هذه المساواة بعدا كبيرا

قال رجل ممن يؤمنون بالخلاف، يحتج عند رجل ممن يؤمنون بالمساواة : « انظر الى اصابع يدك،هل جعلها الله طولا واحداً ؟! » فأجاب الآخر : «نعم،انها ليست على طول واحد ، ولكن ماذا يكون الحال لو أن الله اطال اصبعا منها أو اصبعين حتى صارتا مترا أو مترين ، أكانت يدك عندئذ قادرة ان تقبض على شىء »

فالامر اذن ليس كنه الخلاف بين الناس ، ولكن مقداره

ان الذى ارق ذوى الضمائر من مفكرين وفلاسفة ، ليس الفرق فى المتاع بين انسان وانسان ، ولكن ضخامة هذا الفرق،لاسيما تلك الضخامة التى لا يمكن أن تكون بسبب ما بين فرد وفرد من قدرة وكفاية

ولقد حاول الفلاسفة والمفكرون ، من اقدم العصور ، تقريب شقة هذا الخلاف،فأفلحوا قليلا وخابوا كثيرا . وحاول الانبياء والقديسون ما حاول الفلاسفة والمفكرون ، فانصت الناس اولا ، وسدوا آذانهم أخيراً

*

جاءت المسيحية فكرهت فى الثراء الفاحش ، وشبهت دخول الغنى فى الجنة بدخول الجمل فى عين الابرة . وجاء الاسلام فوقف من الغنى موقفا وسطا . حمد المال بحسبانه نعمة الله يهبها عبده لينفق منها فيكسب بها ثواب الله، وذمه ذخيرة للخزن واداة للغرور. وفى القرآن « ويل لكل همزة لمزة الذى جمع مالا وعدده » . وفيه « ما اغنى عنه ماله وما كسب ». وفيه « انما اموالكم واولادكم فتنة » . وفيه « الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم » . وفيه « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وفى القرآن ثلاثمائة آية فى الرحمة ومشتقات الرحمة ، ذهبت كلها أدراج الرياح

وزاد الاسلام فجعل الزكاة فرضا واجبا على كل ذى مال

لمن لا مال له ، ربع العشر يؤخذ من صنوف الاموال جميعا والمتاع.
ومات النبى ، فكان أول ما ثار العرب فارتدوا من أجله هـذه الزكاة . وتحدى العرب ابا بكر فيها فتحداهم ، وقال قولته المشهورة : « والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله لقاتلتهم على منعه »

وغلب ابو بكر . ولكن امر الزكاة،امر هذه العدالة الاجتماعية الاولى لم يدم طويلا. ورجع الناس الى طبعهم من الاثرة ورجع الخلفاء ، وصارت الخلافة من بعد ذلك « ملكا عضوضا »

وعم الشرق والغرب ، على الرغم من اسلام ذاك ونصرانية هـذا ، عمهما ضروب من الظلم رخصت عليها الحياة الانسانية ، وضاعت الكرامة الادمية ، وصارت الشعوب كالدواب عند السيد الاخرق ، تجاع وتركب

*

وجاءت النهضة أوربا ، ونفذ اليها من العرفان نور ، فقامت الشعوب ترفع عن أعناقها الغل الذى أثقلها قرونا طوالا . فكانت الثورة الفرنسية وما تبعها من ثورات . وتحرر الناس من قبضة الطغاة ، وصار امرهم شورى بينهم. ولكنه كان تحررا سياسيا لا تحررا اقتصاديا . وتحت البرلمانات ، وفى ظلال المجالس النيابية ، بقى الناس يستعبد بعضهم بعضا ، فى حقول الزرع ، وفى أسواق للبيع

ثم جاء الانقلاب الصناعى الكبير ، بانتاجه العظيم وثروته الهائلة ، فجعل فرق ما بين العامل وصاحب العمل فرقا كبيرا لم يكن يخطر لأحد ببال . وتجلت هذه الفروق فى بذخ هؤلاء حتى السفه، ومحاولة أولئك ان يسدوا أرماقهم باللعقات يلعقونها من اطراف صحون العيش وهى فارغة. وفى احضان المصانع ، وفى استراحات ما بين العمل ، خلقت الاشتراكية

وظلت الاشتراكية تداب قرابة قرن من الزمان حتى نالت ما نالت

ولقد قضت الاشتراكية بزيادة الاجور، وتقصير ساعات العمل، ثم تاميم ما استطاعت تاميمه من عمل وصناعة . فكل المرافق فى الدولة تؤمم ، والبنوك تؤمم . ثم يأتى دور الصناعة ، فهى كذلك لا بد من تأميمها . فاذا ملكتها الامة ، فكل عائدة منها تعود على الامة ، اى على الناس وعلى العمال . وليست تؤخذ هذه الاشياء من اصحابها اغتصابا ، ولكن بيعا وشراء . ثم الضرائب تفرض على كل ذى مال بنسبة ماله . وهو اذا مات لاحقته الضرائب الى باب القبر ، لتمنع من ذريته اى احتمال لثراء ضخم

وقصدت الاشتراكية بذلك الى غرضين : الحد ـ لا المنع ـ من استغلال الرجل الآجر للرجل المأجور . والحد ـ لا المنع ـ مما

تراءى لهم انه الظلم ، ذلك ولادة المولود فى غير حاجة الى عمل بالذى ورثه أبوه

ولقد كان من تطبيق المبادىء الاشتراكية ، على اختلاف درجاتها ، ان تقاربت المكاسب فى الامم ، حتى الراسمالية منها ، تقاربا كبيرا ، واصبح ذو الثراء الضخم ليس بمستطيع ان ينفق من ماله ، مع كل هذه القيود ، الا بمقدار ما ينفق الكثير من سائر الامة

*

والى جانب الاشتراكية ، خلق مذهب جديد سموه الشيوعية ، وما هو بجديد

ان الفرق بين الاشتراكية والشيوعية ، بصرف النظر عما قد نفهمه من معانى أسمائهما ، فرق ابتداء وانتهاء . انهما يبتدئان مختلفين ، ولا شك أنهما سوف ينتهيان مجتمعين

الاشتراكية بدأت بالحياة الواقعة كما هى ورضيتها ورضيت أوضاعها ، ثم أخذت فى تعديلها برفق ، وفى حذر ، وفى غير معارضة كبيرة للطبيعة البشرية خشية أن تثور . فهى تؤمن بالفروق غير الكبيرة ، وهى تؤمن بالحرية العاقلة الراجحة ، وهى تؤمن بالآمال الفردية ان لها مجالا لا يجب أن يضيق فتضيق به النفوس كما تضيق الانفاس . وهى تؤمن بحق الفرد ان يشكل حياته اختيارا ، ولكن فى غير استغلال لغيره أو عدوان عليه

أما الشيوعية فبدأت بالحياة كما خالتها أن تكون . وقد خالتها فى اول الامر كحياة الجند ، ساوى بينهم المأكل والملبس ، واقتسموا فرقا ، وأطاعوا نظاما ، وما كان لهم أن يعصوا أمرا . ونظروا الى الحياة الواقعة فوجدوها أبعد ما تكون مما خالوا ، فحطموها تحطيما ليبداوا من جديد . فالملكية ألغوها ، والارث ألغوه ، والادخار منعوه ، واستئجار الناس بعضهم لبعض فى عمل نسخوه ، فلا أجر غير الدولة ، ولا تاجر غير الدولة، ولا طاعم ولا كاسى غير الدولة . حطموا الحياة ثم بداوا من جديد يركبون من حطامها على التساوى ، من بعد دماء كثيرة سالت

ثم تدور السنون ، فاذا المتساوون يبداون يختلفون كسبا، ويختلفون نصيبا من نعمة الحياة . واضطروا تحت ضغط الطبيعة الانسانية أن يجيزوا الادخار ويجيزوا الثراء للفرد على أن تستغله الدولة له . واضطروا تحت ضغط الجبلة البشرية أن يجيزوا الارث فى حدود . ومن دلائل هذا التغيير فى المزاج أن وزير خارجيتهم يلبس اليوم « القصب » فوق سترة الدبلوماسى

فالشيوعية سوف تنتهى صاعدة ، الى ما انتهت اليه الاشتراكية هابطة

*

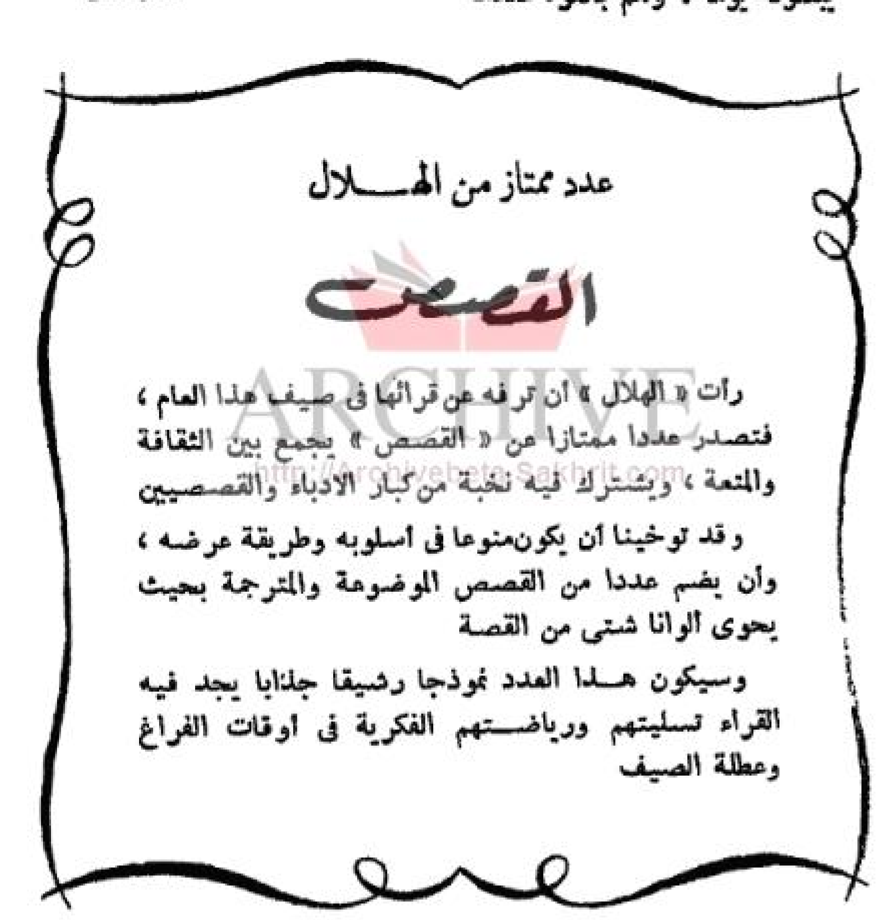
وتسأل ، فما الذى دها الشيوعية حتى تغيرت كل هذا

التغير ، وتنكرت لماضيها كل هذا التنكر ؟ دهاها ودعاها الى هـذا التغير خبرتها المرة ، ان المساواة فى الفقر تطمس العقـول النيرة ، وتخرب القلوب العامرة ، وتقتل الامل فى نفوس قضى طبعهـا الا تعمـل الا على امل . ان زعمـاء الشيوعيـة اليـوم يقولون انهم ليسوا من الشيوعية فى شيء .. وان الشيوعية ، بمعنى المساواة الـكاملة الشاملة ، هدف سوف يبلغونه يوما . وهم بالغوه عندما يصبح انتـاج الحقـل ، وانتاج المصنع ، بمعونة العلم، من السهولة ومن الكثرة بحيث يغمر النـاس ويفيض . يغمـرهم كما يغمـر النـاس ماء السماء ، وعنـدئذ لا يشكون الظمأ ، ولكن يشكون الغرق

*

وعندئذ تكون الارض كالجنـة التى وعد بها المتقون !

احمد زكى



عدد ممتاز من الهـلال

القصص

رأت « الهلال » أن ترفه عن قرائها فى صيف هذا العام ، فتصدر عددا ممتازا من « القصص » يجمع بين الثقافة والمتعة ، ويشترك فيه نخبة من كبار الادباء والقصصيين

وقد توخينا أن يكون منوعا فى أسلوبه وطريقة عرضه ، وأن يضم عددا من القصص الموضوعة والمترجمة بحيث يحوى ألوانا شتى من القصة

وسيكون هـذا العدد نموذجا رشيقا جذابا يجد فيه القراء تسليتهم ورياضـتهم الفكرية فى اوقات الفراغ وعطلة الصيف



عودة روسيا الى الدين

ان الدين ، كائنا ما كان،عنصر من العناصر التى لا تتم الحياة بدونها . حتى هؤلاء الذين قد نسميهم ملاحدة ، اغلب الظن ان لأكثرهم رأيا فى أسلوب الحياة،كيف يحياها الحى، وتصورا لما قد تكون عليه الحال من بعد موت . فهذا الرأى ، وهذا التصور ، كثيرا ما يرتفعان الى نوع من انواع العقيدة التى قد تنتهى الى أن تكون دينا ، ولو خاصا

ومن الاسئلة التى لا بد ان تخطر على بال الباحث فى روسيا ، كيف حال الدين فيها ؟

والجواب الذى لامرية فيه ، ان موقف روسيا من الدين موقف متقلب ، بين الرفض والقبول ، وبين الاذن والمنع ، ولم يبلغ قبول روسيا للدين ، ولا الأذن له أن يكون ، حد العطف ابدا

أما السبب فتجده فى تاريخ ما قبل الثورة . فالكنيسة المسيحية فى روسيا لم تكن مسيحية . كان فيها الجهل وكان فيها العنف وكان فيها الخبث والظلم ، وكانت عدوة الجديد وعقبة التقدم ونصيرة الرجعية . وكانت الى ذلك اداة سياسية فى يد القيصر وأعوانه ، يديرونها فى

مكافحة طلاب التحرر

من اجل هذا وقف رجال الثورة من الكنيسة الروسية ، وبالتبع من الدين ، موقفهم من قيصر . فكفروا بالدين كما كفروا بقيصر ، وعادوا الدين كما عادوا قيصر . فلم يكن ماركس ذا دين . ولم يكن تروتسكي ولا لينين ،ولو انهم امنوا جانب الدين وقساوسته من بعد ثورة ، ما ابهوا له ، ولا احتفلوا به ، ولكنهم كانوا يخشون ان تتحول الكنائس الى أوكار تعشش فيها المبادىء الرجعية

*

بدأ البلاشفة هجومهم على الكنيسة مع الثورة . وبلغ هذا الهجوم أشده ، بين عام ١٩٢١ وعام ١٩٢٣ ، ففى هذه الحقبة طورد القساوسة الى ابواب الموت او ابواب السجن ، فنقص عددهم نقصا كبيرا . واغلقت الكنائس، وتعطلت مادة الدستور التى قضت « بفصل الكنيسة عن الدولة، وبأن الدعاية الدينية واللادينية كلاهما مكفول » . ثم جاء دستور عام ١٩٢٤ ، بعد فتور الاضطهاد الدينى ، فقضى ، « تأمينا لحرية العقيدة ، بأن

تفصل المدرسة عن الكنيسة ». ومعنى هذا ان الدين لا تعلمه المدارس ، ولكنه يعلم فى المنازل. ويقوم على تعليمه الآباء والامهات ان شاءوا

وبلغ من غلوهم فى اضطهاد الدين ورجاله ، فى تلك الفترة ، ان أثاروا الامم عليهم . وعندئذ دعت الحاجة الى التراجع. فمرت على الكنيسة فترة هدوء ، والقساوسة،من بقى منهم، نالهم شيء من اطمئنان . وبلغ من تراجع السلطات انها اذنت بتاسيس المجمع البطريكى من جديد ، وباجتماعه ، فى يوليو عام ١٩٢٧

وجاء عام ١٩٢٩ ، فكان هذا ايذانا بتطبيق النظام الجماعى فى القرى ، وكان هذا تغييرا عنيفا ، عرفت الحكومة أن الكنائس لا ترضاه ، فاحتاطت لتنفيذه بهجوم آخر على الكنائس وأربابها. فاغلقت الكنائس بالجملة، وقبضت على القساوسة جماعة من بعد جماعة، ونفتهم الى سيبريا باعتبار انهم عناصر فى الدولة عاطلة من العمل. والدستور الذى كان يأذن بالدعاية الدينية ، جعلوه لا يأذن الا بالعبادة الدينية . فللقساوسة ان يقيموا الصلاة ولكن لا يدعون الى دين

*

وتم تطبيق النظام الجماعى عام ١٩٣٤. واضطرت الحالة الدولية روسيا أن تحتمى من العدوان فى أمن الامم ، واضطرت الى مناصرة عصبة الامم. ففى سبيل التقرب من هذه الامم ارخت للدين عندها اللجام . وبلغت من ارخائها له أنها أذنت أن تضاء الشموع فى عيد الميلاد ، واذنت للصائغين ان يصيغوا خواتم العرس

ولكنها لم تلبث أن عادت تشدده عام ١٩٣٧ ، لا على الدين ورجاله وحدهم ، ولكن على عناصر اخرى ظنت أنها تناهضها فى البلاد . وفى هذا التطهير اغلقت عشرة الوف من الكنائس

*

ثم جاءت الحرب ، فكان لا بد من تغيير السياسة نحو الدين . ان الناس ، على الحياة وعلى الصحة ، وعلى الامل فى العمر الطويل ، قد تحتمل الكفر ، وتحتمل فراغ القلب من ايمان . اما والموت على الابواب ، فلن تشجع على اقتحام اسبابه قلوب خربة غير عامرة . واحصت الحكومة كم من السكان ظل يتعلق بدين ، فوجدت ان المدن لا يزال ثلثها من المؤمنين ، وان الايمان فى القرى شمل الثلثين على الرغم من كل ما كان . فكان لا بد للحكومة ان تنحنى

ودعا روسيا الى الانحناء والملاينة ضرورات سياسية وحربية أخرى . منها ان هتلر اتخذ من عدائها للدين اداة للدعاية فيما فتح من ارضها . ومنها ان روسيا لما عادت تفتح ما حولها من امم سلافية وغير سلافية ، وجدت انها امم لاتزال

على دينها باقية . ففي سبيل تاليف هذه الامم ، وفي سبيل طلب الود من حلفائها ايضا ، تنازلت للكنيسة عن كثير

وعامل آخر ظهر في الميدان : ذلك الفاتيكان . لقد اظهرت البابوية اثناء الحرب ميولا غير هتلرية . وما احست بقرب انتهاء هتلر وتغلب روسيا حتى خافت البلشفية ، وظهرت في اوربا اكبر عدو لها . وكانت بغية روسيا أن تتمدد في اوربا . ولما كان لا يفل الحديد غير الحديد ، رات انه لا يدفع الكنيسة البابوية الا الكنيسة الروسية ، ولا يناهض البابا احد كالبطريق. فاعظمت امر هذا وسلطته وقوته وحصنته ، ثم دفعت به الى الميدان

*

وفي سبيل تحقيق هذه السياسة أعادت هي انشاء المجمع البطريكي من جديد ، وانتخبت البطريق ، وأعادته هو ومجمعه الى العاصمة بعد أن اخرج منها ، واستقبله ستالين هو ومطارنته . والكنائس التي هدمت ، لا سيما تلك التي خربها الالمان ، اعيد بناؤها بعد اجلائهم . واذنت الحكومة بتنشئة القساوسة ، وقد كادوا ان ينقرضوا ، وفتحت معهد الفقه الارثوذكسي ، وجعلت التعليم فيه بالمجان . وكفت عن نشر صحيفتها اللادينية ، واذنت بالانجيل ان يطبع ، وفتحت المطابع لبعض النشرات الدينية ؛ ومكنت رجال الدين من الاذاعة على امواج الأثير ونام في قلوب الناس الخوف من الحكومة ، واستيقظ فيها ما في جبلة الانسان من تعبد لله ، فملأوا الكنائس الوفا الوفا

وراحت الكنيسة في مقابل هذا تشيع للدولة القائمة كل التشيع ، تحابي من حابته ، وتعادي من عادته

وتحسن بذلك اليوم امر الدين ، لا شك في هذا . ولكن هل عاد الى سابق عهده قبل الثورة ؟

تعرف جواب هذا من احصاء عدد الكنائس في موسكو . كان بها عام ١٩٠٠ نحو من ٣٥٠ كنيسة . فصار فيها عام ١٩٢٧ ، ٤٠ كنيسة تعمل ، نقصت الى ٢٥ في عام ١٩٣٨ ، والى ١٥ في عام ١٩٣٩ ؛ ثم زادت الى ٤٠ عام ١٩٤٣ . وما اختتم ذلك العام حتى بلغت ٥٠ . ولا شك انها زادت من بعد ذلك

*

هذه هي حال الدين في روسيا . تعثر كثيرا ونهض قليلا . ومستقبله يتوقف على الخوف منه ، والحاجة اليه

[عن كتاب « روسيا السوفييتية » للمؤلف « دالن »]

أسطورة المساواة فى روسيا الشيوعية

فى يوم من أيام عام ١٩١٩ ، طرق باب الاستاذ المشهور « ديولسكى » طارق . وفتح الاستاذ الباب فوجد طائفة من الجند ، معهم ضابط قال له حين رآه : « ان عندك يا استاذ سريرين ، نريد منهما سريرا ، ويبقى الآخر لتنام فيه أنت وزوجك » . وشكا الاستاذ أمر هذا الضابط الى لينين . فردعليه يقول : « ان رغبة اهل العلم من أمثالك فى ان يكون لهم سرير ، وللزوجة سرير ، رغبة معقولة ، ولكن الفقراء عندنا لم يسعدهم الحظ بعد ، بأن يكون لهم حتى سرير واحد . لهذا لزم أن تعطى سريرا من سريريك »

كان هذا فى بدء الثورة ، لما كان أمر المساواة الكاملة بغية جميع الناس ، واهم شىء يعنى به رجال الثورة . كان العهد البائد ، عهد القياصرة ، عهد الفروق الكبيرة ، عهد التخمة وعهد الجوع ، عهد الدفء فى الفراء وعهد الرعشة من عرى ، عهد النعمة الضاحكة والفاقة الباكية ، عهد السلطان والجبروت اللذين لا حد لهما ، وعهد الطاعة التى لا حد لها . وانتهى العهد فلا بد ان تنتهى معه كل هذه الفروق ، كبيرها وصغيرها . لا بد من مساواة حسابية كما تساوى العشرة عشرة ، لا تسعة ولا احد عشر . وكل شىء يقوم فى طريق هذه المساواة لا بد من ازالته وتذليله

•

وفى سبيل ذلك، طلبوا المساواة فى الطعام والمساواة فى اللباس . والمساكن مسحوا ارضها ، ومسحوا حجراتها ، وعدوا نوافذها ، وقسموها بين الناس قسمة عادلة . والفلاحون قاموا الى الارض فطردوا اصحابها ، وقسموها بالسوية . والصناع قاموا الى المصانع واخرجوا اربابها ، وحاولوا ادارتها شركة متساوية . والمدن هاجت القرى واستولت على ما فيها من غلال، لتتساوى معها فى الشبع او فى الجوع . والجند نزعوا من اكتاف ضباطهم ، ومن اكمامهم ، كل شارة تدل على رياسة ، والغيت الرتب فى الجيش. وبدل ان يحكم البلاد الارستقراطيون ، وجب أن يحكمها الصناع والزراع . وكل خادم وخادمة ، لا بد ان يتعلم كيف يحكم الدولة .. فالكل اليوم متساوون . ولينين وعد الأمة أن يسوى بين أجورها ، مهما يكن العمل ، ولا يستثنى رجال الحكم وقادته

وتحقق الغرض بعد ان اسيلت من اجله دماء كثيرة

وتحقق الغرض بأن نزل اجر الفرد الى نحو ٥٧ قرشا فى الشهر

●

وبعد ثلاثة اعوام او اربعة قضوها فى ظل المساواة ، هبطت حماسة القوم لها . انها فى الشبع محبوبة ، اما فى الجوع ، فهى شيء يثير كثيرا من العناصر الى العصيان

وبدات الحكومة السوفييتية برنامج التعمير، عند ابتداء العقد الثالث من هذا القرن ، فوجدت انها لا تستطيع ان تخطو خطوة واحدة بغير أن تجرح مبدا المساواة فى ألف موضع . واذنوا للزراع فى ان يبيعوا محاصيلهم فى السوق الحرة فتباينت المكاسب. وفرقوا بين اجر العامل واجر موظف الدولة . واجور العمال انفسهم اجبروا الى احداث فروق فيها

وفى عام ١٩٢١ رسم لينين وتروتسكي وستالين سياسة للاقتصاد جديدة ، اقروا فيها بالتراجع عن مبدأ التسوية المطلقة، التى ارادتها الثورة اول الامر

وفى عام ١٩٢٢ أعلن لينين ان التراجع فى أمر المساواة قد توقف

ومن تلك السنة اخذ امر المساواة أو التفرقة يتغير بين مبادىء الثورة النظرية وحاجاتها العملية. ومع هذا، فمرور الاعوام لم يزد المساواة بين الناس الا بعدا

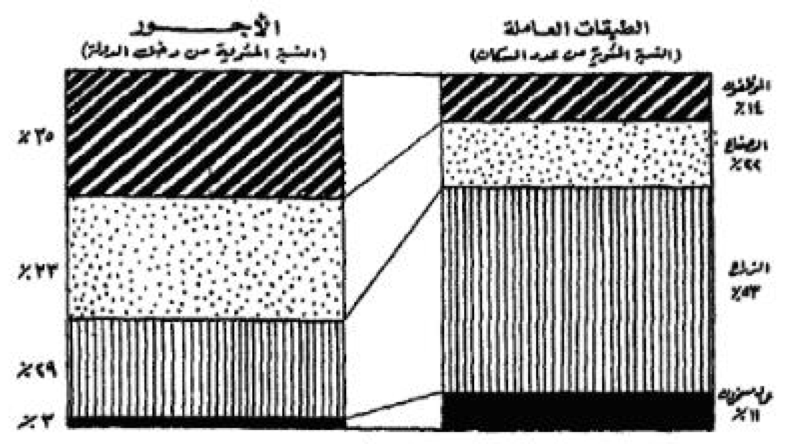
وجاء العقد الرابع بسياسة تحويل البلاد ، من بلاد زراعية عظيمة الى بلاد صناعية اعظم . واحتاج هذا الى مهارة والى فن والى علم ، الى جانب اعمال يدوية اخرى لا تمت الى المهارة والخلق كثيرا . واحتاج الامر الى حفز الهمم وتفتيق الاذهان عند هؤلاء دون هؤلاء . والهمم يحفزها المال ، والاذهان يفتقها الامل فى نعيم الحياة . فزادت التفرقة فى الاجور، واعترف لفئات باحقيتها فى أجور اكبر

وكان بطل هذه التفرقة ستالين . وقد قال عن خصومه اليساريين فى يناير عام ١٩٣٤ : « ان هؤلاء القوم يحسبون ان الاشتراكية تستلزم المساواة ، المساواة فى مطالب العيش لكل فرد من افراد المجتمع. الا ما اسخفه من رأى يخرج من فكر مهوش شتيت . ان المساواة التى نادوا بها أضرت بصنلماتنا اكبر الاضرار»

●

ورأى ستالين فى امر الاشتراكية والشيوعية رأيا طريفا . رأى ان الاشتراكية تنمو الى التفرقة فى الاجور والتفرقة فى المطالب والحاجات، ما دام ان هذه الحاجات ليست فيها الكفاية للجميع..

ورأى ان الذى بروسيا الآن ليس الشيوعية ، ولكن الاشتراكية ، وان الشيوعية ما تزال لهم هدفا لم يصلوا اليه . وانهم واصلون اليه بزيادة الانتاج، حتى يصير كل شيء من الكثرة فى رخص الملم



رسم بيانى يوضح أنواع الطبقات الأربع فى روسيا وهى : طبقة المقلين ، وطبقة الصناع ، وطبقة الزراع ، وطبقة المسخرين .
كما يوضح النسبة المئوية للأجور التى تتقاضاها هذه الطبقات

والهواء . وعندئذ تكون الشيوعية فالشيوعية لا تكون مساواة بالخفض وانما مساواة بالرفع . لا تكون مساواة بافقار الجميع ، فهذا يضعف الجميع ، وانما باغناء الجميع

●

ودخلت التفرقة الى الجيش ، فأعادوا اليه رتبه ، ومنعوا الالفة بين عالى الرتب وواطئها ، وزادوا من سلطة الضباط لتعم الطاعة

ودخلت التفرقة بين العاملين ، من يعمل براسه ومن يعمل بيده . وتكونت من الذين يعملون برؤوسهم وعقولهم ، طبقة كبيرة احتلت القمة من طبقات الأمة ، فى يدها زمام السياسة وزمام الادارة ، وهى التى تدير دولاب الدولة . وجاء من بعد هؤلاء طبقة الصناع ، ثم طبقة الزراع . وتأتى فى آخر الطبقات طبقة من يعملون مسخرين ، طبقة الذين لم يطيعوا ، ولم يرضوا هذا النظام القائم نظاما . أربع طبقات هى التى انقسمت اليها الأمة الروسية فى العصر الحاضر

اما الطبقة الاولى ، طبقة المقلين ، وتبلغ ما بين ١٢ الى ١٤ ٪ من السكان ، فلها من دخل الدولة ما بين ٣٠ الى ٣٥ ٪

واما الطبقة الثانية ، طبقة الصناع ، وتبلغ ما بين ٢٠ الى ٢٢ ٪ من السكان ، فلها من دخل الدولة ٢٣ ٪

واما الطبقة الثالثة ، طبقة الزراع ، وتبلغ نحو ٥٣ ٪ من السكان ، فلها من دخل الدولة ٢٩ ٪

واما الطبقة الرابعة ، طبقة المسخرين ، وتبلغ ما بين ٨ الى ١١ ٪ من السكان، فلها من دخل

الدولة من ٢ الى ٣ ٪

وكل هـذا اختلاف فى العمل والاجر معا . هذا الى اختلافات فردية فى مرتبات اضافية ، بلغت لبعضهم فى العام الواحد مئات الالوف من الروبيات . والروبية شلنان . وكل هذا بناء على المبدأ الجديد ، وهو أن الاجر ينقص ويزيد تبعا لنوع العمل

والـذين تزيد اجورهـم عن حاجتهم يعطـون الزيادة للدولة قرضا بفائدة . وعلى الفائدة قد يعيش صاحب القرض بلا عمل . والميراث اجازوه من بعد منع ، وفى حدود

فروسيا ، من بعد كل هـذه الثورة ، وكل هذه الدماء ، لم تنجح فى التسوية بين الناس ، الا اول الأمر، لماكانت التسوية تسوية فى الفقر ، ولكنها نجحت فى خلق طبقات متقاربة الحظوظ

[عن كتاب « روسيا السوفياتية »]

حقائق عن روسيا

• القضـاة ينتخبهم الشعب لمدة ثلاث سنوات . والقـانون الروسى يبيح للقـاضى الحـكم بالاعدام على من يرى انه خطر على الامن العام ، ولولم تقم الادلة على ذلك. ولعل ذلك من أسباب قلة الجرائم والمجرمين

• لا يستطيع المرء ان يورث ابناءه وبناته سوى المسكن ـ اذا كان يملك مسـكنا ـ والاموال النقدية والاشياء المنقولة كالسيارة واثاث المنزل . وقد صدر فى عام ١٩٤٦ قرار من المجلس الاعلى للاتحاد السـوفيتى ، يخول للمورث ـ فى حالة عدم وجود قريب له ـ أن يختار شخصا كى يرثه ، اذا شاء ذلك

• الادباء والـكتاب يتقاضون اجورا عالية .. فاذا كتب احدهم تمثيليـة وقبلت من الاكاديميـة الفنيـة ، فانه يمنح عليهـا أجرا يتراوح بين العشرين والثـلاثين الف روبل . وتخصص لهم الى ذلك نسبة معينة من ايراد المسارح التى تمثل فيها

• الموسيقيون والفنـانون ، والفنـانات ، يستمتعون بمكانة خاصة فى روسيا . وهناك راقصة تدعى « لبيسكايا » منحت وسام ستالين، وانتخبت عضوا فى المجلس السـوفيتى . وهى تربح أموالا كثيرة من عملها ، وتمتلك مجموعة من المجوهرات النادرة الثمينة

• تمكن الاديب الكسى تولستوى ، ابن اخى الكاتب الروسى الكبير ليون تولستوى ـ فى بضع سنوات ـ من جمع ثروة هائلة ، فأصبح بعد الآن من اغنى اغنياء الاتحاد السـوفيتى .. وكذلك الاديب ميخائيل شولوكوف



هذه هى « مارينا كوشيتز »
ابنة الممثل الروسى المعروف
« نينا كوشيتز » التى قامت
بتمثيل ادوار مهمة فى كثير
من افلام هوليود الأخيرة

سفيرات روسيا فى هوليود

فى هوليود ممثلون من اصل روسى .. تعتز بهم الشركات السينمائية ، وتسند اليهم ادوارا مهمة ، تتفق ومواهبهم الفنية الكثيرة . ويخيل لمن يحصى المشاهيرمنهم ، انه لابد ان يكون فى مدينة السينما عدد مماثل ، على الأقل ، من الممثلات بلغن ما بلغوا من شهرة .. ولكن الفنانات الروسيات فى هوليود ، لا يزيد عددهن — فى الواقع — على اصابع اليد الواحدة

وليس من شك فى ان لهذه الظاهرة أسبابا كثيرة .. قد يتصل بعضها بنظام الحياة فى روسيا . ولكن من بين هذه الاسباب ، الصعوبة التى تعترض الروس خاصة عند محاولتهم النطق بالانجليزية نطقا سليما يخولهم الظهور على الستار الفضى .. فبينما يجد الشبان الروس فى انفسهم من الصبر والمزية ، ما يمكنهم من تذليل هذه الصعوبة ، تجبن الحسان من فتيات الاتحاد السوفيتى عن مواجهة هذه العقبة والسعى لتخطيها

ومهما يكن من أمر .. فان الكواكب الروسيات الاربع المعروفات فى هوليود ، هن : « انا شتين » و «ماريناكوشيتز» و « ماريا أوسنبسكايا » و « ناتالى وود » التى لم تتخط بعد مرحلة الطفولة

*

ولدت « انا شتين » فى كييف عام ١٩١٠ — حسب أقوالها — ولكن الثقات يقولون انها تغالط فى خمس سنوات على الاقل . وتخرجت فى معهد التمثيل بموسكو وهى فى العشرين من عمرها ، وبدات حياتها الفنية بالتمثيل المسرحي ، فظهرت فى مسرحيات عدة مثلت فى موسكو . ثم اشتغلت بالتمثيل السينمائى فى بلادها بعض الوقت ، ورحلت بعد ذلك الى برلين حيث تعاقدت مع احدى الشركات السينمائية هناك . وصادف ان سافرت الى هوليود عام ١٩٣٤ ، فتعاقد معها مدير شركة « متروجولدين ماير » واشتركت فى السنوات الاولى من عملها فى هوليود فى افلام عدة ، كانت فيها مثار اعجاب الكثيرين وتقديرهم .. ولكن دولتها دالت بعد حين ، وغدا اداؤها التمثيلى موضع نقد شديد من كثير من الاخصائيين ،



الفنانة الروسية « أنا شتين » .. وهى
من الكواكب اللامعة فى مدينة السينما

الى أن اشتركت فى عام ١٩٤٣ فى فيلم « الفتيات الروسيات » وفى فيلمين آخرين ، فاستعادت جانبا كبيراً من تقدير الاخصائيين لها

وقد تجنست « أنا شتين » بالجنسية الامريكية ، وأمست تعد هوليود وطنا لها .. وهى تعتزم البقاء فيها ما ظلت على قيد الحياة

اما « مارينا كوشيتز » فهى ابنة الممثل الروسى المعروف « نينا كوشيتز » الذى يقيم الآن فى هوليود ، ويدير فيها مدرسة للغناء .. ولدت « مارينا » فى موسكو عام ١٩١٨ . وما أن قامت الثورة الروسية ، حتى انتقل بها أبوها الى باريس حيث قضت مرحلة الطفولة والصبا .

وفى عام ١٩٣٧ انتقلت مع أسرتها الى امريكا ، حيث تقدمت للعمل باحدى الشركات السينمائية .. فجازت الاختبار ، ولم يمض عام حتى اسند اليها دور هام فى احدى الروايات . ولكنها لم تلبث ان شغفت بالغناء ، فظلت وقتا تحيى بعض حفلات الاذاعة وتشترك فى برامج المسارح والاندية . ولكنها عادت اخيرا الى عملها فى السينما ، فاشتركت فى ثلاثة افلام فى عام ١٩٤٦

وقد تجنست « مارينا » ايضا بالجنسية الامريكية . وتعتزم الاقامة فى هوليود على الدوام

*

وولدت « ماريا اوسنبسكايا » فى مدينة تولا بروسيا عام ١٨٨٧ ،

« ناتالى وود » صغرى سفيرات روسيا فى هوليود .. انها لم تتجاوز بعد العاشرة من العمر !



وظلت ممثلة مسرحية ذائعة الصيت فى الاوساط الفنية الروسية لأكثر من ربع قرن . وصادف ان استدعيت الفرقة التمثيلية التى كانت تعمل بها لنيويورك عام ١٩٢٣ لتمثيل بعض المسرحيات الروسية فيها . واتمت الفرقة مهمتها فى بلاد العم سام ، ثم عادت الى روسيا .. ولكن « ماريا » تخلفت وظلت تمثل مع فرقة امريكية بعض الوقت ، ثم افتتحت مدرسة للتمثيل فى نيويورك . وادارتها حتى عام ١٩٣١ ، فعادت الى التمثيل مرة اخرى وتراست فرقة تمثيلية متجولة . واسترعت مواهبها التمثيلية انظار احد مخرجى هوليود ، فعرض عليها العمل فى السينما ، فقبلت . واسند اليها عام ١٩٣٦ دورا بارزا فى احد الافلام . ومنذ ذلك الحين وهى تشترك فى كثير من الافلام ، فى ادوار تناسب سنها ومواهبها

اما « ناتالى وود » التى لم تتجاوز العاشرة من العمر ، فانها ابنة روسى هجر بلاده ونزح الى امريكا منذ اكثر من خمسة عشر عاما .. وولدت ابنته « ناتالى » فى سان فرانسسكو عام ١٩٣٨ . وعلى الرغم من انها امريكية المولد ، فانها تتكلم الروسية مع والديها وجدتها فى المنزل . كانت أم هذه الفنانة الموهوبة راقصة مشهورة ، اما والدها فانه يشغل الآن وظيفة مساعد مخرج بشركة « وارنر » . وقد اكتشف مواهبها مدير الشركة التى يعمل بها أبوها ، فقام بتدريبها واسند اليها منذ اربعة أعوام دورا ابدعت فى ادائه . ومنذ ذلك الحين وهى تقوم بتمثيل كثير من ادوار الطفولة

وتعيش « ناتالى » الآن مع أبويها وجدتها فى قصر جميل فى ضواحى هوليود

[مراسلنا فى هوليود]

الجمل والقلادة



ضل لاعرابى بعير ، فحلف ان يبيعه - اذا وجده - بدرهم . واتفق أن عثر عليه بعد مدة ، فلم تسمح نفسه أن يبيعه بدرهم . وأراد فى الوقت نفسه أن يبر بقسمه .. فأحضر قلادة وثبتها فى عنق البعير ، وجعل ينادى عليه :

- الجمل بدرهم والقلادة بخمسمائة ، ولا أبيعهما الا معا

فقال رجل :

- ما ارخص الجمل لولا قلادته !

ذكريات ورسائل لم تنشر

الحب الروحي

بين الآنسة مي وأنطون الجميل

بقلم الاستاذ طاهر الطناحي

فى ليلة من ليالى الربيع الباسم كنا نتسامر فى دار اديبة الشرق الآنسة مى ، وكان معنا فقيد الادب والصحافة أنطون الجميل ، فامتد السمر الى حديث السعادة ، ومن هو السعيد فى هذه الدنيا ؟. فانبرى كل من الحاضرين يعرف السعادة والسعداء بما تهيأ له من تعريف ، وروى المرحوم انطون الجميل قصة فى هذا المعنى .. قال :

ــ مرض احد الملوك فى قديم الزمان ، واشتد داؤه ، واستعصى شفاؤه ، ثم راى اطباؤه انه لا يبرأ من مرضه الا اذا تدثر بقميص رجل سعيد ، فنهض اعوانه ورجال دولته يجوبون انحاء المملكة ، باحثين عن الرجل السعيد ليأتوا الملك بقميصه ، ولكنهم ما صادفوا احدا وسألوه : «هل أنت سعيد؟» الا كان جوابه : « لا » !

وبينما كان احد هؤلاء الاعوان يبحث وينقب ، لقى فى أعالى الجبال راعيا يسوق امامه قطيعا من الغنم ، ومعه قيثارة يعزف عليها انغاما شجية ، فسأله :

ــ وانت .. هل انت سعيد؟ !

فأجاب الراعى :

ــ اى والله .. انى لسعيد !

فقال الرجل :

ــ اذن أسرع وهات قميصك. ولك ما تريد من المال ..

ولشد ما كانت دهشته حينما اجابه الراعى باسما : « ولكن ليس لى قميص » !

فاصبحوا من ذلك الوقت يقولون : « الرجل السعيد لا قميص له » .. !

فابتسمت المرحومة مى ، وقالت : « حقا .. ان السعادة لا وجود لها . واذا وجدت فليست مما ينال بالمال. وعندى ان السعادة هى كما قال القائل :

صفاء ولا ماء ولطف ولا هوى
ونور ولا نار ، وروح ولا جسم
وطرب من لم يدرها عند ذكرها
كشتاق نعم كلما ذكرت نعم

على نفسه فليبك من ضاع عمره
وليس له فيه نصيب ولا سهم

واخذت تردد هذه الابيات التى كانت تمثل معنى من حياتها السعيدة البائسة ، الحلوة المرة فى آن واحد ، فقد عاشت للناس كادية، ولم تعش لنفسها كانسانة، وكانت حياتها الادبية كالنهر الذهبى العذب ، لا ينبع من فياض البحيرات ، ولا يصدر من مسارب الارض ، بل ينحدر من رءوس الجبال ، وينساب من أفواه السحب ، ويخطر بين الصخور فى جلال وروعة ، ويعزف فى المروج الخضراء بالحان تملأ الوادى بهجة وحياة وطربا ، ويجرى فى القفار الجدباء، فيحيلها رياضا زاهرة ، وجنات عامرة . وكلما وزع من مياهه زاد اتساعا وفيضا ، حتى اذا ادى رسالته وملأ البلاد خيرا انصب فى البحر واحتضنته الامواج

وكذلك الآنسة مى .. كانت حياتها تنساب عذوبتها فى عالم الادب ، وتفيض بعبقريتها ونبوغها على الشرق العربى ، وتفتن الادباء بروحها العذبة ، وانسانيتها الممتازة ، ونفسيتها العالية الجذابة ، فأحبها الجميع وتعشقها الادباء ، شيوخهم وشبابهم ، وهرعوا الى منتداها ، وحرصوا على مجالسها . ومن هؤلاء المرحوم انطون الجميل ، فقد كانت صلته بها صلة أدب وتقدير ، ثم تطورت الى صداقة واعجاب ، ثم كانت مودة وحبا روحيا وحلما جميلا، ثم املا شاغلا فى فترة من فترات الزمان

●

عرف انطون الجميل الآنسة مى منذ بدأت تكتب فى جريدة ابيها « المحروسة » ، بل لعله عرفها قبل ذلك ، واعجب بأدبها ، ثم اجتمع بها فى دارها ، وكان صديقا لأسرتها . وكان وقتئذ شابا ، وهى فتاة ناشئة فى عنفوان الصبا ونضارته ، فكان طبيعيا ان يفتن شاب اديب بفتاة اديبة. ولم يكن بين الفتيات اديبات فى ذلك الحين، اذا استثنينا المرحومة باحثة البادية . وكانت مى تحرر فى تلك الجريدة فصولا تحت عنوان : « يوميات فتاة » . وكان انطون يتابع هذه الفصول، وتهتز نفسه بها ، ويطرب قلبه لما فيها من المعية ادبية رائعة . وذات يوم كتبت فصلا بعنوان : «غرفة فى مكتبة » فابدعت ما شاء لها الابداع فى وصف هذه الغرفة وما فيها من معالم واعلام ، واعجب انطون الجميل بهذا الوصف البليغ ايما اعجاب ، وكتب اليها رسالة بتاريخ ١٥ ابريل سنة ١٩١٥ مدبجة بأسلوب أدبى رفيع ، فيها رقة وحنان ، وفيها شعور ومناجاة ، وهى تنم عما كان يضمره لمى من اعجاب وتقدير .. قال :

« يا مى .. !

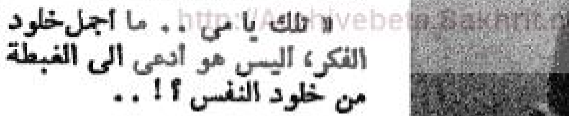
« قرأت اليوم ما كتبته فى يوميات فتاة عما جال فى صدرك من العواطف اثناء تلك الدقائق الوجيزة التى قضيتها بين صور



مشاهير الكتاب ، فى احدى غرف الجامعة المصرية ، وتلوت على مهل كمن يتلو صلاة ، أو يترنم بانشودة ما أوحى اليك من الالهام — منظر أمراء الفكر مصورين على الجدران من ديكارت ، وكورنايل ، وراسين ، وموليير ، الى فولتير ، وهوجو

« ما أجمل هؤلاء الرجال ، بل انصاف الآلهة ، تذيع مفاخرهم بعد أجيال فتاة شاعرة ، وتمجد أرواحهم بلغة لم يعرفوا منها الا الاسم ، وليدة جبل الزيتون ، وربيبة جبل الارز ، وفتاة وادى النيل تنشر مآثر عظماء ابناء السين بلغة سكان المضارب !

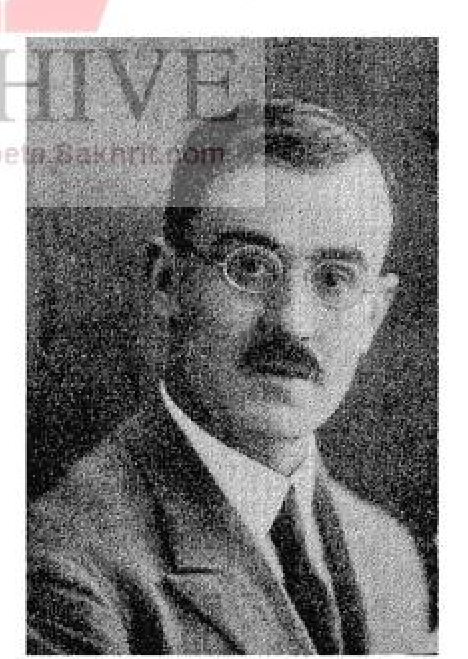

عاشت « مى » للناس كأديبة ولم تعش لنفسها كانسانة . .



« تلك يا مى . . ما أجمل خلود الفكر ، أليس هو أدعى الى الغبطة من خلود النفس ؟ ! . .

« أنت لست بالغريبة عن هذه الارواح الخالدة ، كما أنها ليست بالغريبة عنك ، فمحبو الجمال ، كمحبى الحقيقة . اولاد طين واحد ، بل أبناء أسرة واحدة

« أنا لم تقع عينى على هذه الصور التى وصفتها ، ولكنى اشك فى ان المصور الذى رسم بالوانه هيكلها الفانى قد أجاد


كانت أمنية « أنطون الجميل » العيشة بسلام : سلام مع نفسه وسلام مع الغير..

اجادتك حين صورت بألفاظك وعباراتك روحها الخالدة، وفكرها الباقى

« أنا لا أكتب اليك مقرظا ، فلقد طالما عرفك المعجبون بأدبك الزاهر ، وعلمك الوافر ، كاتبة تستولد فؤادها الرقيق اسمى العواطف ، فتلبسها مما تحيكه مخيلتها الفنية حلة قشيبة ، وتجملها بجواهر عقلها السليم ، فلا بدع اذا وصفت فأبدعت

« لا .. انا لا أكتب لأقرظ تلك التى تقرظها أعمالها وحياتها الفكرية ، بل لأدون خواطر جالت فى الصدر لدى تلاوة تلك الصفحة من اليوميات ، فحملت القلب على ابتاج التأمل والتفكير .. دونت هذه الافكار ، كما دونت تأملاتك اللطيفة فى تلك الغرفة

« صدقت : (ان للغرف ارواحا ، ولو تكلمت الجدران لكانت افصح من هوجو وفولتير) وصدق الشاعر العربى :

واستعجمت دار هند ما تكلمنا
والدار لو كلمتنا ذات أخبار

« أى نفس شاعر لا تحس مثل ذلك ؟ .. أليس القائل :

والدار تعلكنى – ويلى – وصاحبها
فلى مليكان : رب الدار والدار

«أصدق وأدرى بثنيات النفس البشرية من المتنبى حيث يقول :

وما حب الديار شغفن قلبى
ولكن حب من سكن الديارا

« على أن المتنبى قد كمل فكره هذا يوم قال :

لك يا منازل فى القلوب منازل
أقفرت انت ، وهن منك أواهل

« الم يدرك شعراء العرب هذه العاطفة احسن من سواهم حينما كانوا يستهلون قصائدهم بتحية الطلال البالية وندب الربوع الدارسة

« أنا لا أمر بمكان فيه شىء من بقايا الماضى القريب أو البعيد – أن كان فى الماضى قرب أو بعد – الا واستسلم الى التأملات المحزنة .. كم من النفوس تألمت وبكت حيث نتألم ونبكى ، ورجت وتعزت حيث نرجو ونتعزى فتعرفت مثلنا الامل المحيى ، والقنوط المميت

« أجل، لعل تلك الارواح تطل علينا من عالمها الثانى ، وتشاركنا فى دموعنا وابتساماتنا . لا شك انها ترثى لحالنا ، بل تضحك منا – تضحك من أفراحنا ونحن نعتقد انه لم يعرف الفرح احد قبلنا – تضحك من أحزاننا ، ونحن نتوهم انه لم يشعر بالحزن قلب غير قلوبنا – تضحك من حبنا ونحن نتصور أننا دون سوانا قد اخترعنا الحب

« هذه السطور يا مى ، علقيها على حاشية بحرف ضئيل على متن يومياتك الجميلة ، ولعلك فاعلة ، فينعكس عليها شىء من نور فكرك الثاقب يجعل لها بعض الرونق فى عينك المتأملة

انطون الجميل »

هذا ماكتبه انطون الى مى منذ ثلاثة وثلاثين عاما ، يوم كان شابا يافعا فى نحو الثلاثين او يزيد ، ولم تكن صلته بها تتجاوز حد الصداقة الادبية ، والتقدير العام، حتى اذا تقدم الزمن ، وتقدمت هى فى نبوغها والمعيتها وجاذبيتها ، ازداد هذا التقدير ، بل تطور الى عاطفة سامية والى حب روحى .. وان شئت فقل الى حب عذرى، تصوره هذه الرسالة التى بعث بها اليها بتاريخ ١٣ يونية سنة ١٩٢٦ . وهى واحدة من عدة رسائل مسطرة بمداد القلب ، وصادرة من اعماق النفس ، وخوالج العاطفة والوجدان .. قال .

« يلذ لى يا مى أن أخاطبك باسمك مجردا من الوصف واللقب، لأن كل وصف قليل اذا ما قيس بصفاتك ، وكل لقب ضئيل اذا ما اقترن باسمك. فاسم «مى» ، وكفاك به من وصف ولقب ، قد أصبح فى هذا الجيل يرادف حسن البيان ، وفصاحة اللسان، ونبوغ العقل ، وكبر القلب

« وبعد ، فقد طلع على كتابك مساء أمس فى ليلة العيد مع هلال الشهر ، محوطا بهالة من نور هو نور نفسك الفياض .. لا عجب اذا تقبلت ما فيه من عواطف سامية ، وما معه من هدية ثمينة شاكرا ممتنا ، فان ما دون ذلك يستوجب الشكر والامتنان ، فكيف بذلك كله محلى بما شرفتنى به من صداقة غالية !

« على انى ما أتيت الى آخر كتابك الكريم حتى مازج شعورى هذا شىء من الاحتجاج - الاحتجاج الشديد على ما نسبته الى من النقمة على خطك ، والضحك من حروفك .. ووالله ما رسم خطك الا كل بديع طريف ، ولا عبرت حروفك الا عن كل سام شريف

« تذكرين كرما منك وتلطفا ما عا نيناه فى سبيل عيد المقتطف - يا حبذا عيد المقتطف يا مى - ويا ما اعذب ما كلفنا من عناء وتعب ، فقد اتاح لى ان اعرف فيك ، فوق الكثير مما كنت اعرف من رقة الطباع ، وسداد الرأى ، والصبر على المكروه ، ما زادنى اعجابا برجاحة عقلك وسمو قلبك ، وهل للباحث المنقب الذ من استكشاف مثل تلك السجايا ؟ .. لذلك ما ذكرت تلك الكشوف ، وما حملتك فى سبيلها من المشقة ، الا شعرت بدين جديد لك على

« سأقرأ كثيرا (قاموسك الفلسفى) . وسأنظر طويلا الى الاهتين الجميلتين المرسومتين على الطابع ، ولو غضب الاستاذ عطارد !

« ريثما يتسنى لى التشرف بزيارتك قريبا أرجو أن تتكرمى بقبول أصدق العواطف من المخلص ... »

وكانت مى قد زاملت انطون الجميل فى المهرجان الخمسينى لمجلة المقتطف، وكانت هى الداعية الى هذا المهرجان ، وكان كلاهما فيه عاملا وخطيبا ، ولكن انطون

لم ينس صديقة روحه ولم يستطع اخفاء عاطفته نحوها حتى فى خطبته ، فقد اشار اليها فى اثنائها ، فقال :

« كان الاسرائيليون يحسبون سبع مرات سبع سنين ، فيكون لهم تسع واربعون سنة ، ثم يقدسون سنة الخمسين، فينفخون فى بوق الهتاف ، وينادون بعتق فى الارض لجميع أهلها ، ويرجع كل ملك الى صاحبه فتكون لهم تلك السنة يوبيلا

« هذا أصل اليوبيل كما هو مفصل فى سفر الاحبار. ويقولون ان الاسم مشتق من كلمة ، يوبل العبرية ، ومعناها قرن الكبش ، وهو البوق الذى ينفخ فيه . وجرت الشعوب على هذه السنة ، فجعلت اليوبيل موسم أفراح

« قامت تنفخ فى البوق فتاة يغني اسمها عن وصفها.. نفخت مى فى البوق أن هبوا الى الاحتفاء باليوبيل ، فالتف حولها عصبة من رجال الفضل والادب فى مصر .. نادت مى أن هبوا الى تكريم العلم فطارت تموجات ذلك النداء المنبعث من صدر فتاة الشرق الى جميع أنحاء الشرق القريب والبعيد ، وتراجع صداه بين اخواننا المهاجرين فى العالم الجديد ... »

نعم لم ينس أنطون الجميل صديقة روحه حتى فى خطبته . ولقد احتفظت هى بهذه الفقرات وحدها من تلك الخطبة بين أوراقها ورسائله التى بعث بها اليها من سنة ١٩١٥ الى سنة ١٩٢٨ .

وهى الفترة التى لم يشغله فيها شاغل عنها ، والتى تعد فترة عاطفية بين أديب وأديبة ، حتى قيل انه عرض عليها الزواج !

●

كانت اذن روح هذا الاديب الكبير فى صدر شبابه وعنفوان فتوته وكهولته تستمد وحيها من الاعجاب بمى ، وكانت عاطفته نحوها ، وتقديره لنبوغها ، وحبه لروحها العذبة ، مما أثار نفسه الادبية وقلبه الخفاق

ولعل من الطريف الذى يهم مؤرخ الادب ، أن نشير الى تلك الرسالة الرقيقة التى بعث بها اليها فى أكتوبر سنة ١٩٢٨ فهى تكشف عن مكنونات نفسين تحمل كل منهما للأخرى مودة صادقة وعاطفة مخلصة .. قال :

« أيتها العزيزة

« ودعتك ليلة سفري. وكانت كلمة وداعك وعدا باللقاء عند عودتي . ولكنك كنت عند عودتي غادرت الاسكندرية الى مصر ، ولما سافرت فى آخر الاسبوع الماضى الى مصر عرفت انك مسافرة فى اليوم التالى الى الاسكندرية. وعند رجوعي من الاسكندرية وجدت انك لا تزالين فى مصر . وهكذا شئت أن تلعب cache-cache بين الاسكندرية ومصر

« ساءنى جدا ما أصاب عينك اليمنى . سلمت عيناك اليمنى منهما واليسرى ، بل سلمت فى كلياتك وجزئياتك . وقد تجدين فى هذا الدعاء الخالص ، وهذا التمني الصادق، شيئا من الانانية.

ما دمت تعتقدين ان الانانيــة اساس جميع اعمالنا ، وعواطفنا ، فليكن ذلك .. أليس ورم جفنك الذى أخرك عن الكتابة فحرمنى التمتع بكتابك قبل اليوم .. ! »

وقد سافر فى ذلك الحين الى الاسكندرية ، وكان من عادته أن يخاطبها من المحطة قبيل قيـام القطار مكررا لها تحياته ووداعه، ولكنه فى هذه المرة حاول أن يتصل بها تليفونيا ، فلم يستطع، فبعث اليها برسالة جاء فيها :

« .. غادرت القاهرة امس ، وقد حاولت كثيرا أن اخاطبك تليفونيا من المحطة قبل السفر فلم افلح ، لان جواب السيدة عاملة التليفون كان دائما (ما بيردش) . قالت لى ذلك بالعربية، والفرنسية، والايطالية .. نحن نعرف الشىء الكثير من معاكسات سيدات التليفون ، ولكنها ما ضايقتنى مرة مثل هذه المرة فسلمت أخيرا امرى لله .. ولا اعرف الآن موعـد رجوعى الى القاهرة فان الاحوال لم تستقر ، ولكنى اتمنى أن يكون ذلك قريبا

« وأنت ، كيف انت ؟. أرجو ان تكونى على ما أرجوه لك من الصحة والهناء

« بلغت الى البحر ما زودتنى له من سلام وتحيات .. الساعة الآن متأخرة من الليل ولا يسعنى الا الانتقال بالفكر الى تلك الشرفة الشاهقة (يعنى شرفة منزلها) ذات الفضل العميم على فى مثل هذه الساعة ، فاقف طويلا عن الكتابة ضائعا فى بحار الذكريات .

بل ان الكلمات تعصانى ، فابحث عنها ولا أجدها ..

« استودعك الله يا بيبى على امل لقائك بخير وعافية . وقد اصبحت أنا

لوتر بيبى » (١)

●

تلك بعض رسائل أنطون الجميل الى الآنسة مى ، وقد طوى الزمن بينهما سنوات تمتعا فيها بهذه الصداقة الروحية ، او بهذا الحب الروحى ، ثم ضرب الزمن بينهما بالفراق ، واحدث المرض الذى أصابها فى اخريات حياتها شيئا كثيرا من الفتور ، لأنه شغل عنها فى محنتهـا ايام كانت بمستشفى العصـفورية بلبنان . وصرفته الصحافة والسياسة عن ذكراها ، فتألمت ايما تألم

على أنها مع عتابها عليه ، وتألمها منه ، كانت محتفظة بأدبها العالى ، وعفة لسانها ، وطهارة نفسها ، فلم تذكره ولا غيره بسوء . وكان شعارها على الدوام هذه الابيات التى علقتهـا فى صـدر بيتها فى اطار خاص :

إذا شئت أن تحيا سليما من الأذى
وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء
فكلك عورات وللناس ألسن
وعينك ان ابدت اليك معايباً
فصنها وقل : يا عين للناس أعين

---

(١) كلمة « بيبى » Bébé تعنى الطفل. أما كلمة « لوتر » L'autre فتعنى الآخر

وعاشر بمعروف وسامح من اعتدى
وفارق ولكن بالتي هي أحسن

وقدعاشرت بمعروف وسامحت انطون الجميل ، وفارقته قبل وفاتها بالتي هي أحسن .. ومن اللطيف انه رحمه الله سئل مرة قبيل وفاته عن شعاره فى الحياة ، فكان جوابه هذا الشعار ـ شعار مى ، صديقته القديمة ورفيقة النفس والروح

واذكر انني كنت معه فى دارها ذات ليلة ، فالتفت الى هذه الابيات وهى معلقة فى اطارها ، واخذ يرتلها ترتيلا جميلا ، وبعد ان انتهى منها ، قال :

ـ اعز ما يجول بقلبى من الامانى العيشة بسلام : سلام مع نفسى ، وسلام مع الغير .. !

ولعل هذه الكلمة الوجيزة فى مبناها ، والكبيرة فى معناها ، والتي جرت على لسانه فى تلك الساعة الوجدانية ، كانت تترجم عن حياته ، وتعبر عن اخلاقه بين الناس اصدق تعبير . فقد تعشق رحمه الله السلام فى أعماله وافكاره وفى معاملته لاصدقائه وخصومه، ان كان له خصوم ، فلم ينزع الى خصومة ، ولم تعلق بنفسه سخيمة ، ولم ينزلق الى عنف ، ولم يتورط فيما يتورط فيه امثاله من ذوى الهمة والطموح فى منافسة ، بل كان سلاحه الكفاية والجد ، ورداؤه الكفاح فى هدوء وحكمة وحب للجميع

طاهر الطناحى

الديك

وصائح صاح تباعاً فى السَّحر
قلتُ : اسألوا الصائح عن كنه الخبر
ماذا عساه قدتشكّى فى البُكر ؟
والناس مازالوا نياماً فى الحُجَر ؟
قالوا : هو الديك الى الفجر هدر
كشأنه فى كل فجر قد غبر
قلت : وماللديك والفجر الأغرّ ؟
هل يحسب الأنجم حَبّاً فابتدر
يودّ لو يلقط منها ما انتثر ؟
أو خال ما فى الشرق من نور ظهر
بريق سكين يواريه القدر
فخاف أن يدعى لذبح وانذعر ؟
قالوا : بل الديك كعُبّاد السّير
تبهره الدنيا على كل الصّور
يهتف للشمس ويدعو للقمر
وما رأى من آية إلا شكر
ورفع الصّوت جهيراً ما اقتدر
قلت له : لا فضّ فى فيك وتر
يا تالى الأوراد صبحاً والسّور
وليت نصلاً رام ذبحك انكسر
يا شاعر الأكوان من قبل البشر

محمود عماد

معهد لتخريج امهات من طراز ممتاز



مدرسة ربات البيوت



طالبة صغيرة ، تمتحنها مدرسة بالمعهد فى كيفية إعداد مائدة الصباح

كل فتاة سليمة الفطرة — مهما وفقت ونجحت في ميادين العمل — فانها تحن الى حياة زوجية هانئة ، وتحلم بمأوى مستقر في ظل بيت كريم .. فليس من ينكر أن المرأة خلقت لتكون أما .. والأمومة وادارة البيت فنان ، أهملتهما لسوء الحظ نظم التربية الحديثة . فالفتاة العصرية تتلقى العلم فى مدارس على غرار مدارس البنين من غير تقدير للفروق بين طبيعتى الفتى والفتاة

وقد فطنت احدى المربيات الى هذا النقص ، فافتتحت معهدا فريدا فى نيويورك لاعداد الفتيات لوظيفتهن فى الحياة .. والمعهد شبيه بناد تتردد عليه الفتيات من مختلف الاعمار فى أوقات فراغهن . الدراسة فيه نظرية وعملية . تتضمن الدراسة النظرية مبادىء علم النفس وآداب اللياقة وادارة حسابات المنزل ومبادىء الصحة العامة وعلم التغذية . وتتضمن برامج الدراسة العملية فنون الطهى والحياكة والتطريز ورفى الجوارب وتمريض الطفل وتزيين البيت واعداد جهاز العرس . وقد زود المعهد بجميع الادوات اللازمة لهذه الفنون ، ويقيم فيه أطفال صغار ليتدرب الطالبات « أمهات المستقبل » على وسائل العناية بهم واعداد ملابسهم وتنظيم غرفهم

والصور المنشورة تصور جانبا من نشاط طالبات هذا المعهد



أحد الأساتذة يشرح للطالبات طريقة طبع الرسوم على أطباق الزينة

يقيم بالمعهد أطفال صغار .. كي يتدرب الطالبات على طرق العناية بهم





فتاتان تتدربان فى قسم الخياطة والتفصيل بمعهد تخريج « ربات البيوت »

ندوة الهلال

المجتمع السعيد

الدكتور احمد امين بك ـ الدكتور محمد عوض محمد بك

محمد فريد أبوحديد بك ـ الدكتور ابراهيم مدكور

التفكير في السعادة سعادة .. والتفكير في حالة الأمة وأركان سعادتها وطريقة تحقيقها ضرب من اللذة الروحية التي هي أرق أنواع السعادة .. ولهذا دعت «الهلال» أربعة من رجال الفكر للتحدث في ندوتها في هذا الموضوع الذي يهم الفرد والأمة

تعريف السعادة

ـ ما هي السعادة ؟

بهذا السؤال افتتحت جلسة الندوة ، فتتالت الاجابات كما يلي :

فريد ابو حديد بك ـ لا ادرى هل للسعادة وجود ام لا .. فليس ثمة سعادة ايجابية ، بمعنى انها تتوافر في شيء بذاته . وانا لا أتصور شيئا يجد فيه الانسان السعادة الحقة .. وانما السعادة عندي شعور يحسه الانسان اذا خلا قلبه مما يكدر الحياة ـ هو شعور ارتياح ورضا . فالرجل الفقير الذي تعوزه ضرورات الحياة ، لن يكون سعيدا مهما تهيأ له ظروف أخرى قد نخالها مبعثا للسعادة . والرجل الموسر الذي يحاط بكل مظاهر الترف والعيش الرغيد ، لن يذوق السعادة ما دام يفتقر الى الطمأنينة الداخلية ، وما دامت شهواته البهيمية تضطرم في نفسه ، فتدفعه الى الاثرة والحقد والجشع وطلب ما ليس في يده

محمد عوض بك ـ يخيل لي اني اوافق على كثير مما قاله فريد بك .. فالسعادة حالة نفسية ، حالة ارتياح ورضا عن الحياة . ولكن بواعث هذه الحالة النفسية تختلف باختلاف الاشخاص وقد عبر عن ذلك أبو الطيب المتنبي ، فقال :

سبحان خالق نفسي كيف لذتها
فيما النفوس تراه غاية الألم

وفي قوله :

ذوالعقل يشقى فى النعيم بعقله
واخو الجهالة فى الشقاوة ينعم

فثمة فريق يرى السعادة فى المال ، وآخر فى الجاه والنفوذ والسلطان ، وآخر فى اشباع هوية له .. كجمع السجاجيد أو طوابع البريد او الاحتفاظ بمجموعات من آثار الاولياء والقديسين . والواقع ان العامة يرون ان السعادة اشباع الرغبات والشهوات والنزوات .. وهذا ضرب من السعادة الحيوانية ، نربأ بالانسان العاقل ان يضعه لنفسه هدفا فى الحياة

وأنا لا أوافق على أن السعادة سلبية فقط .. وانها مجرد خلو الحياة من الآلام والمنغصات . بل السعادة الحقيقية تكون نتيجة عمل ايجابى .. ففى العمل والجد والانتاج والابداع وخدمة الغير . السعادة كل السعادة . ولكى يكون المجتمع سعيدا ، ينبغى الا يسعى لتوفير ضرورات العيش فحسب ، بل ينبغى أن تكون له مثل عليا يرتفع بها عن المستوى البهيمى

الدكتور ابراهيم مدكور ــ الواقع ان صديقى يعبران عن آراء الفلاسفة الذين حاولوا أن يعرفوا السعادة . فبعضهم يغلب الاتجاه المادى ؛ وبعضهم يغلب الاتجاه الروحى . ولاريب فى انها تشتمل عليهما معا . ونحن اذا شئنا أن نحقق السعادة للفرد اوللمجتمع ، ينبغى أن نراعى الجانبين . وانا أفضل الا نسترسل فى شرح مدلول السعادة ، والا ندخل فى تفاصيل نظرية لاطائل وراءها .. ولندع القراء يفسرون السعادة باللغة التى يفهمونها .. فالمهم أن نبحث عن وسائلها ونعمل على تحقيقها

أحمد أمين بك ــ ان كلمة السعادة محوطة بالغموض ، مما جعل الناس يفسرونها تفسيرات مختلفة ، وجعل كلا من زملائى ينظر اليها من ناحية . والسعادة فى نظرى كلمة شعرية ، اذا أردنا ان ننزلها من السماء الى الارض قلنا انها تعبير شعرى عن اللذة ، وان الشقاء تعبير غامض عن الألم ، فالشخص السعيد هو الذى يتلذذ فى الحياة لذائذ اكبر ما يمكن . والشخص الشقى هو الذى يتألم فى الحياة ألما شديدا . والناس يختلفون فى السعادة والشقاء ، لانهم يختلفون فى اللذائذ والآلام . واللذائذ بالنسبة لشخص ، قد تكون ألما بالنسبة لشخص آخر . والسعيد هو الذى يجد اللذائذ فى الحياة كما يعتبرها هو لذات .. والعكس مع الشقى

واللذائذ تختلف ماديا وروحيا . وتختلف كما وكيفا . وهى كما قال الدكتور عوض سلبية وايجابية .. واللذة قد تكون لفرد وقد تكون لأمة . فالفرد السعيد من كثرت لذائذه ، والأمة السعيدة هى التى ينعم أكبر عدد منها باللذائذ

محمد عوض بك ــ أرى انه يجب أن تتوافر فى المجتمع عدة



الدكتور ابراهيم مدكور ـ الى اليمين ـ يشعل سيجارة للدكتور
أحمد أمين بك .. قبل البدء فى الحديث عن « المجتمع السعيد »

مثل عليا للسعادة حتى يجد كل فرد ما ينشده .. وليس من الضرورى أن يكون ما ينشده واحد مطابقا لما ينشده الآخر . فاذا كانت السعادة فى الزهد ، فعلى المجتمع أن يهيىء الجو الذى يلائم الزاهد ، واذا كان الغنى مصدرا للسعادة فى نظر البعض ، وجب أن يسمح المجتمع للراغبين فيه باشباع رغبتهم . ولكن يضر المجتمع أن تسوده فكرة السعادة البهيمية . فانتشار فكرة السعادة المادية والسعى وراءها ، يزعزع كيان المجتمع . لذلك ارى أن يعنى قادة الرأى فى كل مجتمع بوضع مثل جميلة تؤدى لا الى اللذة التى يراها الفرد ، وانما اللذة التى تسير بالمجتمع نحو الرقى

الدكتور ابراهيم مدكور ـ احسست بشىء من الغبطة او ان شئتم ـ كى نكون فى الموضوع ـ بشىء من السعادة ، وانا استمع لهذه الآراء . لأنها تستعرض أمامى الآراء المختلفة للفلاسفة ، لا على أنها مجرد محاكاة وتقليد ؛ وانما لأنها تعبر عن الواقع .. فالفلاسفة يعبرون عما يدور باذهان الناس . ومهما يحاول الانسان أن ينسى الفلسفة ، فان الحياة تملى علينا درسها ؛ ولكل فلسفته كما يقولون . ولكنني تفاديا للتعمق فى النواحى الفلسفية وربط كل فكرة ابداها اخوانى

براى احد الفلاسفة القدماء أو المعاصرين ، احب أن أتساءل : « هل يمكن أن نتفق على مدلول واحد مشترك للسعادة ؟ » .. اعتقد اننا لو حاولنا ذلك ورضينا به نحن الاربعة، فغيرنا لا يرضى به

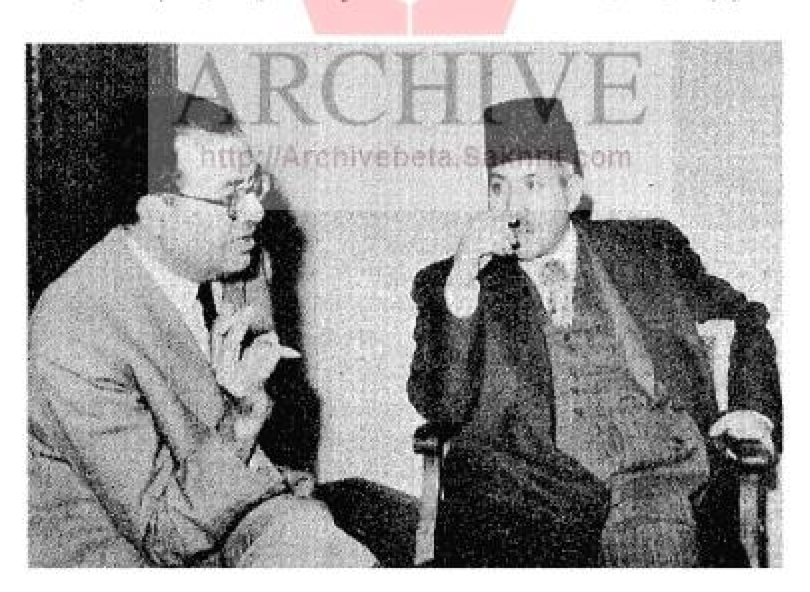
وهل هناك مصلحة فى الاتفاق ؟ .. اعتقد أن من الخير ان تبقى السعادة مثلا أعلى فيه سر وقداسة . وفى ذلك ما يدفع الانسانية الى ان تتطلبها وتسعى وراءها ، واحب شيء الى الانسان ما منعا . ولعلنا لو استطعنا ان نحددها تحديدا كاملا ، نزلنا بها عن مرتبتها وجردناها من قدسيتها، ولن يضيرنا الا نتفق على السعادة من كل نواحيها .. وانما الذى يضيرنا أن تغلب السعادة المادية على السعادة الروحية

ما هو المجتمع السعيد ؟

احمد امين بك ــ واذن فلننتقل الى النقطة التالية من البحث .. « متى نعد المجتمع سعيدا .. وهل مجتمعنا سعيد ؟ »

الدكتور ابراهيم مدكور ــ يجب أن نتفق على مبدأين .. الاول : ان المجتمع ليس مجرد مجموع وحدات مكررة من الفرد، بل هو شيء آخر غير ذلك المجموع ، وحقيقة ذات كيان مستقل . والثانى : ان لهذا المجتمع ظواهر غير الظواهر الفردية . واذن

« انى أوافق على كثير مما قاله فريد بك ، ولكن .. » هذا ما كان يقوله محمد عوض محمد بك حينما التقطت له هذه الصورة ، وترى الى اليمين فريد أبو حديد بك



سعادة المجتمع ليست سعادة بعض افراده ، بل سعادة اسمى واشمل من ذلك ترمى الى تحقيق سعادة الجميع من غير ان تخضع لهوى معين ، فهى قدر يشترك فيه كل فرد من غير ان يدعى انه من صنعه وحده

احمد امين بك — اوافق على ان المجتمع ليس كتلا من افراد .. وما اشبهه بالانسان الذى له جسم وروح . فليس الفرد عبارة عن اعضاء جسم منفصلة ، ولكنه مجموعة اعضاء تسودها روح تؤلف بين هذه الاجزاء المختلفة. ورايى أن المجتمع السعيد هو المجتمع الذى نال أفراده حقوقهم الاساسية ، فاستمتعوا بحق الحياة سواء كان ذلك بالأمن على ارواحهم ، ام بانهم قادرون على تحصيل المواد الضرورية للحياة. وكذلك نالوا حقهم فى الحرية ، سواء كانت حرية بمعنى انهم لا يسترقون ، ام بمعنى انهم احرار فيما يقولون ويفعلون فى حدود قانون عادل معقول ، كذلك لهم الحق فى ان يتعلموا كل بقدر استعداده . فالباب مفتوح امام كل فرد ليتعلم حسب استعداده ، لا يعوقه عائق من قلة مال او نقص فى وسائل التعليم

فالمجتمع السعيد هو الذى تشرف عليه حكومة تحقق هذه الحقوق للأفراد .. وليس ذلك فقط ، بل هى ترسم المثل العليا فى الحياة حتى يسعوا لتحقيقها. كما ان من شروط المجتمع السعيد ان يشعر كل فرد فيه بان عليه بجانب حقوقه التى ينالها ، واجبات يؤديها

فريد ابو حديد بك — الحياة فى المجتمع ضرورة انسانية .. اذ كان لا بد للانسان ان يعيش فى المجتمع منذ كان انسانا ، ليتمكن من الحياة بصفته فردا ، وليتمكن بوساطة المجتمع ان يحفظ بقاءه. وليس معنى وجود المجتمع انعدام الفرد .. فالافراد هم الذين يتكون منهم المجتمع . والمثل الاعلى للمجتمع عندى، ان تقتصر وظيفته على حفظ البقاء ، وعلى تمكين الفرد من الحياة بحيث لا يحرم الفرد من مزاياه وشخصيته . وعندى ان المجتمع الذى تهدر فيه انسانية فرد واحد من ملايينه ، مجتمع ظالم غير جدير بالبقاء . وارى ايضا ان ثمة اساسا هاما لقيام المجتمع السعيد ، وهو انعدام الانانية . وواجب المجتمع بصفة عامة تصوير المثل الاعلى لحياته فيما بينه وبين نفسه ، وتصوير المثل الاعلى لحياته مع المجتمعات الاخرى .. على أن يجعل أساس المعاملة فى داخله انعدام الانانية ؛ وأن يكون أساس المعاملة مع المجتمعات الاخرى العدالة الانسانية

محمد عوض بك — نحن الى حد بعيد متفقون .. فثمة ركنان للمجتمع السعيد : هما الحرية والتعاون، وتحت هذين التعبيرين يمكن ان نضع جميع المسائل التى ذكرناها فى سياق حديثنا . فحرية الفرد يكون فيها افساح

المجال لابراز كل فرد شخصيته ومواهبه ، حتى تؤتى هذه المواهب ثمرتها .. ولا اقصد المواهب الشريرة كالنهب والسلب. وحرية المجتمع يكون فيها افساح المجال للرغبات الفاضلة والنزعات الكريمة ان تؤتى ثمرتها . والحرية تشمل البعد عن الاستبداد وتوافر الحريات الاربع . اما من حيث التعاون ، فان المجتمع السعيد يجب ان يشعر انه جسم واحد.. فلا تستبد مجموعة منه بمجموعة اخرى ، بل يسود الحب والود جميع افراد المجتمع

الدكتور ابراهيم مدكور ــ انا سعيد أن نتفق لاعتبارين هامين .. اولهما : اننا بمجرد أن خرجنا الى الوقائع ، التقينا ، فشعرنا أن سعادة المجتمع لها أصول نتفق عليها جميعا ، ولايمكن الاختلاف متى نظرنا الى الاشياء نظرة خالصة . وفى رايى ان احترام الشخصية الانسانية هو الدعامة الاولى للمجتمع السعيد، وعنه تصدر كل المعانى السامية الاخرى، من حرية واخاء ومساواة وتعاون وتضافر بين الافراد . وانا سعيد ايضا لاعتبار عملى وهو ان مشكلة المجتمع السعيد الآن ليست مشكلة نظرية فحسب، بل هى مشكلة سياسية يحاول حلها قادة العالم بأساليب مختلفة.. ففريق يرى ان السعادة فى سيادة الدولة وبسط سلطانها على اكبر رقعة ممكنة ، وفى سبيل ذلك لا ضير ان يضحى بالشخصية الانسانية وبكل معنى من معانى الكرامة البشرية ، وفريق آخر يرى ان حرية الفرد يجب أن تكون فوق كل اعتبار. وها انا استبين من المناقشة ، اننا مجمعون على أن كل مجتمع تمتهن فيه الحرية الشخصية ، مجتمع شقى بائس مهما يتوافر فيه من متاع مادى.

ان سعادة المجتمع المصرى ، فى رايى ، تتطلب ان نصعد بكرامة الفرد فيه ، فلا نقبل له أن يحيا حياة هى دون ما ينبغى لبعض الحيوانات . ولا نقبل له أيضا أن يشعر ان انسانيته ادنى من انسانية آخرين من بنى مواطنيه

هل مجتمعنا سعيد ؟

احمد امين بك ــ **هل لنا ان ننتقل خطوة اخرى وننظر : هل المجتمع المصرى مجتمع سعيد ؟**

انا اظن انه لم يخلق فى العالم لاقديما ولاحديثا المجتمع السعيد كل السعادة ، وانما سعادات الامم تتفاوت . وفى رايى ان مجتمعنا المصرى تنقصه السعادة الى حد كبير . فحقه فى الحياة لم يتوافر ، والجزء الاكبر منه لم ينل وسائل الحياة الضرورية . وحقه فى الحريات ايضا لم يتوافر. وحقه فى التعليم ناقص ومحدود. ولا بد لأجل أن يكون سعيدا ، ان تكمل كل هذه الوسائل الناقصة الآن

وكل ما يبشر بالخير ويعزى النفس بعض العزاء ، ان المجتمع

المصرى لم يكن شاعرا بنقصه فشعر ، ولم يكن يطالب بحقوقه فطالب بها ، ولم تكن حكوماته ترعى هذه الحقوق فبدأت ترعاها. فان نظرنا الى الحاضر وحده المنا ، وحكمنا بنقصان سعادته . ولكن ان نحن نظرنا الى تاريخ مجتمعنا فى العصر الحديث ، شعرنا بالامل فى انه سيكمل نقصه ، سواء كان من ناحية نضوج افراده ام نضوج حكوماته

وكل ما يصح أن نلفت النظر اليه ، ان السعادة مبنية على مطالبة بحق واداء واجب ، وان المجتمع المصرى يشعر بحقوقه اكثر مما يشعر بواجباته ، وعليه لنيل السعادة ان يعادل بينهما

فريد ابو حديد بك ــ احسن احمد امين بك فى انه لم يجعل المجتمع المصرى وحده هو البعيد عن السعادة . فان المجتمعات الغربية لم تستطع بعد ان تحقق السعادة المنشودة ، لفرط اندفاعها وراء وهم السيادة والسلطة والسيطرة على شعوب الانسان الاخرى . واعتقد ان الشعب المصرى وان كانت تنقصه عناصر كثيرة مما يحقق السعادة ، يتمتع بكثير مما يساعد على تحقيقها ، فهو شعب عامل منتج عريق فى المدنية ذو مبادىء سامية تخلفت له من تلك المدنية القديمة. والذى ينقص هذا المجتمع فى نظرى شىء واحد ، هو تجرده من الانانية . واعتقد ان الانانية فى مجتمعنا المصرى تعود بالشقاء على الاقوياء ، اكثر مما تعود على الضعفاء ، فالاقوياء الذين لايمدون ايديهم بالمساعدة ، محرومون من عنصر من اكبر عناصر السعادة. واملى عظيم فى ان يحس قريبا الاغنياء والاقوياء بنقصهم ، ويسارعوا الى اداء واجباتهم نحو المجتمع . فاذا تم ذلك فاملى كبير فى مستقبل مجتمعنا

محمد عوض بك ــ انا متفائل . . فمع التسليم بأن ركنى السعادة فى المجتمع وهما : الحرية والتعاون غير متوافرين تماما ، غير أن هنالك جانبا عظيما من كل منهما . ولعل القسط المتوافر فيه من الحرية اكبر من القسط المتوافر من التعاون ، ولا تزال فى المجتمع المصرى عقيدة خاطئة تدفع الفرد الى السعى لتحقيق مآربه الخاصة غير مكترث لما يصيب غيره ، ولذلك شاعت الانانية والاثرة فى جميع أوساطه . ومتى امكننا محاربة هذا الداء فاننى اعتقد ان تحقيق السعادة للمجتمع يغدو سهلا ميسورا

الدكتور ابراهيم مدكور ــ يعجبنى التفاؤل ، فأقل ما نفيد منه أن يدفعنا الى الامام ويعرض امامنا صورا شيقة جذابة . . ولكننى فى الواقع أحس بشىء من التشاؤم . ذلك لأن الحاضر لا يبعث على كثير من الطمأنينة ، والمستقبل محفوف بشتى المخاطر ويكفى أن اشير الى أمرين :

اولا ــ اضحى العالم الآن صغيرا جدا ، واصبحت الافكار

تتصــل من اقصى الارض الى اقصاها بمجرد فتح زر الراديو .. وأنا أخشى ان لم نساير التطور العالمي أن نفاجأ بما لا نحب . وقد يبعث المستقبل على الامل ، ولكن الواجب يقضي ان نخطو سريعا لنخرج من الحاضر البغيض. فالقلق الآن عام .. وعلاج هذا القلق عمل حاسم حازم سريع ، فهل آن لنا ان نأخذ في اسباب ذلك ؟

ثانيا — لدينا مثل عليا كثيرة نرددها ، غير أنها — على ما يبدو — تجتاز الآن شبه أزمة ، لم تقف عند سواد الشعب بل تعدته الى بعض القادة . فهناك تهاون في الواجب وعدم تقدير كاف للصالح العام . وكما قال فريد بك .. الانانية فاشية بيننا الى حد كبير

قد اكون متشائما أكثر مما يجب .. ولكن تفاؤل ثلاثة سوف يتغلب على تشاؤم واحد .. وأنا رجل ادين بمبدأ الاغلبية دائما .. فلأكن اذن متفائلا مع المتفائلين

احمد امين بك — هذه الجلسة مثل طيب واقعي للسعادة .. فالتفكير في السعادة سعادة والتفكير في حالة الامة وشروط سعادتها ، وكيف نحصل عليها ، وكيف نتقي أسباب الشقاء .. كل هذه ضروب من اللذة الروحية التي هي ارقى أنواع السعادة . ولعل تجاوب حديثنا مع قرائنا يخلق نوعا من التفكير يبعث على سعادة الفرد والمجموع

الخلاصة

● ان المجتمع الذى تهدر فيه انسانية فرد واحد من ملايينه ، مجتمع ظالم غير جدير بالبقاء

● للمجتمع السعيد دعائم ثلاث : الحرية الشخصية ، والتعاون ، وانعدام الانانية

● مجتمعنا يشعر بحقوقه اكثر مما يشعر بواجباته .. وعليه لنيل السعادة أن يعادل بينهما

● يقولون أن الحسن عدو الاحسن .. والحسن أن يكون الانسان سعيدا ، ولكن الاحسن ان يكون الجميع سعداء . فسعادة الفرد الحقة في ان يكون عضوا سليما في جسد كله سليم

● يجب أن نخطو سريعا لنخرج من الحاضر الشقي الى جو آخر يقربنا من السعادة . فالقلق عام .. وعلاجه ينبغي أن يكون سريعا

● اذا نظرنا الى تاريخ مجتمعنا في العصر الحديث ، شعرنا بالامل في انه سيكمل نقصه وشيكا ، سواء كان من ناحية نهوض افراده أم حكوماته

صلوات فى هيكل الحبّ

للمرحوم أبى القاسم الشابى

الشاعر التونسى

عذبة أنت ، كالطفولة ، كالأحـ لام كاللحن ، كالصباح الجديد
كالسماء الضحوك ، كالليلة القمـ راء كالورد ، كابتسام الوليد
يا لها من وداعة وجمال وشباب ، منعم أملود !
يا لها من طهارة ، تبعث التقـ ديس فى مهجة الشقى العنيد !
يا لها رقة ، تكاد يرف الـ ورد منها فى الصخرة الجلمود !
أى شىء تراك ؟ هل أنت « فينيـ س » تهادت بين الورى من جديد
لتعيد الشباب والفرح المعـ سول للعالم التعيس العميد !
أم ملاك الفردوس جاء الى الأر ض ليحيى روح السلام العهيد !
أنت . . ما أنت ؟ . أنت رسم جميل عبقرى من فن هذا الوجود
فيك ما فيه من غموض وعمق وجمال مقدس معبود
أنت . . ما أنت ؟ أنت فجر من السحـ ر تجلى لقلبى المعمود
فأراه الحياة فى مونق الحسـ ن وجلى له خفايا الخلود
أنت روح الربيع ، تختال فى الدنـ يا فتهتز رائعات الورود
وتهب الحياة سكرى من العطـ ر ، ويدوى الوجود بالتغريد
كلما أبصرتك عيناى تمشيـ ن بخطو موقع كالنشيد
خفق القلب للحياة ، ورف الز هر فى حقل عمرى المجدود
وانتشت روحى الكئيبة بالحب وغنت كالبلبل الغريد
أنت تحيين فى فؤادى ما قد مات فى أمسى السعيد الفقيد
أنت أنشودة الأناشيد ، غنا ك اله الغناء رب القصيد
فيك شب الشباب ، وشحه السحـ ر ، وشدو الهوى ، وعطر الورود
وتراءى الجمال يرقص رقصا قدسيا على اغانى الوجود

وتهادت فى أفق روحك أوزا ... ن الأغانى ورقة التغريد
فتمايلت فى الحياة كلحن ... عبقرى الخيال ، حلو النشيد :
خطوات سكرانة بالأناشيـ ... ـد وصوت كرجع ناى بعيد
وقوام يكاد ينطق بالألـ ... ـحان فى كل وقفة وقعود
كل شىء موقع فيك ، حتى ... لفتة الجيد واهتزاز النهود
يا ابنة النور ، اننى انا وحدى ... من راى فيك روعة المعبود
فدعينى اعيش فى ظلك العذ ... ب وفى قرب حسنك المشهود
عيشة للجمال والفن ، والالـ ... ـهام والطهر والسنا والسجود
عيشة الناسك البتول يناجى الر ... ب فى نشوة الذهول الشديد
وامنحينى السلام والفرح الرو ... حى يا ضوء فجرى المنشود
وابعثى فى دمى الحرارة ، على ... اتغنى مع المنى من جديد
وابث الوجود انغام قلب ... بلبلى ، مكبل بالحديد
فالصباح الجميل ينعش بالدف ... ء حياة المحطم المكدود
انقذينى ، فقد سئمت ظلامى ! ... انقذينى ، فقد سئمت ركودى
آه يا زهرتى الجميلة لو تد ... رين ما جد فى فؤادى الوحيد !
فى فؤادى الغريب تخلق اكوا ... ن من السحر ذات حسن مزيد
وشموس وضاءة ونجوم ... تنثر النور فى فضاء مديد
وربيع كأنه حلم الشا ... عر فى سكرة الشباب السعيد
وطيور سحرية تتناغى ... كأناشيد حلوة التغريد
وقصور كأنها الشفق المخـ ... ـضوب أو طلعة الصباح الوليد
وغيوم رقيقة تتهادى ... كأباديد من نثار الورود
وحياة شعرية هى عندى ... صورة من حياة أهل الخلود
كل هذا يشيده سحر عينيـ ... ـك والهام حسنك المعبود
وحرام عليك أن تسحقى آ ... مال نفس تصبو لعيش رغيد
منك ترجو سعادة لم تجدها ... فى حياة الورى وسحر الوجود
فالاله العظيم لا يرجم العبـ ... ـد اذا كان فى جلال السجود

ابو القاسم الشابى



في مدينة « كوري » بولاية « جورجيا » القديمة بروسيا ، بيت مؤلف من طابق واحد ، ولد فيه ستالين سنة ١٨٧٩، وبالقرب منه بناء متواضع كان مقرا للمدرسة الاولية التي درس فيها ستالين . وقد اهتمت الحكومة الروسية بالاحتفاظ بهما ، وجعلتهما متحفين وطنيين .. يتردد عليهما الآن الشعب الروسي من جميع الولايات في بعض المناسبات الخاصة

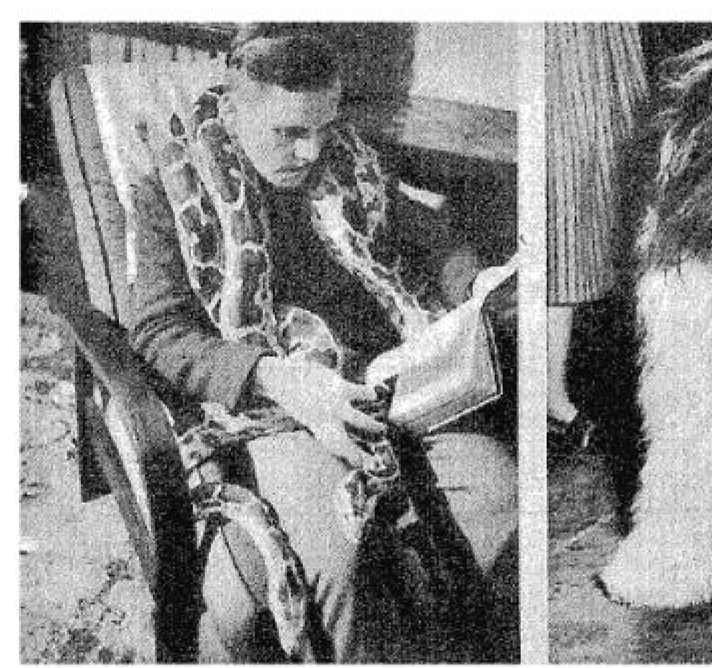
الف احد الشعراء الروس كتابا يتضمن مجموعة قصائد غرامية ، يناجي فيها الشاعر حبيبته . واهدى الناشر - كالمعتاد - نسخة منه الى ستالين . فقال ستالين للناشر بعد ان اطلع على الكتاب : « مثل هذه الكتب لا يصح ان يطبع منها أكثر من نسختين .. نسخة للعاشق واخرى للعشيقة» وسرعان ما سحب الكتاب من المكتبات ، فالشعب الروسي يحرص على الا يقرأ شيئا يستهجنه ستالين

سئل برنارد شو مرة عن الفارق بين الشيوعية والاشتراكية ، فقال متهكما : «ليس في العالم بأسره من يستطيع ان يفهم الفارق بينهما سوى رجلين : ستالين .. وانا »

التعليم الجامعي في روسيا ، ميسور لكل طالبة وطالب يثبت مقدرته على مواصلة الدراسة الجامعية . ويصرف للجامعيين والجامعيات راتب خاص يسمى راتب « التلمذة »

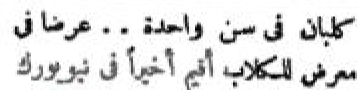
لاحظت احدى الشركات الامريكية التي تصدر البيض أن نسبة معينة تكسر منه اثناء الشحن او اثناء تسجيل اسم الشركة عليه ، مهما يبذل من العناية في سبيل الاحتفاظ به سليما .. فلجأت اخيرا الى استخدام آلات خاصة لتفريغ محتويات البيض - دون تعريضها للهواء - في اغلفة محكمة الغلق ، مصنوعة من مادة غير قابلة للكسر ، ولها مزايا الاغلفة الطبيعية

في المزارع التعاونية الروسية ، يعطى العامل اجرا معينا . وفي آخر العام يجمع المحصول ويقدر ثمنه ، فما زاد عن أجور العمال



كلبان فى سن واحدة .. عرضا فى معرض للكلاب أقيم أخيراً فى نيويورك

لا تلذ له القراءة إلا إذا التحف هذين الثعبانين الأليفين .. والجنون فنون !



ومصاريف المزرعة .. يوزع على العمال طبقا لعدد أيام عملهم . ويقضى النظام المتبع بأن العمال الذين ينتجون ٥٠٪ أكثر من متوسط الانتاج ، يحسب يومهم بيومين ، والذين ينقص انتاجهم ينقص عدد أيامهم

للهيئات الدبلوماسية الاجنبية فى كل دولة رئيس فخرى ، هو أقدم ممثليها وأكبرهم درجة يطلقون عليه اسم « العميد » . وهو ينوب عن زملائه فى رفع التهانى فى الاعياد الرسمية الى رئيس الدولة التى يمثلون بلادهم

فيها ، ويعاونهم على تفهم مراسم الدولة . وزوجة العميد تسمى « العميدة » .. وهى كزوجها تتمتع بمركز أدبى ممتاز بين زوجات الممثلين وموظفى الهيئات . ويرجعن اليها عادة فى مشكلات المراسم والتقاليد

أنشىء فى روسيا منذ عام ١٩٣٥ معهد يعرف بالكلية الدبلوماسية . الغرض منه اعداد الشبان والشابات الممتازين ، كى يشغلوا المناصب المختلفة للسفارات والمفوضيات الروسية فى الخارج . وهم يدرسون فى هذه الكلية قواعد

البروتوكول والقانون والاقتصاد واللغات الاجنبية وغيرها من المواد الضرورية للممثلين السياسيين ومعاونيهم

مرض اديب معروف ، فذهب الى أحد الاطباء . ولما فحصه الطبيب كتب له الدواء وقال له : « انصحك ان تقل فى الطعام ، وان تكف عن التدخين وشرب الخمور » فقال له الاديب : «افعل ذلك منذ زمن بعيد » . وساله الطبيب « ومن وصف لك ذلك قبلى ؟ » قال الاديب : « الفقر يا سيدى الطبيب ! »

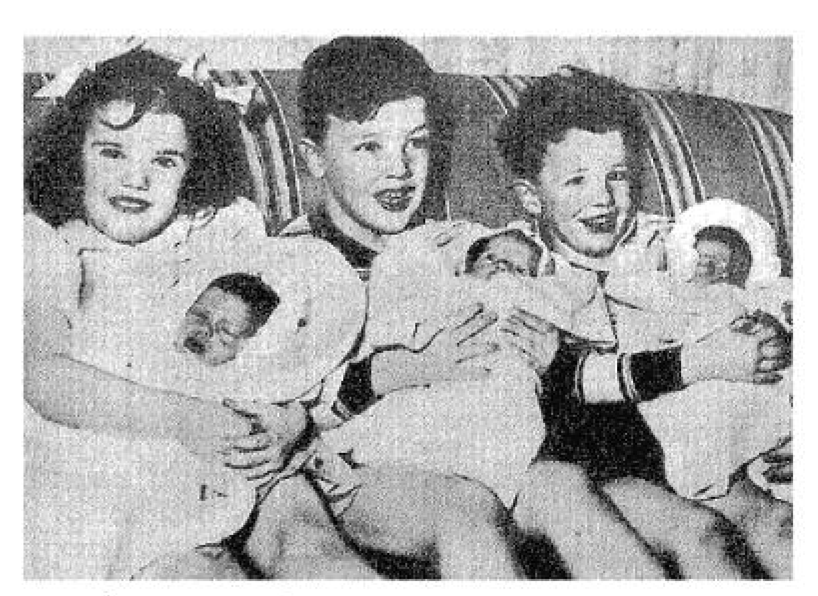
لا يزال يلجأ البعض فى الصين الى لفيف من الكهنة ، قبل ان يشيد الواحد منهم لنفسه بيتا او مؤسسة صناعية او تجارية على قطعة من الارض — يلجأ اليهم كى يفحصوا له المكان ويستوثقوا من خلوه من الارواح النجسة . ويزعم هؤلاء الكهنة أنهم يكشفون عن الارواح بطرق « علمية » لا يعرف سرها غيرهم !

كان « جولويس » بطل الملاكمة المعروف عاملا يشتغل مع والده فى مصانع فورد . واتفق أن رأى مدير القسم يركل والده بقدمه، فما كان من الابن الزنجى الا ان هجم على المدير ولكمه لكمة ، كانت سببا فى طرده، وحافزا على التفكير فى احتراف الملاكمة التى يربح منها الآن الوف الدولارات فى الحفلة الواحدة

من المراسم الدينية فى سيام ، ان يقضى كل مواطن شهرين على الاقل ابان حياته فى أحد الاديرة. يعكف فيهما على العبادة والزهد والابتعاد عن الملذات

انعقد مجلس شورى النواب لاول مرة فى مصر فى ٢٥ نوفمبر سنة ١٨٦٦ ، وافتتحه اسماعيل باشا بخطاب ، جاء فيه : « كثيرا ما كان يخطر ببالى ايجاد مجلس شورى النواب ، لانه من القضايا المسلمة التى لاينكر نفعها ومزاياها أن يكون الامر شورى بين الراعى والرعية ، كما هو مرعى فى أكثر الجهات . ويكفينا كون الشارع حث عليه بقوله تعالى «وشاورهم فى الامر » وبقوله « وأمرهم شورى بينهم» . فلذا استنسبت افتتاح ذلك المجلس بمصر،نتذاكر فيه المنافع الداخلية ، وتبدى به الآراء السديدة »

كان لويد جورج يخطب مرة فى أحد الاجتماعات السياسية. . وبينما هو يتحدث عن مبادئه وأهدافه ، قاطعه أحد المعارضين قائلا : « وهل نسيت أصلك . .



توائم ثلاثة . . لم يبلغوا الخامسة من العمر ، حتى رزق أبواهم « بدفعة » أخرى مؤلفة من ثلاثة أطفال . وهاهو ذا الجيل القديم يحمل الجيل الجديد مزهواً باسماً

الم يكن ابوك بائعا متجولا ، يبيع الخضر على عربة يجرها حمار ؟ » فقال لويد جورج في هدوء : « نعم . هذا صحيح ، ولكن العربة تحطمت ولم يبق أمامي الا الحمار ! »

المتاجر في روسيا على نوعين . . المحال التعاونية ، وهي التي تبيع المواد الضرورية للعيش من غذاء وكساء ، يشتريها الفرد بأسعار محددة مقابل قسائم التموين . والمحال الحرة ، وهي ايضا ملك للدولة ، ولكنها تبيع المواد الكمالية ، كالفودكا وأدوات الزينة ، بأسعار مرتفعة جداً . ولذلك لا يتردد عليها سوى أصحاب الدخل الكبير

يستخدم ستالين في تنقلاته قطارا خاصا تقوده فتاة روسية تدعى « سنيدا ترويزكايا » ، يثق فيها ستالين ويفضلها ، في هذه المهمة ، على اى رجل في الاتحاد السوفييتي !

اهتم أحد كبار الاطباء بدراسة اثر الخمور والتدخين في لبن الأم . وقد وجد أن افراط الامهات في الشراب ، قد يسبب وجود نسبة من الكحول في البانهن . ويقول هذا الطبيب انه شهد حالة طفل ، عمره ثمانية أيام ، مات متسمما بالكحول ، لان أمه ارضعته وهي مخمورة . اما التدخين ، فقد وجد

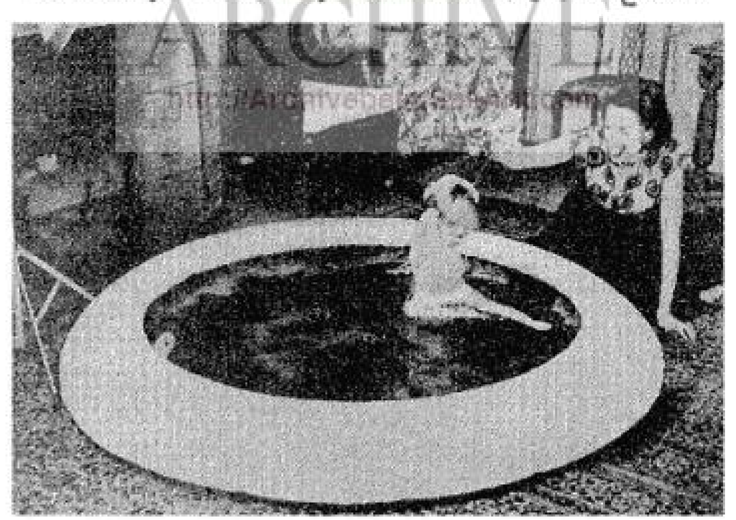
انه فى حالات كثيرة يقلل لبن الام، وان الافراط فى التدخين قد يؤثر ايضا على صحة الطفل بما يصل اليه من « نيكوتين » عن طريق الرضاعة

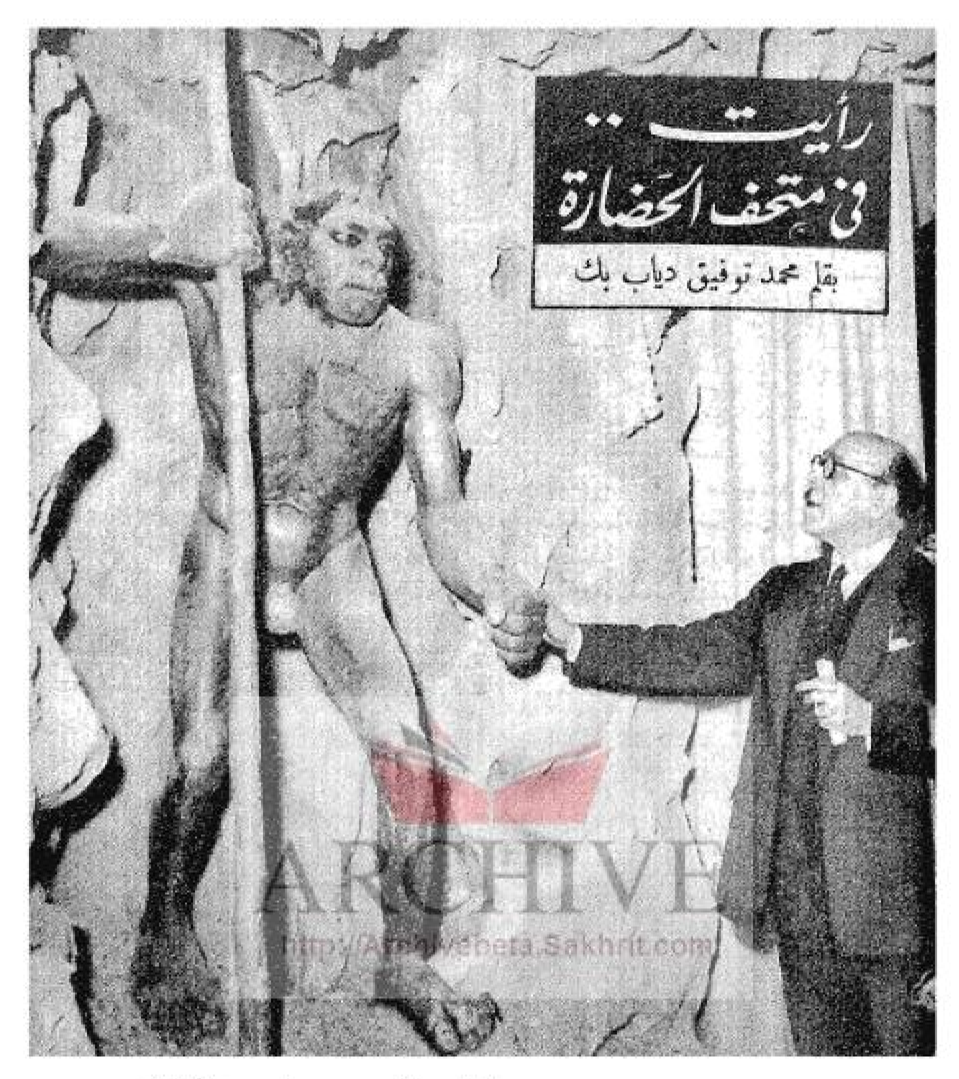
يقدر عدد السيارات التى يملكها الامريكيون بنحو ٢٥ مليون سيارة ، أى بمعدل سيارة لكل خمسة اشخاص من مجموع سكان الولايات المتحدة

يقرر سير « جون أور » ، احد الاخصائيين العالميين فى شؤون الصحة العامة، أن اكثر من ٢٢ مليونا من سكان انجلترا يعيشون الآن على ما هو أقل من الحد الادنى للتغذية الصحية، وان نصف عمال انجلترا يسكنون فى الوقت الحاضر، بيوتا لا تتوافر فيها القواعد الصحية

اصدرت مصلحة البريد المصرى طوابعها للمرة الاولى عام ١٨٨٦ . . اما الطوابع التى صدرت قبل ذلك التاريخ ، فيما بين عامى ١٨٣٠ ، ١٨٨٥ ، فقد كان يصدرها مكتبان احدهما انجليزى والآخر فرنسى . وفى عام ١٩٢٦ ، أصدرت المصلحة طابعا تذكاريا بمناسبة افتتاح مدينة بور فؤاد ، تبلغ قيمته الآن فى سوق الهواة نحو اربعين جنيها مع أن قيمته الاسمية خمسون قرشا

للاطفال ولع شديد بالماء . . وقد أوصت الكوكب السينمائى « جنكس فالكنبرج » بعمل حوض « منزلى » للسباحة ، يرى فى الصورة داخل حجرة الضيافة





رجل العصر الحجرى . . وترى من اليمين محمد توفيق دياب بك ينظر اليه ويلمس يده كمن يحييه

من الهام الفاروق ذلك المتحف الرائع ـ متحف الحضارة ...

هو فكرة سامية أوحي بها جلالته ، فتوفر على تحقيقها اعلام التاريخ ونوابغ الفن الجميل، توفروا على تحقيقها سنين،حتى ابرزوا ذلك العمل المجيد !

خضارة مصر ـ والسودان أيضا ـ منذ نبتت بواكيرها الاولى قبل التاريخ بعشرات

القرون الى عهدها الحاضر ، هذا الذى رفع فيه ملكها المحبوب علمها الجديد على قلعة الجبل .. هذه الحضارة الضخمة الفخمة العريقة فى القدم ، المتصلة الحلقات على مدى الاجيال ، اصبحت اليوم فى هذا المتحف صورا معروضة عليك فى لوحات ، وشخوصا مجسمة بين يديك فى تماثيل ، ونماذج مصغرة للاحداث والاشياء ، تحملك بنظرات العين، على اجنحة الخيال ، من عصر البداءة وراء الافق المنظور ، الى عصر الفراعنة الامجاد ، فعصر الاغريق والرومان ، فالعصر القبطى ، فالعربى ، فالعثمانى ، فعهد الحملة الفرنسية ، فالعصر العلوى الحديث الذى يستعيد مجده اليوم على يد الفاروق

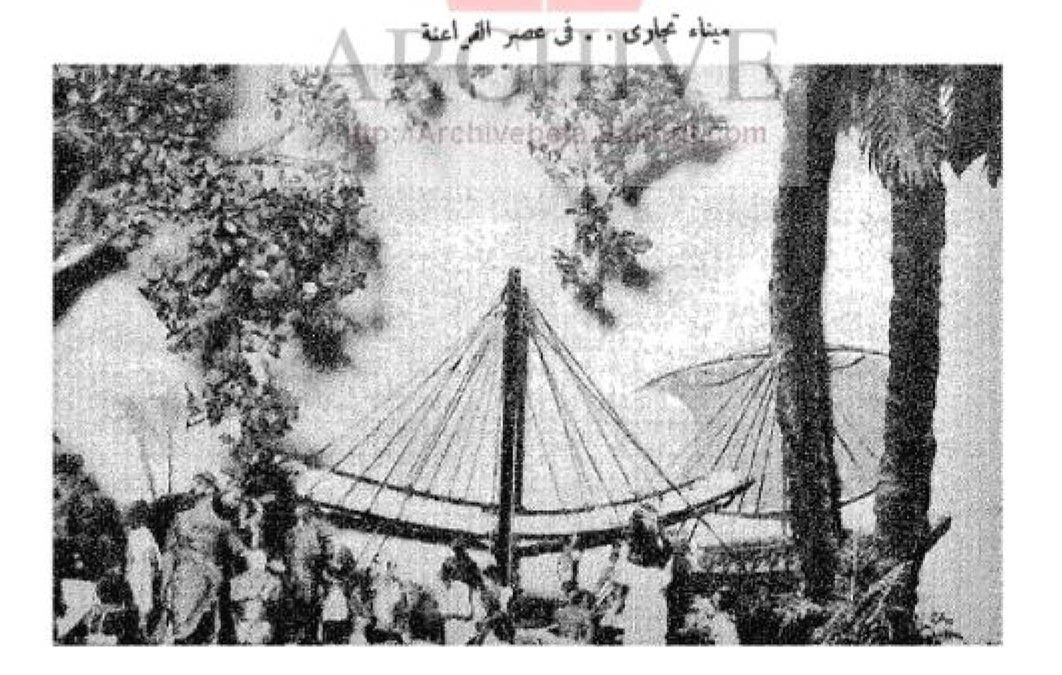
وانها لاحدى العجائب هذه الثمرة التى اوحى بها المليك

*

انها لعجيبة من عجائب العلم والفن تشبه المعجزة . فهذه الحجرات التى يتألف منها متحف الحضارة ، قد يطوف بها الطائف العاجل من الزائرين فى دقائق . ولكن كل لوحة فيها ، وكل تمثال او دمية ، او حشد من التماثيل والدمى ، وكل مشهد ونموذج ومنظر ـ يمثل حقبة من التاريخ، او جليلة من جلائله ، او طورا من اطواره ـ مما استغرق تتابعه الوف السنين !

فاذا امعنت النظر ولم تعجل ، واذا درست كل صورة مرسومة ومشهد مجسم ، فى تلك السلسلة من الحجرات المتجاورات والعصور

ميناء تجارى .. فى عصر الفراعنة



لوحة تمثل جانباً من جامعة الاسكندرية القديمة

المتواليات ، دراسة تفهم وتعمق ، شغلك ذلك يوما او بعض يوم ، ثم تخرج وقد انطبعت فى مخيلتك واستقرت فى ذهنك مراحل الحضارة المصرية ، من لدن نشات نشأتها الاولى فى مجاهل الماضى السحيق ، الى اليوم الذى تقرأ فيه هذا المقال !

*

هذه الفكرة الملهمة اوحى بها صاحب الجلالة الى المجلس الاعلى للجمعية الزراعية الملكية ومديرها سعادة فؤاد اباظة باشا فى مذكرة من وضع جلالته ، يرجع تاريخها الى اليوم السادس من شهر ابريل سنة ١٩٣٩

وقد جاء فى تلك المذكرة السامية ما معناه : ان مصر هى البلد الوحيد الذى يتميز تاريخه بآثار باقية ، تدل على مراحل التطور فى حضارته على اختلاف الازمنة من قبل التاريخ الى ايامنا الحاضرة

فما هو الا ان انهيت رغبة المليك الى علماء التاريخ ورجال الفنون بوزارة المعارف ، حتى تالفت منهما لجنتان ، عكفت احداهما على الدراسة العلمية للمصادر التاريخية فى كل لغة ، لكل حقبة ، وعكفت الاخرى على الدراسة الفنية لطرائق العرض والاخراج ، حتى تأتى النماذج واللوحات والتماثيل ومختلف الرسوم والاوضاع ، تعبيرا فنيا صادقا عن تحقيقات تاريخية صادقة

فهل يعجب القارىء حين يعلم أن بحوث العلماء قد استغرقت ثلاث سنوات ، وان اقامة رجال الفن لنماذج المتحف على النحو الذى وضعه رجال التاريخ ، قد استغرقت ثلاث سنوات آخر !

اذن سيزول العجب حين يتاح لجمهور المثقفين وطلاب الثقافة زيارة متحف الحضارة ـ بل تحفة الحضارة !

سيعلمون يومئذ علم اليقين اية يد كريمة اسداها الفاروق المعظم

الى تاريخ بلده العظيم . واى سبيل سهل ميسر اتاحه جلالته لكل من يريد أن يقف على ماضى هذا الوطن قبل أن يطلع فجر حضارته ، وبعد ان بزغ ، وحين سطعت فيه شمس الحضارة تملأ المعمور ، وحين مالت الشمس الى الغروب ، وبعد ان تبدل النهار ليلا ، وبعد ان طلع فى العصر العلوى فجر جديد فشمس جديدة ، وبعد أن غامت السماء غيم الاحتلال ، وبعد ان اخذت السحب تنقشع شيئا فشيئا عن شمس الامل والعمل والاستقلال

وسيعلم جمهور المثقفين وطلاب الثقافة اى علم غزير وتحقيق دقيق يشهد به متحف الحضارة لمؤرخينا الأجلاء ، واى فن رفيع وخيال خصب بديع يشهد به ذلك المتحف الفذ بين المتاحف — لرجال الفنون الجميلة فينا ، من رسام ومثال واخصائى فى التنسيق والتجميل !

واقول « المتحف الفذ بين المتاحف » — واعنى ما اقول !

فليس فى اوربا ولا فى امريكا متحف يفى بالغرض الشامل الكامل الذى يفى به متحف الحضارة القائم اليوم فى سماء قصر الجمعية الزراعية الملكية . ليس فى اى بلد من بلاد الدنيا متحف يمثل حضارة امة منذ ان نشأت نشأتها الاولى الى يومها الحاضر فى حلقات متصلة لا تنقطع —

أوان وقناديل . . كانت شائعة فى العصر القبطى





لوحة تمثل مبايعة محمد على باشا

كمتحفنا هذا الذى اوحى به الفاروق ، فاسرع مؤرخونا الى دراسة اسسه، وفنانونا الى اقامة نماذجه ، وجمعيتنا الزراعية الملكية الى احتضانه ورفع حجراته الى الذروة العليا من قصرها المنيف !

*

آثار اسلافنا المعروضة فى دار الآثار المصرية ، وفى دار الآثار العربية ، وفى المتحف القبطى . وفى غيرها من المتاحف العامة والخاصة — وآثار أسلافنا الثابتة فى أماكنها كالاهرام وأبى الهول ، والهياكل والمعابد والمساجد الاثرية ، والحفائر التاريخية أينما تكون من انحاء البلاد — بل آثار أسلافنا التى نقلها الناقلون الى بلدانهم،فهم يزينون بها متاحفهم فى كل عاصمة من عواصمهم الكبرى — تلك مفاخر ناطقة بعظمة التاريخ المصرى وما يتصل به فى مختلف العصور . وهى مرجع دراساتنا ، والمصدر الاعلى لبحوث الباحثين فى تاريخ مصر اجانب ومصريين

وقد كانت لا ريب اعظم هاد لعلمائنا الذين وضعوا القواعد لمتحف الحضارة الذى نحن اليوم بسبيل الكلام عليه ، كما كانت أعظم هاد لرجال الفنون الجميلة الذين اخرجوا علم اولئك العلماء صورا مجلوة فى حجراته ومشاهد بارزة

لكن لمتحف الحضارة على رغم هذا كله مزايا ثقافية وفنية يختص بها وحده

منها أن بعضا من حقب تاريخنا

قد ينفع فى تفهمـــه مزيد من الايضاح فى صور ومشاهـد من صنع الخيال ، ولكن على اساس وثيق من التاريخ

وهذابعض ما تجتمهواحسن صنعه مؤرخو متحف الحضــارة وفنانوه

ومنها أن من يفـوته الدرس المستفيض لآثارنا فى مواضعها ـ قد يجتزىء بآيات هذا المتحف، حتى تتاح له فرصـة الدرس الاصيل المستفيض

ومنها ان هذا المتحف يعرض نماذج الحضـارة المصرية فى جميع العصور،سلسلة متصلة الحلقات، رامزا الى كل عصر منهـا بصور ومشاهـد تمثل اهم احداثه واطواره . وفى تقريب التاريخ الى الاذهان على هذا النحو مزية واضحة !

*

فى ثنايا هـذا الكلام قليل من صور المتحف ومشاهده.. ولكن حبذا لو استطاع رجال الفن أن يبادروا فيلحقوا بمعروضاته أعظم حـدث عمرانى صناعى فى الزمن الاخيـر ـ اعنى ارساء الفاروق لحجر الأساس فى كهربة الخزان !

حبـذا لو تم هذا قبـل أن يتشرف متحف الحضارة بزيارة المليك زيارة الافتتاح ـ يوم تلمس يده الكريمة ثمرة الهامه لنوابغـه وعلمائه ، وثمرة حبه لوطنه الذى يفديه

محمد توفيق دياب

رد مسكت

جاء لهوميروس مرة رجـــل ، وقال له :
« اهجنى لافتخر بهجائك ، اذا لم أكن اهــلا لمديحك »
فقال له : « لا .. لست فاعلا »
قال : « اذن ســامضى الى رؤســاء اليونان فاشعرهم بنكولك »
فقال هوميروس :
« بلغنا أن كلبا حاول قتال أسد بجزيرة قبرص ، فامتنع عليه الاسد انفة منه . فقال الكلب : سامضى فاشعر السباع بضعفك . قال له الاســد : ان تعيرنى السبــاع بالنكول من مبارزتك ، احب الى من أن الوث شاربى بدمك »

قضى الكاتب شهرين فى روسيا ، فى العام الماضى . . وهو يحدثنا هنا عن جانب اجتماعى هام ، طالما تباينت بصدده آراء الكتاب

الحياة العائلية فى روسيا

بقلم الدكتور
جورج حنا

للحياة العائلية ناحيتان .. الناحية الاجتماعية ، والناحية العاطفية . ولنبدأ بالناحية الاجتماعية ..

الجميع فى روسيا يعملون . . الزوج يشتغل ، والأم تشتغل ، والاولاد الراشدون يشتغلون، اذا لم يكونوا طلابا فى المدارس العالية ، والاطفال تستقبلهم دور الحضانة الموجودة فى كل قرية ، وفى كل حى ، وفى كل معمل . لذلك يفرغ البيت الروسى من سكانه منذ الصباح ، ولا يجتمع شمل العائلة الا فى المساء ، فكل فرد من افرادها يتناول وجبة الغداء فى محل عمله ، اما مجانا ، أو لقاء ثمن بخس، يدفعه من معاشه. هذا الى ان المساواة المطلقة بين الرجل والمراة فى الحقوق والواجبات ، والحرية المطلقة التى يخولها النظام السوفياتى للراشدين من الاولاد ، سواء اكانوا ذكورا ام اناثا ، تجيز لكل فرد من افراد العائلة أن يكون هو مسئولا عن نفسه ، لا يعتمد فى معاشه على اب او ام ، او على ابن او ابنة . كل يقبض اجره وينفقه على نفسه ، اذا لم يشا هو ، بدافع الحب الذى يربط أفراد العائلة ، أن يشترك فيه غيره

فالبيت فى روسيا لم يعد مقرا للاجتماعات والضيافة بل هو ملجأ للسكن والنوم فقط . ولذلك لم تعد العائلة هناك — ولاسيما فى المدن الكبرى — تعنى بتزيين بيوت السكن واعدادها لاستقبال الضيوف واقامة الدعوات والمآدب وقل ان تجد عائلة روسية فى المدن الكبرى مجتمعة كلها على غداء او عشاء ، بسبب اختلاف مواعيد اعمالهم . اما التزاور بين العائلات وتجمع الاقارب والجيران بقصد السمر والنقد والاغتياب، فذلك لا وجود له فى روسيا السوفياتية . فلا الوقت يسمح بهذه الاجتماعات ، ولا المساكن تتسع لها . ان روسيا «فبريكة» عمل وانتاج ، لا مجال فيها للراحة والكسل ، والذى ينشد هذا أو ذاك .. فلينشدهما فى خارج البلاد ، كما يقول « سيموتوف » الكاتب السوفياتى الكبير

ولا يسعني ، وأنا اتحدث عن الحياة العائلية فى روسيا ، الا ان اقول كلمة عابرة عن الزواج والطلاق فى الاتحاد السوفياتي ..

الزواج مقدس فى الاتحاد السوفياتي ، كما فى غيره من البلدان . والنظام السوفياتي يسهل الزواج لطلابه مهما تكن حالتهم المادية والاجتماعية .. فلا الزوج ولا الزوجة يشعران بان الزواج عبء عليهما . انه يكفى للشابين ان يتراضيا ويتحابا فيتزوجا .. هو يشتغل ويقبض اجره ، وهى تشتغل وتقبض اجرها ، والدولة ترعاهما وتكفل لهما ما يواجه كلا منهما من مطالب الزوجية وأعبائها .. من الحمل الى الولادة ، الى تربية الاولاد وتعليمهم والعناية بصحتهم

وليس للزوج تلك السلطة المطلقة على العائلة التى تشاهد فى البلدان الاخرى ، لاسيما الشرقية منها . فالزوج هو رئيس العائلة وليس ديكتاتورها . ويرجع ذلك الى انه ليس هو الوحيد المسئول عن اعالتها ، فالعائلة هناك شركة مساهمة ، يحمل أسهمها الأب والأم والاولاد الذين بلغوا سن الرشد . ويستطيع الشخص ان يحمل اسم ابيه او اسم امه او يستقل باسمه اذا وجد أن فى حمل اسم أحدهما ما لا يحقق اهدافه فى الحياة

اما الطلاق فيخضع للسلطة القضائية المدنية . ومن تحرياتى الخاصة فى هذا الصدد ، لاحظت ان حوادث الطلاق فى روسيا اقل كثيرا منها فى بعض البلدان .. وذلك لانعدام اسباب الطلاق المادية ، والاقتصار على الأسباب العاطفية والاجتماعية

هذه هى الناحية الاجتماعية من الحياة العائلية فى روسيا السوفياتية ، اما الناحية العاطفية فخير ما اصفها به ، أن أسرد بعض ذكريات لفتت نظرى اثناء اقامتى هناك

اجتمعت يوما بسيدة تشتغل فى فندق ، آوانى بضعة أيام ، وعرفت من حديثها أنها ترملت فى

اعدت لزوجها وجبة الأفطار .. قبل أن تغادر المنزل للعمل





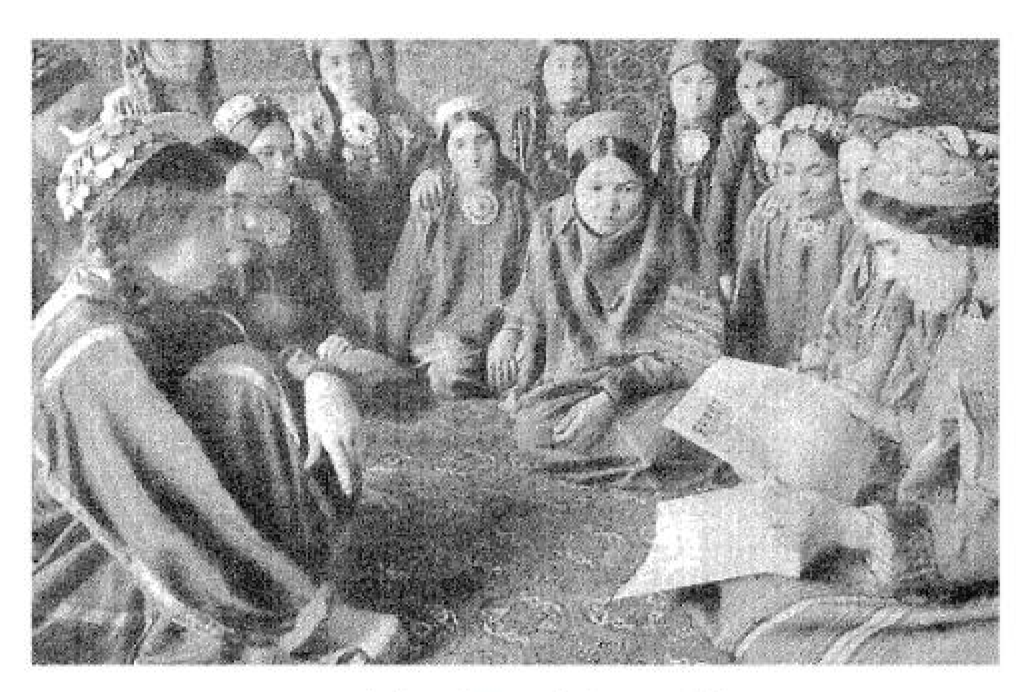
تمنح الأمهات النابهات فى روسيا أوسمة خاصة ..
وقد ظفرت السيدة « انا كوميتوفا » بوسام « المجد للأمومة » لأنها أنجبت أربعة بنين وست بنات

الحرب ، ولها ولد عمره ست سنوات ، وهى تعيش مع أمها المقعدة فى بيت واحد. وكان التأثر يبدو على وجهها كلما ذكرت أمها . فقلت لها : « لماذا لا تدخلين أمك المستشفى ؟ » .. فأجابت بكثير من الالم : « لا امل فى شفاء أمى ، هى مولعة بولدى ، وانا مولعة بأمى .. فلماذا احرمها هذا العزاء وهى على عتبة الموت ، ولماذا احرم نفسى واحرم ولدى من رؤيتها ومعاشرتها؟ انها أمى، وهل يسهل على المرء أن يفارق أمه ؟ » . ولمحت دمعة تترقرق فى عينيها ، فسكت احتراما

*

وشاهدت يوما امرأة عجوزا تعانق سيدة من العاملات فى الفندق ، وهى ممسكة بيد طفلة لا يزيد عمرها عن السنتين ، ثم يجلس الثلاثة معا ، وتتنقل الطفلة من حضن العجوز الى حضن الشابة ، ثم من حضن الشابة الى حضن العجوز. وكنت عرفت من السيدة أن زوجها استشهد فى الحرب . فعندما غادرت العجوز والطفلة الفندق ، تقدمت من العاملة وسألتها : من تكون هذه الزائرة، وهل هى أمها ؟ فأجابت : « لا ، هى حماتى .. ولكنها تحبنى كما تحبنى أمى » ولما كنت سألتها فى اليوم السابق لهذه الزيارة ، لماذا لا تتزوج ثانية ، قالت لى بعد هذه المقابلة الثلاثية : « اليك الجواب عن سؤالك ، انى لا اطمح الى زواج ثان ، لانى أعيش لطفلتى .. وأنا احس بطمأنينة فى العيش مع هذه العجوز فى ذكرى ولدها الوحيد ، زوجى .. »

*



عاملات مصنع السجاد . . يصغين – في اوقات
فترات الراحة – الى زميلة لهن تقرأ صحيفة محلية

وصادفت فى موسكو طالب طب كان قد رافقنى فى تجوالى الى المستشفيات . فادخلنى يوما الى متجر من المتاجر الحرة، وطفق يفتش عن سلعة ليشتريها ، فعجبت لشاب لايتقاضى الامعاش التلمذة ، يسأل عن خاتم ، ثمنه يستهلك كل معاشه . فقلت له : « هل انت عاشق يا فتى ، لمن تريد أن تشترى هذه الهدية ؟ » فقال : « ستتزوج اختى بعد يومين ، ولا اريد أن تترك البيت من غير أن اقدم لها تذكارا منى »

*

ان الروسى انسان مثلنا ، له قلب يحب ويعطف ، وفى قلبه حنان ، وهو ليس كائنا يعيش ، ويأكل ، ويعمل ، من غير ان يضطرم فى نفسه من العواطف والاحاسيس ما يضطرم فى نفس كل كائن حى

والشعب الروسى مطبوع على العاطفية منذ القدم ، متطرف فى الحب والتقوى والعبادة . . يقدس الروحانيات ، ويمجد الداعين اليها . فاذا كنا نرى اليوم فى نظامه السياسى والاجتماعى جنوحا الى الواقعية، فان الحياة العائلية عندهم لم تتأثر بعد بهذا الاتجاه

بيروت (لبنان) جورج حنا



من مذكرات حواء

نصيب الأسد

بقلم السيدة أمينة السعيد

« سبحان من قسم الحظـو ظ فلا عتاب ولا ملام »

كانتا أختين ، ولدتهما بطن واحدة ، ومع ذلك اختلفتا فى كل شىء .. كبراها « مفاتن » اسماً وقلباً وقالباً ... قامتها اليافعة آية أبدعها الخالق ، وخصلات شعرها النزير طبقات ليـل حالك ، وأنفها الحاد الدقيق رمز العزة والكبرياء .. وكانت كاملة من كل الوجوه ، لا يعتور حسنها غرور ، أو يشوب اتزانها تصنع ، أو ينطوى قلبها إلا على الرحمة والبر والوفاء .

أما صغراها « فتنة » ، فلم يكن لها من فضائل اختها نصيب مادى أو معنوى : نقيبة فى الحسن والدلال ، مراوغة فى الحديث والمعاملات متقلبة المزاج والأهواء ... جسمها الوسط حائر بين النحف والامتلاء ، وشعرها الأحمر ملىء بالتجعدات والتموجات ، ومبادئها المتناقضة لا تتفق إلا فى الأثرة والأنانية !

وليس من المستغرب أن تختلف اختان فى الشكل والاخلاق ، ولكن المستغرب حقاً أن تؤتى من لا تستحق منهما حظاً يمكنها من الاستئثار بقلوب الناس ، الاستمتاع بنصيب الأسد من سعادة الأخرى وهنائها !

وفى الصفحات التاليات مقتطفات من مذكرات « مفاتن » الجميلة الطيبة .. وهى ليست درساً خلقياً ، أو عظة اجتماعية ، أو تجربة قصصية ، انما هى صورة حقيقية من صور الحياة !

٥ ابريل ١٩٣٥

استيقظت هذا الصباح مبكرة ووقفت عند النافذة ارقب ملك النهار ينشر على الكون أجنحته البيضاء ، فينعكس ضوؤها على صفحة النيل فضة متلألئة

اظننا نعيش فى اجمل بقعة بالقاهرة ، فالحدائق الفيحاء تحيطنا ، والنيل السعيد يجاورنا. اما مساكن الحى الفاخرة ، فتحتشد على بعد قليل منا ، كانها جيش ابيض يرابض للدفاع عن منزلتنا الجميلة !

وكنت استمتع دواما بهذا المنظر الفريد ، ولكننى اليوم اتلمس فيه روعة مضاعفة ، مرجعها سعادتى الشاملة ببلوغى الحادية والعشرين من عمرى ، وهى مرحلة حاسمة فى حياة الانسان ، تفصل بين مهد الصبا باغلاله الذهبية ، وبين الشباب بحرياته وآماله .. اشعر كانتى كنت حتى أمس فى بستان ملىء بالازاهير الزكية ، ولكن اسواره العالية تحول دون نسيم عليل اتوق اليه . اما اليوم .. ما هذا الكلام الذى اكتبه ؟! لو ان أختى « فتنة » قرأته ، لسخرت منى ، وجعلتنى أضحوكة الاصدقاء اياما متواليات ، فهى لا تستسيغ اقوالا كهذه ، وتعتبر الشاعرية صناعة الكسالى ، وترى فى تذوق الجمال مضيعة للوقت. ومع اننى اكبرها بثلاث سنوات، فالعفريتة لا تتورع عن التشهير بى اذا واتتها الفرصة !

لشد ما تختلف عنى ! هى انسان عملى بمعنى الكلمة ، لا تهتم الا بما يعود عليها بفائدة شخصية ، واظنها على حق .. فأمثالى يشغلون بالمبادىء والخيال عن الاستمساك بالحقوق ، بدليل ان والدى اصر على تأجيل الاحتفال بعيد ميلادى الى شهر ديسمبر القادم ، عند ما تبلغ « فتنة » الثامنة عشرة من عمرها ، فيكون احتفالا واحدا !

افهم أن يصح ذلك فى الماضى ، ولكن المرء لا يبلغ سن الرشد كل عام ، ثم اننى كبرى الاختين ، ومن حقى الاستمتاع بشىء من الاهتمام الذى تؤثرها به الاسرة منذ الطفولة .. اذكر ونحن صغيرتان كيف كانت والدتى ـ رحمها الله ـ تشترى لنا لعبا متماثلة، فتحطم « فتنة » نصيبها منها قبل انقضاء ساعات معدودات على شرائها ، ثم تطلب غيرها ، فتجاب حالا الى طلبها ، أما انا فلا اعطى جديدا بحجة اننى احافظ على حاجاتى !

يقولون اننى أتميز عن اختى بالجمال والاخلاق والمبادىء ، ولكننى لا ارى فائدة من كل هذه الصفات الطيبات ، فقد وهبتها الطبيعة سحرا غامضا يمكنها من قلوب الناس وعواطفهم، فكل من يرانى مثلا على حدة يطرينى ، مخلصا ، بآيات الثناء والاعجاب ، فاذا دخلت « فتنة » الى الميدان بشعرها الاحمر وعينيها الضيقتين الماكرتين ، انثنى الاهتمام نحوها ، حتى لينسى

الجالسون وجودى بينهم !

وهى تعرف ما بيننا من اختلاف كبير ، وتتخذ منه مادة لمسامرة معارفنا واصدقائنا ، ولكن اسلوبها فى الحديث يجعل صفاتى فكاهة المستمعين ، فيضحكون سخرية منى لامنها ! ولانها متقلبة الاهواء فهى لا تحتمل الاصدقاء طويلا ، بل تفقد اهتمامها بهم سريعا ، وتبدلهم يوما بعد يوم كما كانت تفعل بلعبها فى الصغر !

عجيب امر هذه الاخت ! .. لا ، لا يصح ان استرسل فى نقدها ، فانا شغوفة بها على الرغم من عيوبها ، وقد اقسمت لامى — وهى تجود بانفاسها الاخيرة — ان احبها وارعاها ، واظننى بررت بقسمى ، وسأظل على برى به ما حييت !

١٣ نوفمبر ١٩٣٥

انقضى اليوم على اطيب حال ، واحس الآن بسعادة بالغة ، تطرب قلبى بما يشبه انغام قيثارة حنون ، وتصبغ فى عينى الايام الكثيرة المقبلة بلون وردى بهيج .

اتراها وليمة الغداء التى أسعدتنى ، أم هو ابن عمى «مجيد» الذى اقمنا الوليمة لتكريمه ؟ ؟ لست واثقة من الجواب ، ولكن وجوده بعث فى قلبى هناء ورضا .. ما اجمله ، وما اشد رجولته ! اظنه يدين برقته وادبه وكياسته الى السنوات العشر التى قضاها فى طلب العلم باوربا ، فالسفر فى حد ذاته ثقافة عظيمة ، تصقل الشخصية ، وتكسبها الوانا جديدة محببة

ومن دواعى فخرى ان يعود الينا بعد غيبته الطويلة راضيا عن بلاده ، راغبا فى الجهاد من اجل رقيها ورفعتها ، وهو غير ما اعتدناه من المغرورين الذين يقضون فى الخارج سنتين او ثلاثا ، ثم يعودون والسنتهم المعوجة لا تنطق الا بالقدح والذم !

وطبيعى الا يكون « مجيد » من هؤلاء ، فهو ابن أسرة كريمة ، وقد اعتاد فى بيته التهذيب والرقى . ولا يثور على وطنه غير المحدث الذى لم ير نعما الا فى الخارج !

وانا على كل حال سعيدة راضية ، فقد تلمست فيه اهتماما ملحوظا بى ، فكان يكثر من التطلع الى معجبا ، والتحدث معى بكلمات تسيل عذوبة وتقديرا ، مما جعل ابى يبتسم اغتباطا !

ولكن « فتنة » لم تشاركنا الابتهاج بمجيد ، بل حيته تحية فاترة ، وانسحبت الى حجرتها ، ولم تعدحتى لتناول الغداء معنا ، ثم وصفته بعد انصرافه بالسخف ، فغضبت بينى وبين نفسى لوصفها الظالم !

١٦ فبراير ١٩٣٦

ترى ايستطيع القلب ان يحلق فى السماء مرفرفا بجناحيه على الجنة ؟ ! نعم ، والف نعم ، فهكذا يفعل قلبى دواما ، فاحس كأننى ارتفعت عن العالم الى جوزاء النعيم .. اعرف السبب طبعا ،

فأنا سعيدة بحب ابن عمي ، وقد رأيت زهرة الحب تنمو على مر الاشهر الماضية ، حتى اكتمل تفتحها ليلة امس ، ونحن نجلس فى الشرفة نتأمل القمر المضيء مطلا على صفحة النيل القريب . .

كان يحدثني عن ضرورة الاستقرار للرجال ، وعن ميزات زواج الاقارب ، الى غير ذلك من التلميحات الواضحة ، ثم ختم الجلسة قائلا : « انك لست امرأة فقط ، بل قصيدة عامرة ، حلوة النغم ، متناسقة الكلم ، بليغة المعاني والعبارات ! »

اقسم انني جعلت اردد فى فراشى تلك الجملة ، حتى طار النوم من عيني ، فأشرق الفجر وما زلت فى نجوتى المتعة . . يا لكرم الاقدار ، فهل كنت انتظر زوجا افضل منه ؟ ربما وفقت الى من هو اكثر منه مالا أو اعلى مقاما ، ولكن رجولته الكاملة لا تتأتى الا فيما ندر !

ما هذا الطيش ؟ ! أيصح ان اسبق الحوادث ، واتحدث عن زواجي منه كقضية منتهية ؟ ! لا ، فلم يطلب مني او من والدى صراحة ، والمسألة لا تتعدى التلميحات والمجاملات ، وهى لا تكفي بطبيعة الحال ، ومع ذلك احس ان حياتينا قد ارتبطتا برباط وثيق من الهناء أو الالم !

ولكن ذلك لا ينفى انه رجل ممتاز ، حتى باعتراف « فتنة » ، التى اقتنعت أخيرا بفضائله ، فغيرت فجأة سياستها الناقدة نحوه ، وأذهلتني مساء أمس بالدخول علينا ، والجلوس معه للمرة الاولى منذ عودته . ولقد بعثت البهجة الى نفسه بأسلوبها الخاص فى الحديث ، فضحك كثيرا وقال وهو يشد على يدي مودعا : « ان لك أختا مدهشة ، فلماذا اخفيتها عني طوال هذه المدة ؟ ! »

١٧ فبراير ١٩٣٦

كلمتني « رجيحة » بالتليفون ، لتدعوني الى سهرة فى بيتها ، فاعتذرت بحزم على الرغم من الحاحها . ولست افهم معنى لاصرارها على دعوتي مرارا وتكرارا مع علمها بمبلغ نفوري من حفلاتها . اظنها تريد أن تضمني الى مجموعة الفتيات الجميلات اللواتى تستعرضهن أمام ضيوفها من الشيوخ والشباب ، ولكن حاشا لله ان اكون منهن ، فلي فى الحياة أهداف أنبل كثيرا مما يدور خلال حفلاتها الحمراء !

أعتقد انها مخلوق شرير بطبعه ، فكم من فتاة جميلة ساذجة وقعت فى شراك هذه الثرية المتصابية ، فالتفت حولها خيوط العنكبوت المعقدة ! وأنا وان كنت ساذجة لا اعرف من الحياة شيئا كثيرا ، الا انني لست بلهاء ، وباستطاعتي ان ارى الخطر الجاثم وراء تلك الدعوات فأرده بردها !

وخليق بي مضاعفة الحرص والحذر ، « فمجيد » ـ مع ثقافته الاوربية ـ ينكر الانسياق وراء قشور الحياة الحديثة ، ويقول دواما انه لن يتزوج الا ممن لا تتخلل الشوائب سيرتها . ترى

ما الذى يضايقه ؟ رأيتـه امس يقبل على زيارتنا شارد الذهن مكتئبا ، ثم سالنى عن اختى ، فلما اخبرته بذهابها الى السينما، انصرف معتذرا بشاغل مهمة !

ترى ما الـذى يكربه ؟ اهى مضايقات فى عمله الجديد ، ام هى مشكلات خاصة لايصح التحدث بها الى الناس ؟ ! ليت « فتنة » لم تذهب الى السينما ، لتزيل همومه بنكاتها اللاذعة !

١٢ ابريل ١٩٣٦

ايمكن ان يفقد الانسان احساسه بالحياة ، فينساق مع الايام ، كما تنساق الى القبر جثة هامدة ؟ ! نعم ، والف نعم ، فهكذا احس خلال الشهرين الاخيرين بما توالى فيهما من هموم

ولكن اين كرامتى ، لاستسلم للعويل والنحيب؟ ! انه لايحبنى ، فلا يصح ان احزن على فراقه . وكان يجدر بى ان اعرف يوم سالنى عنها مكتئبا ، اننى فقدت امام « فتنة » جولة جديدة من جولات حياتينا معا !

ولو لم آكن مسرفة فى حسن الظن ، لأدركت النتيجة بانسياقه التدريجى نحوها .. ولو لم أكن اطيب مما يجب لتلافيت النتيجة التى ابكيها اليوم وحيـدة بين احضان يومياتى !

ولكن كيف كنت اتلافى النتيجة المحزنة ؟ ؟ وكيـف كنت أتوقع انها ، وقد سلبتنى اهتمام الاسرة وحب الاصدقاء ، ستسلبنى ايضا عماد حياتى المستقبلة ؟ ! وحتى لو كنت اعرف ، فهـل يجدر بى اقتحام ميدان الصراع مع أختى من اجل رجل ؟ ! لا ، والله ، فـكبريائى أرفع من ان تنزل بى الى هـذا المستوى الرخيص !

يا للرجال ! ! كان ليلة امس يجلس معها فى الشرفة يرقبـان القمر مطلا على صفحة النيـل القريب ، فلمـا اقبلت عليهمـا سمعته يقول لها : « انك لست امراة فقط ، بل قصيدة عامرة ، حلوة النغم، متناسقة الكلم، بليغة المعانى والعبارات ! »

كيف طاوعه قلبه أن يسلبنى تلك الجمـلة التى كنت اعيش بذكرياتها ، واستمد من حرارتها صبرا وسلوانا ؟ ! وما كاد يرانى حتى اخبرنى بخطبته « لفتنة » ، واتفاقه معها على زواج قريب ، ولـكن نبراته المتلعثمة افصحت عما يعتمل فى قلبه من خجـل شـديد لاسـتهتاره بعواطفى وتغريره بقلبى !

اما « فتنة » فقد تعلقت بذراعه كما يتعلق الرضيع بصدر امه ، وجعلت ترقبنى بابتسامة خبيثة متغلفة ، لتكشف عن اثر الخبر فى نفسى .. لماذا تفعل ذلك وهى تعلم مبلغ شغفى به ؟ ! الم يكفها الاستحواذ عليه نصرا ، لتسعى الى نصر آخر تنتزعه من بين جوانحى ؟ !

لا ، لن اترك العنان لنفسى ، فماذا يهم ان ذهب رجل ، وجاء آخر .. اننى جميـلة وطيبـة ، وطالبو الزواج يتزاحمون على ابى

كل يوم . هناك « رائف » مثلا، فهو يحبني منذعهد طويل ، وقد كلمني ابيعنه ، وطلب الى التفكير جيدا قبل أن أقطع برأى. حقيقة انني لا أحبه ، ولم أحببه يوما ، ولكني سأتزوج منه ، فهو رجل لا يعوض.. مال كثير، وجاه كبير، ومكانة ممتازة. فماذا ابتغى اكثر من ذلك ؟ !

اللهم اشهد انني قد بررت بعهدي لأمي الى ابعد حد مستطاع !

٢٢ يونية ١٩٣٦

عجيب ان اجد اليوم فسحة من الوقت للانكباب على يومياتي، فالعروس عادة لا تشغل أول صباح في حياتها الزوجية بمثل هذه الامور ، ولكنني شعرت بوحشة شديدة عند ما نزل « رائف » الى الطابق الاسفل ، لاستقبال المهنئين من اصدقائه ، فأحسست ان العالم على سعته قد ضاق حولي حتى كدت اختنق، فعمدت الى هذا الكتيب ، لأنشد الراحة بين احضانه !

ولكن رائف غير مسئول عن وحشتي وضيقي ، فهو رجل كريم بمعنى الكلمة ، واني لأحمد ساعة اليأس التي دفعتني الى تقرير الزواج منه . كم كان طيبا رقيقا خلال محنتي الماضية ! كنت اشك أحيانا في انه يعلم بحقيقة جرحي ، فيعمل جاهدا على تضميده وعلاجه ! وسواء اصبت في هذا الحدس ام اخطأت ، فقد شفي الجرح تماما بفضل حبه ورعايته ، فاستبان لي طريق الصواب الذي خلوت فيه بلا قصد، ولذلك فأنا اليوم سعيدة ، سعيدة جدا ، سعيدة أكثر مما يتصور العقل.. اف لي ، أأكذب على يومياتي ، وقد صدقتها القول في السراء والضراء ؟ ! ساغيني أيها الصفحات ، واليك الحقيقة الكاملة . كنت حتى أمس راضية هادئة ، فقد تغلبت الايام على آلامي ، واوضحت لي فضائل «رائف» وميزاته الكثيرة.. ثم كان أمس، يوم الزواج المشهود، عند ما جلست في المساء أمام المرآة اضع نقاب العرس ، وانظم زهيراته البيض فوق راسي .. اذ ذاك اقتحم والدي الحجرة غاضبا ، واخبرني ان « فتنة » قد عدلت عن خطبتها « لمجيد » بلا سبب او مبرر ، واعادت اليه الخاتم هادئة حازمة !

ودارت الارض تحت قدمي ، وتتابعت امامي صور حزينة كنت قد افلحت في ابعادها بعد جهد، فهالتني تضحية قدمتها ، فذهبت هباء منثورا ! تمالكت أعصابي ، فرجوته أن ينصرف ، ويبعث باختي لأحدثها ، فلم تمض لحظات قلائل حتى اقبلت باسمة مغتبطة، وانفجرت تصف بحماس انوار العرس المتلألئة ، وموائد العشاء الفاخرة، وأفواج المدعوين وهي تتدفق على البيت .. اسكتها بحنق . وقلت لها : « ما هذا الخبر الكريه الذي علمت به الآن؟ ؟ » أجابت : « اتقصدين فسخ خطبتي لمجيد ! » قلت :

« نعم » قالت : « ان المسألة ابسط مما تتصورين ، فقد اكتشفت انني لا احبه ، فأطلقت سراحه بدل أن اشقيه ! » قلت : « ولماذا قبلت، وانت لا تحبينه ؟» قالت : « اخطأت تفسير عواطفي نحوه ، فتداركت الأمر قبل فوات الاوان . وأنصحك بترك المسألة جانبا حتى لا تفسدي اشراقك في ثوب الزفاف ! »

ثم استدارت وانصرفت ضاحكة كما دخلت !

وجلست في البهو الكبير بين الورود والازاهير ، وانا لا أحس بمثات الضيوف الذين يتهافتون على تحيتي وتهنئتي.. واختلطت في عيني الانوار بالوجوه ، وثقلت الزهيرات البيض فوق راسي ، فاحسست كأنها صخور تهشم ظهري تحت ثقلها .. .ومن يميني لمحت « مجيدا » ينظر الى حزينا متألما ، وعن يساري رأيت « فتنة » ترقبني في حذر ، مثلما يرقب القط فأرا وقع بين يديه !

وضاقت الانفاس في صدري على مر الساعات ، فكبتها خوفا من أن تنطلق بين الناس صراخا وعويلا ، ثم تنبهت الى « رائف » وهو يحنو على قائلا : « لقد أجهدك السهر ، فهلمي بنا الى بيتنا الجديد ، لتصيبي شيئا من الراحة قبل الصباح ! »

وخرجت الى جواره بين التهاني والزغاريد، فلما احتوتنا السيارة، أسندت رأسي الى كتفه ، وبكيت بكاء مرا !

١٢ يولية ١٩٣٨

وما أقدر الزمن على برء الجراح وشفاء الآلام ! انقضى عامان فقط ، ومع ذلك انقطعت صلتي بالماضي، فلم أعد افكر في أحداثه الا كصور لطيش الشباب واندفاعه . لو وزن « مجيد » اليوم بالذهب ، ما قبلته عوضا عن « رائف » ، فكيف ارتضى بزوجي بديلا، وقد أعزني وأكرمني، ومتعني بخيراته المادية والمعنوية ؟ ثم ان لي طفلا جميلا، وثق الرابطة بيننا، وأكسب بيتنا سعادة لا تضارعها كنوز كسرى وخزائنه !

واليوم عيد ميلاده الاول ، ولذلك أعددنا وليمة شيقة لأطفال الاسرة، ولكنني مع الاسف مضطرة الى التغيب عن الحضور، لاشتداد المرض بأبي .. مسكين هذا الرجل العجوز ، فهو في حاجة الى العناية والرعاية ، ولست أستطيع أن امنحه الكفاية منهما ، أما « فتنة » فلا يعتمد عليها في مثل هذه الظروف !

ترى ما هي علته بالضبط ؟ لم يصارحنا الاطباء برأى قاطع ، ومع ذلك يتناقل الناس خبر مرضه بشيء كثير من التشاؤم ، حتى أن « رجيحة » اتصلت بي للاستفسار عن صحته . ترى متى تهتدي هذه العجوز المتصابية ؟! ما زالت الى اليوم تلح في دعوتي الى حفلاتها الحمراء ، فلا يثنيها الرفض البات عن التكرار . أتظن البلهاء انني وقد تزوجت أرضى بالذهاب اليها ؟ ! غير معقول ،

فكل متزوجة عرفت الطريق الى بيتها ، طلقت بعد وقت قصير ، ولست أريد هــذه النهــاية البغيضة، فانا أحب زوجي وابني!

٢ أغسطس ١٩٣٨

جاءني الدكتور «احمد» اليوم ، وحدثني بصراحة في امر مرض والدي ، وقال انه في حاجة الى عمليــة جراحية ، يتقنها طبيب الماني ، فلا بد من سفره حالا الى برلين ، والا تضــاعفت العلة بما يتهدد حياته !

وقــد فهمت من الطبيب ان فرصة الشفاء عظيمة اذا عجلنا بالعملية ، فسررت لذلك، ولكنني تساءلت : كيف يستطيــع رجل مريض في مثل سن والدي السفر الى اوربا وحيدا . ولنفرض ــ لا قدر الله ــ حدوث شيء ، فهل يصح أن يموت وحيدا غريبا ؟ !

وعنــد ما عاد « رائف » الى البيت ظهرا ، تحدثت معــه في الموضوع ، فارتأى ان تذهب معه « فتنة » ولكنني عارضت هذا الرأي لمعرفتي بانانيتها ، ونفورها من التضحية ، حتى من اجل والدها . لم يبق الا حل واحد ، وهو سفري معه ، ولكن ابني صغير وزوجي في حاجة الى رعايتي ، فما العمل ؟ !

١٥ اكتوبر ١٩٣٨

مضى شهران وما زلنا في برلين نزور الاطباء ونوالي العلاج . اما العملية فقد انتهت بخير ، ولكن الجراح ينصح بالانتظار تأكدا من النتيجة

انني اعد الايام الباقية لنا في هذه المدينة الجميلة ، فالشتاء قد اقبل ببرده وصقيعه ، والحنين الى العودة يشتد بي في كل لحظة . . متى ، متى نعود لأطمئــن على ولدي ؟ ؟

لماذا اقول ذلك ؟ ؟ اتراني في حاجــة الى الاطمئنـــان ، وقد تسلمت بالامس خطابا من «فتنة» تحدثني فيه باطيب الاخبار ؟ ؟ وما الذي انتظر حــدوثه وقد جاءتني صورة يبدو الصغير فيها مشرقا صحيحا ؟

لا اظنني قلقــة على ولدي ، ولكن سلوك « رائف » يدعو الى العجب ، ففي باديء الامر كانت رســائله منتظمــة حارة ، ثم تباعدت الفترات بينها ، وخفت حرارة الشوق بين سطورها ، فلما كتبت الى اختي اســتفسرها السبب ، اجابت : « لا تخافي ، فانا حريصة على رعايته »

وهــذه الجملة تزيدني قلقا ، فارجو الا يكون مريضا . . لا ، انه غاضب لتغيبي مدة طويلة ، ولــكن ما حيلتي والجراح يؤخر عودتنا كل يوم ؟

ســاعوضه عن غيــابي حبا وحنــانا ، ولن افارقه بعد ذلك مهما يحدث !

٢٠ نوفمبر ١٩٣٨

اليس من حد للشقاء في هذه الدنيا ؟ ؟ لقد اقبلت على القلم ، لأفرغ به همومي كالعادة ، فاذا به كالسعادة يعصيني ، ويرتجف متخاذلا بين يدي !

ماذا اكتب ، وكيف أصف ما حدث ؟ ؟ لست أدرى ، فوالله ان الامر لأعظم من ان تصــفه الكلمات !

وصلنا الى القاهرة منذ أسبوع، فلم نجد فى انتظارنا بالمحطة غير الخدم ، مع اننى سبق أن ارسلت برقية مفصلة بموعد عودتنا .. وانتابنى هلع هــائل ، لم أتبين كنهه ، ولـكننى احسست معه بشر مستطير يهددني.. واحجمت عن السؤال أشفاقا على نفسي من الجواب ، فانتظرت حتى أقبلنـا على البيت .. وعلى الباب قابلت ولدى باكيا غاضبـا ، ثم عرفت من المربية ما حدث.. لقد ذهب « رائف » مع « فتنة » ، وتركا لى خطابا فى حجرة الجلوس !

لم اكن بحاجــة الى قراءته ، وقد وجدت المأذون فى انتظارى بقسيمة الطـلاق ، فتسلمتهـا بوقار، وتركت ابي لجزعه ورعبه ، وانفردت بنفسي فى حجرة النوم لأقلب المصاب على مختلف أوجهه !

وفى كل ساعة تطلب الصديقات زيارتى عبثـــا ، ولـكن حالتى النفسية لا تسمح بتقبل عبارات المواســاة .. ولقد استثنيت « رجيحة » ، وقبلت دعوتها الى سهرة فى بيتها ، وسأذهب اليها الليـلة بذلك الثوب الرائع الذى ابتعته من برلين !

أمينة السعيد

رائحة الامانى

جاع ابن عتيق يوما ، فقال :

ــ يا ليت لنا لحما ، فنطبخ سكباجا .

وسمعه أحد الجيران ، فارسل اليه قطعة كبيرة من اللحم

فقال ابن عتيق لزوجه :

ــ هيا اطبخى لنا طعاما شهيا .. أن جيراننا يشمون رائحة الامانى !

السكوت خير

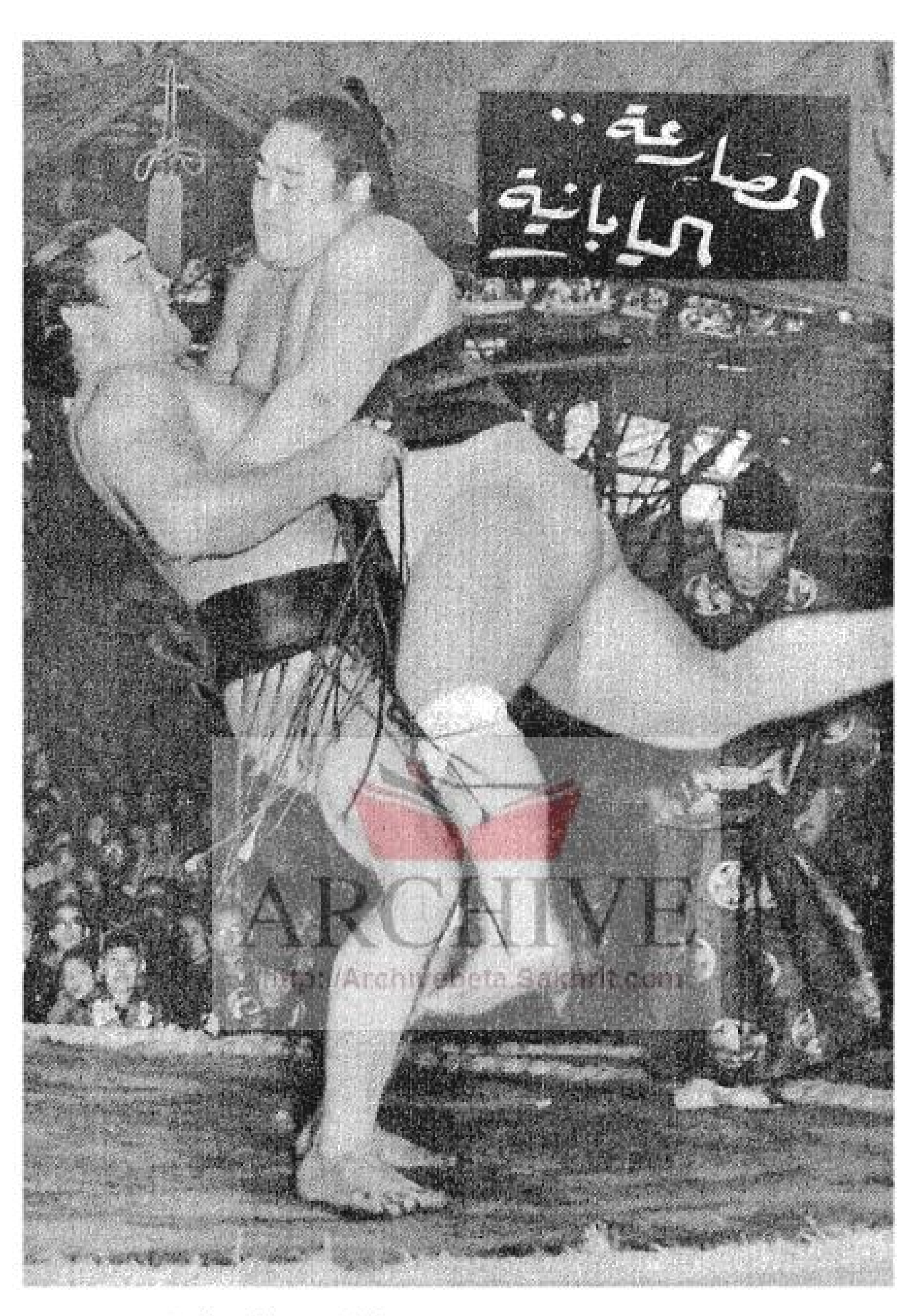
دخل محمد بن واسع على قتيبة بن مسلم والى خراسان فى ثوب بال من الصوف .. فقال له قتيبة :

ــ ماذا يدعوك الى لبس هذا الثوب ؟

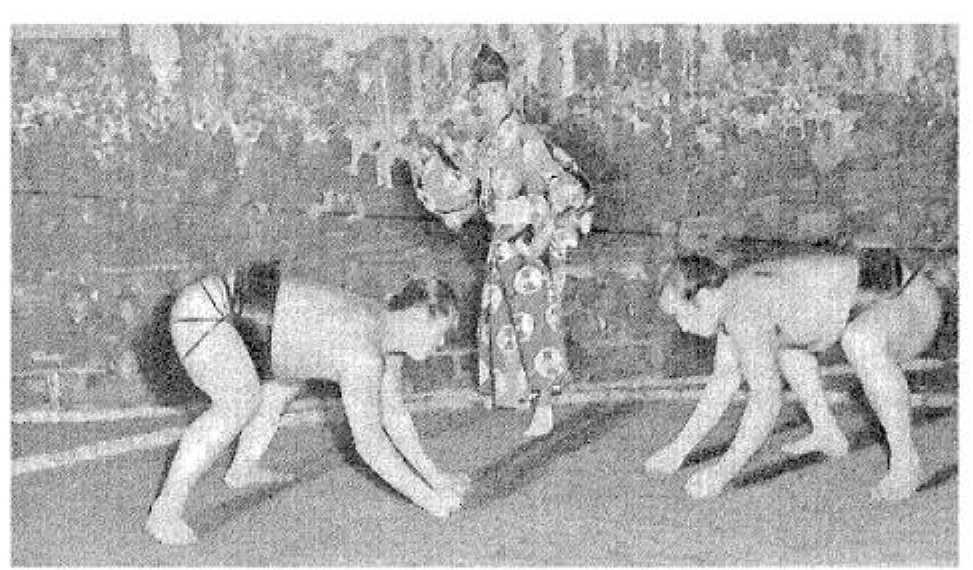
فسكت الرجل . فقال له الوالى : « أكلمك فلا تجيبنى ! ؟ »

فقال محمد بن واسع :

ــ اكره ان اقول زهدا فازكي نفسي.. او اقول فقرا فاشكو ربى . فما جواب الامير الا السكوت



مصارعان من « الوزن الثقيل »
يتباريان على الطريقة اليابانية



وقف الحكم بين المتصارعين قبل أن يشتبكا معاً . وهو
يبدو فى زى غريب أشبه بزى رجال الدين فى اليابان

المصارعة رياضة حبيبة الى نفوس اليابانيين منذ القدم . وثمة ما يدل على انهم كانوا يمارسونها منذ عام ٧٣ قبل الميلاد ، وان تقاليد هذه الرياضة واحكامها التى كانت مرعية فى ذلك الحين ، لا تزال معمولا بها حتى الآن . والمصارعة اليابانية حرفة يمتهنها ابناء الريف ذوو الاجسام الضخمة . . فالوزن عامل هام فى فوز المصارع عندهم ، اذ تقضى قواعد اللعب أن يفوز من يضطر صاحبه الى الخروج من الدائرة التى يلعبان داخلها ، أو أن يلمس بأصابع يديه او ركبتيه أرض الحلبة التى يتصارعان فوقها . ولا تستغرق المباراة فى الغالب غير عدة ثوان ، ويسبقها عادة فترة استعداد لا تتجاوز سبع دقائق

ولكى يصير الشاب مصارعا ، ينبغى أن يتتلمذ ابتداء من سن السادسة عشرة او السابعة عشرة على مصارع معروف ، ويظل يتدرب سنوات حتى يسمح له بالظهور أمام الجمهور . وحين يعتزل المصارع العمل لكبر سنه اولسبب آخر، يتولى تلامذته من المصارعين الانفاق عليه مما يربحون من مهنتهم التى تدر عليهم مالا وفيرا

ويقبل اليابانيون على مشاهدة مباريات المصارعة اقبالا شديدا . وتقام عادة فى امسية اليوم الذى يحدد للمباراة طقوس دينية خاصة ، كى تبارك الآلهة حفلة المصارعة والمصارعين . ويصفف المصارع اليابانى شعر راسه بطريقة خاصة ، ويرتدى أثناء المصارعة زيا خاصا ، كما يلبس الحكم رداء اشبه بزى رجال الدين عندهم . ومن التقاليد المرعية ، أن يعطى الفائز ــ بعد انتهاء المباراة ــ لزميله كوبا من الماء كرمز للود والاخاء



يقبل اليابانيون على مشاهدة مباريات المصارعة إقبالا شديداً .. وترى في الصورة العليا لفيفاً من المتفرجات والمتفرجين في إحدى المباريات . والى اليمين ، المصارع الفائز ، وقد أمسك بالكأس التي ظفر بها

« لم يعد لغط القلب ذلك الغول المخيف الذى يدخل الذعر فى نفوس الناس »

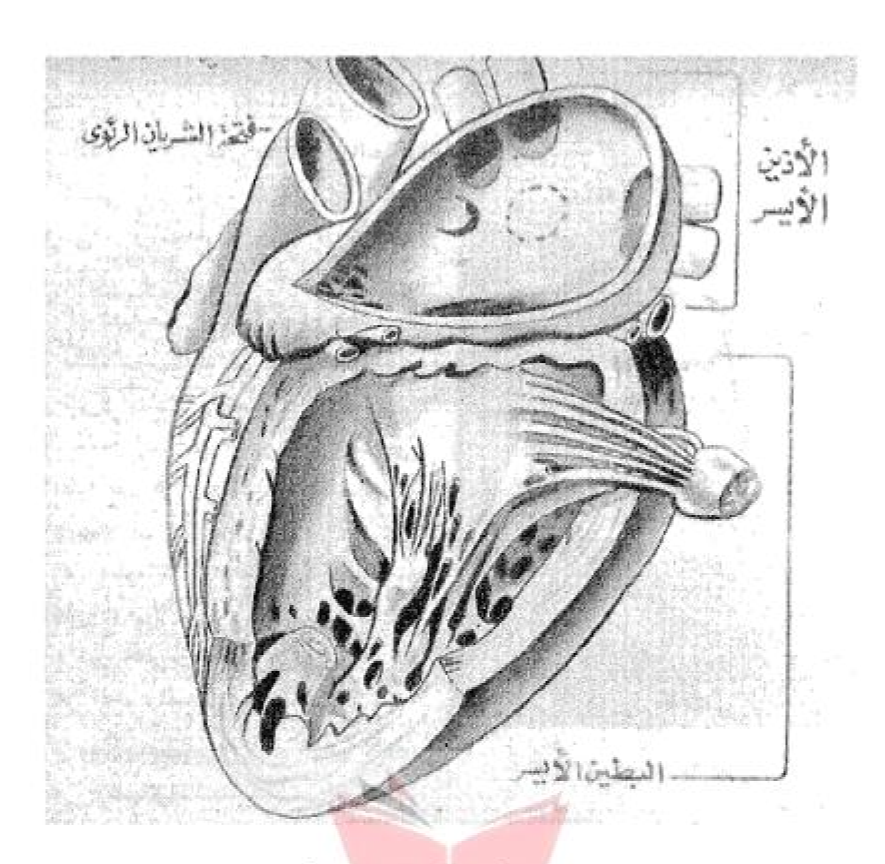
لغط القلب لا يخيف

بقلم الدكتور كامل يعقوب

اللغط فى اللغة هو الصوت والجلبة . فاذا أنت وضعت أذنك على القلب السليم سمعت دقات منتظمة واضحة . أما فى حالة وجود اللغط فانك تسمع جلبة وأصواتا مختلطة ، تشبه حفيف الشجر أو خرير الماء أو أزيز الريح . والسبب فى سماعك هذه الاصوات ، هو مرور الدم فى فتحات اتسعت أو ضاقت عن حجمها الطبيعى لسبب من الاسباب

ولغط القلب هذا قد يكون خلقيا ، فيوجد مع الانسان منذ ولادته . وهذا فى القليل النادر . أما فى معظم الحالات ، فهو نتيجة مرض الروماتزم المفصلى أو الحميات ، فى سن الطفولة والشباب ، أو مرض تصلب الشرايين وضغط الدم العالى فى سن الكهولة والشيخوخة

وكان الطبيب الى أواخر القرن الماضى ، ينظر الى هذا اللغط كنذير من نذر الموت ، ويعتقد أنه كلما كان الصوت مرتفعا ، كان الانذار أسوأ والطريق الى القبر أقصر . . كان هذا هو الرأى السائد فى ذلك الوقت الذى كان يعتقد فيه الطبيب الباطنى أنه عالم كبير وفيلسوف طبيعى ، وكان يصرف جل وقته لا بين المرضى وانما بين مختلف الكتب والمجلدات ، يفتش فيها عما قاله «جالينوس» و «ابقراط» فى شتى الموضوعات . وكان هذا الطبيب ، المفتون بعلمه ، يتعالى على زميله الجراح ، الذى كانت منزلته بين الناس فى ذلك العهد لا تعلو منزلة « الحلاق المحترم » . ثم سار الزمن وتغيرت الامور ، على أثر اكتشاف وسائل التخدير والتعقيم فى الجراحة . وتقدم الجراح الى الأمام بخطوات وثابة ، وأخذ يستأصل بمشرطه أسباب العلل والامراض من جذورها . وشعر الطبيب الباطنى بأن مركزه قد تزعزع ، وان المرضى قد أخذوا ينصرفون عنه ، ويتركونه لعلومه النظرية وفلسفته الطبيعية ، فاضطر الى النزول من برجه العاجى بين الكتب والمجلدات ، ليعيش بين المرضى فى المستشفيات . وأخذ يدرس أعراض الامراض ووسائل العلاج دراسة جديدة مبنية على المشاهدة ،



رسم تشريحي للقلب .. وفيه يبدو الأذين الأيسر والبطين الأيسر وفتحتا الشريان الاورطي والشريان الرئوي ، وجانب من الفتحات الأخرى التي إذا ضاقت أو اتسعت حدث اللغط

وقائمة على التجربة والملاحظة

وكان هناك فى ذلك الوقت فتى من فتيان الجبل ، يقيم فى شمال اسكوتلندة . وكان هذا الفتى يقوم بفلاحة الأرض ورعى الغنم ، حتى اذا انتهى موسم الحصاد وتراكمت الثلوج على الأرض ، حمل ملابسه فى حقيبة على ظهره ، وأخذ معه مؤونته من دقيق الشوفان والسمك المملح ، وانطلق فى طريقه الى مدينة « ادنبره » ليدرس الطب فى جامعتها المشهورة . وهناك ظل يكد ويكدح فى تحصيل العلم ، حتى اذا أقبل موسم الزرع ، عاد الى القرية ليرعى الغنم ويحرث الأرض . .

وأخيرا تخرج الفتى الجبلى فى الجامعة ونال اجازة الطب ، وحلف يمين « ابقراط » واتخذ له عيادة فى بلدة صغيرة تدعى « برنلى » فى شمال انجلترا . وعرفه الناس فى تلك البلدة وفى البلاد المجاورة لها باسم الدكتور « ماكنزى » وعرفه العالم أجمع فيما بعد باسم السير « جيمس ماكنزى » البحاثة فى أمراض

القلب . وسرعان ما تبين للطبيب الناشىء أن العلوم النظرية فى الجامعة شىء ، والنجاح فى علاج المرضى شىء آخر . وكان كثيرا ما تتملكه الحيرة عند تشخيص أمراض القلب وعلاجها، فكان ينسب ذلك الى قلة زاده من العلم، فيترك عيادته ويلجأ الى أساتذته فى الجامعة ليسألهم الرأى فيما استعصى عليه ادراكه ، ولكنه كان يجد فى النهاية أن معلومات أساتذته لا تزيد عن معلوماته . ولذلك جمع كل همه من بادىء الأمر لكى يعلم نفسه بنفسه، ويشق الطريق وحده فى سبيل التزود من العلم والبحث وراء الحقيقة



الدكتور جيمس ماكنزى

وكان الطبيب فى ذلك الوقت لا يملك من وسائل التشخيص بسوى ذلك المسماع الخشبى، الذى يضعه على صدر المريض ليسمع به دقات القلب وصوت التنفس . واتجه تفكير «ماكنزى» الى تسجيل دقات القلب على الورق، فكان يلجأ الى عمل أجهزة صغيرة من علب الكرتون تشبه لعب الاطفال ، وكان يضعها فوق قلب المريض ويسجل بوساطتها دقات القلب بشكل خطوط بيانية، ويراقب ما يطرأ عليها من تغير من وقت لآخر تبعا لتطور المرض . وكان يتخذ لكل مريض سجلا خاصا ويزوره من آن لآخر فى منزله من تلقاء نفسه ، ويدون فيه مشاهداته عن سير المرض وعن حالة المريض . وظل الرجل يدرس أمراض القلب فى تلك البلدة النائية قرابة ثلاثين عاما . ثم جمع خلاصة مشاهداته وتجاربه الشخصية فى كتاب سماه « أمراض القلب » ، فجاء كتابه فتحا جديدا فى الدراسات الطبية المبنية على المشاهدة بجوار أسرة المرضى

ثم انتقل «ماكنزى» بعد ذلك من بلدة « برنلى » الصغيرة الى مدينة لندن . واتخذ لنفسه عيادة فى شارع «هارلى» بين مشاهير الاطباء . وكان حزنه عظيما عند ما ترك مرضاه العديدين الذين أحبهم وأخلص لهم فبادلوه حبا بحب واخلاصا باخلاص . ولكنه كان يقصد من وراء الذهاب الى لندن أن يجد مجالا أوسع لمواصلة البحث ، وان ينشر

بين زملائه خلاصة معارفه وتجاربه . ولكن هؤلاء الزملاء، وجلهم من أساتذة الجامعات ومدرسي الطب ، تجاهلوه وقالوا فيما بينهم : « من هو هذا الطبيب الريفي العاطل من الرتب والنياشين والألقاب العلمية، الذي يجرؤ على الحضور الى عاصمة البلاد ليلقى علينا دروسا فى الطب ؟ » ولكن لم يمض عام واحد على هذا الطبيب الريفي، حتى وصل الى قمة المجد والشهرة وأصبح حجة فى أمراض القلب. وأخذ زملاؤه الذين تنكروا له في بادىء الامر يلجأون اليه لاستشارته . ولم يكن « ماكنزى » فى ذلك الوقت فى حاجة الى أجهزته المصنوعة من علب الكرتون ، وانما كانت الخبرة الطويلة التى اكتسبها بجوار المرضى، قد مكنته من صحة الحكم ورجاحة الرأى ، ومن التفاهم مع قلب المريض بلغة لا يفهمها سواه ، وبألفاظ لا توجد فى بطون القواميس

وأقام السير « ماكنزى » فى لندن بضع سنوات ، نال فى أثنائها أرفع الرتب وأعظم درجات الشرف العلمية، وبلغ ايراده السنوى من الاستشارات الطبية فى ذلك الوقت ثمانية آلاف جنيه من الذهب . ولكنه ضاق ذرعا بالمجد والمال والشهرة. وكان يقول لنفسه: مالى وجمع المال ، ان القليل منه يكفيني .. وكان أكثر ما يؤلمه انه لا يتمكن من مشاهدة المريض سوى مرة واحدة فى وقت الاستشارة ، ثم لا يعود يراه بعد ذلك . فما كان منه فى يوم من الأيام الا أن ألقى بكل هذا المجد والشهرة وأكوام الذهب من نافذة عيادته، ورحل الى شمال انجلترا ليعيش من جديد بين المرضى ، فيحنو عليهم ويتتبع حالاتهم ويسير بهم فى مدارج الصحة والعافية. وظل الرجل على هذه الحال من التفانى فى خدمة العلم وبنى الانسان ، حتى توقف قلبه الكبير عن الخفقان

لقد تعلمنا من هذا الطبيب الريفى الكثير من الحقائق العلمية فى بحث القلب مما لا يتسع المجال لذكره ولو اجمالا . ومن بين هذه الحقائق المهمة، انه أثبت لنا بلغة الواقع أن لغط القلب فى ذاته ليس ذلك الغول المخيف الذى كان يدخل الفزع واليأس فى قلوب الناس ، وان المريض به قد يصل مع اليسير من العلاج والعناية الى سن الشيخوخة، وان المعول عليه فى الانذار، ليس مجرد ضيق فتحات القلب أو اتساعها، وانما هو حالة عضلات القلب نفسها، وما هى عليه من قوة أوضعف. وقد تعلمنا منه فوق ذلك درسا أعظم من كل هذا ، لانه رسم لنا المثل الاعلى لحياة الطبيب، فى ترفعه عن المادة وفى تفانيه فى خدمة اخوانه المرضى أثناء حياته، وفى تركه للاجيال المتعاقبة بعد مماته ميراثا علميا خالدا

كامل يعقوب

كم تعرف عن دنياك ؟

o طمي النيل اسمر ، ولكنه اذا احرق ، فصار آجرا ، غدا احمر اللون . فما سبب ذلك ؟

ــ ان طمي النيل طفل ، ولكنه غير خالص

والطفل الخالص أبيض اللون ، ومنه الطفل الذى يصنع منه الصينى واطباق الموائد

وطمي النيل فيه حديد يظهر لون اكسيده الاحمر عند الحرق . والطفل ، غير طفل النيل ، قد يكون لونه اصفر . وذلك ايضا لما به من حديد ، وهو اذا تعرض للنار احمر

●

o اذا صعدت البالونات الى الجو ، فلماذا لا تتخلص من جاذبية الارض فلا تدور معها ، لا سيما اذا هى بلغت فى الجو ارتفاعا كبيرا ؟

ــ انها لا تستطيع التخلص من جاذبية الارض لأنها مغمورة فى الهواء ، كسمك البحار المغمور فى الماء . ومهما يخف هواء الجو حولها فهى تدور معه . ولولا هذا لكان فى امكان اى بالون ، او حتى اية طائرة ، ان تصعد الى الجو ، ثم تنتظر هناك حتى تمر تحتها الارض بالبلد الذى تطلبه فتهبط اليه .. حلم لذيذ ولكنه غير واقع !

اما ان هواء الجو يدور مع الارض فشيء ظاهر . ولو ان الهواء وقف ، ودار سطح الارض من تحته بسرعة ٢٤٠٠٠ ميل فى اربع وعشرين ساعة ، اذن لتولدت فى الهواء عند خط الاستواء زوبعة هائلة دائمة ، تسير الى الغرب بسرعة الف ميل فى الساعة واذن لما استقرت على الارض حياة

●

o يستغرق طبخ اللحم الساعة والساعتين حتى يستوى . ولكنهم فى العصر الحديث ، ابتدعوا طريقة تسويته فى ربع ساعة ، فكيف توصلوا الى ذلك ؟

ــ توصلوا اليه بالطبخ فى الاوانى المغلقة ، المحكمة الاغلاق . ذلك ان الماء فى الاوانى المفتوحة اذا سخن غلا عند درجة مائة . وهو لا يرتفع عن درجة مائة لانه يتبخر فى الهواء . اما اذا سدت الآنية سدا محكما يمنع البخار من التسرب الى الهواء ، فان هذا البخار يحدث على الماء ضغطا ، وفى هذه الحالة يمكن رفع درجة الماء ــ والبخار بالطبع ــ الى اية درجة نريدها فوق المائة

وبما ان سرعة تسوية اللحم والخضر والاطعمة عامة تتوقف على درجة الحرارة ، فسرعة هذه التسوية لاشك زائدة فى الاواني المغلقة ذات الضغط ، عنها فى الاواني العادية المفتوحة



واذا بلغ ضغط بخار الماء فى الآنية الى نحو ستة ارطال ، بلغت درجة الحرارة نحوا من ١١٠ درجات ، وزادت سرعة نضج الطعام الى الضعف . واذا بلغ ضغط البخار الى نحو اربعة عشر رطلا ، بلغت درجة الحرارة نحوا من ١٢٠ درجة ، وزادت سرعة نضج الطعام الى اربعة امثال

●

ه هل وزن الرجل فى فنلندا مثل وزنه فى السودان ؟

ـ بالطبع لا .. ان وزنه فى فنلندا أكبر من وزنه فى السودان . او بتعبير آخر ، وزن الرجل والاشياء عند القطب ، اكبر من وزنه ووزنها عند خط الاستواء وذلك لسببين ..

اولهما : ان الرجل عند خط الاستواء يدور مع سطح الارض بسرعة هائلة ، اما عند القطب فلا يكاد يدور . وسرعة الدوران هذه تميل الى رفع الرجل عن سطح الارض فيقل وزنه .

كذلك الرجل عند القطبين يكون اقرب الى مركز الارض بمقدار نحو من ١٣ ميلا ، فيكون جذبه الى المركز أكبر

فهذان العاملان معا يجعلان الرجل الذى يزن عند القطب ١٩٠ رطلا يزن عند خط الاستواء ١٨٩ رطلا فقط

●

ه اى العناصر اكثر انتشارا فى القشرة الارضية التى نعيش عليها ؟

ـ اكثر العناصر انتشارا الاكسجين ، فهو يبلغ نحو نصف هذه القشرة . أو بالضبط هو يبلغ ٤٦ر٧١ ٪ من صخور الارض وهوائها ومائها معا . ويأتى بعد الاكسجين السلكون ، وهو فى الصخور ، ويبلغ ٢٧ر٦٩ ٪ فهذان العنصران يؤلفان ما يقرب من ٣/٤ القشرة الارضية

ويتحد السلكون بالاكسجين ، فتتألف منهما مادة تعرف باكسيد السلكون ، وهى الرمل المعروف الذى يملأ الصحارى الواسعة

●

ه الدود الذى تجده فى الفواكه ، هل مصدره باطن الفاكهة أم ظاهرها ؟

ـ مصدره ظاهر الفاكهة لا باطنها .. مثال ذلك دود التفاح . فهذا أصله فراش يصيب الشجر اذا لم يرش بمحلول سام كمحلول زرنيخات الرصاص . فتضع الفراشة بيضها أول ما تضع على

عنق التفاحة ، ثم يتفقس البيض عن دود يخترق التفاحة الصغيرة ، ويعيش فى باطنها الى حين

ثم يخرج الى لحاء الشجر فينقلب الى عرائس ثم الى فراش، ثم يبيض من جديد . وينفقس هذا البيض الجديد عن دود يعود مرة أخرى الى باطن التفاحة . واذا طال به المطال ، خرج من التفاحة فانقلب الى عرائس تنزوى فى لحاء الشجر . وتقضى فيه الشتاء كله . حتى اذا جاء الربيع فالصيف ، عادت الى العمل والحياة واتلاف الفاكهة

●

ه اذا ضاعفت ابعاد الشيء ، فما الذى يحدث لحجمه ، أيتضاعف ، أم يصير اربعة امثاله أم ستة ؟

ــ يصير ثمانية امثال . خذ مثلا الصندوق ، انك اذا ضاعفت اطواله الثلاثة كان حجمه الجديد ٢ × ٢ × ٢ بالنسبة للقديم ، أى ٨

●

ه لماذا تزيد حرارة الشمس صيفا عنها شتاء ، والشمس واحدة ؟

ــ السبب ان أشعة الشمس فى الصيف تضرب الارض ضربا عموديا ، او يكاد يكون عموديا ، أما فى الشتاء فتضرب سطح الارض بميل . ومن أجل هذا ، يحتر سطح الارض فى الصيف أكثر من احترازه فى الشتاء مع ان حرارة الشمس لا تتغير . كالصدمة تأتيك عمودية فتكون افعل منها لو أتتك مائلة

●

ه هل دود الارض ، منه الذكر ومنه الانثى ؟

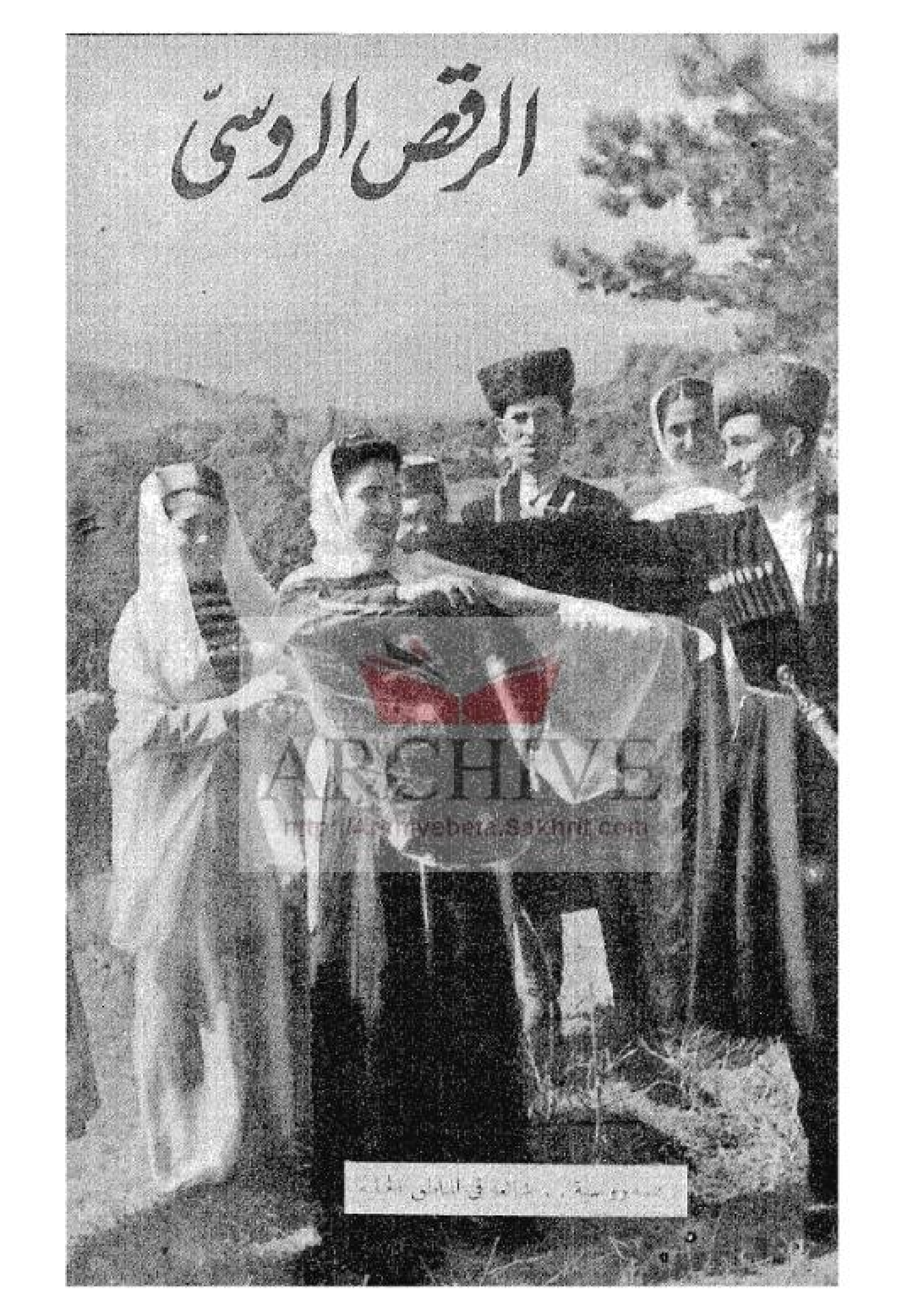
ــ نعم ، ولكن الذكر والانثى يوجدان فى الدودة الواحدة . فلا توجد دودة ذكر ، ودودة أخرى أنثى . ولكن توجد الدودة ذكرا وانثى فى آن واحد . فهى تلقح بعضها بعضا لتنسل الذرارى

●

ه عربة تسير بسرعة ٣٠ كيلومترا فى الساعة ، فبأية سرعة تسير محيطات عجلاتها ؟

ــ أجزاء محيط العجلة لا تسير بسرعة واحدة ، وانما بسرعات تتراوح بين صفر ، وبين ضعف سير العربة . ان النقطة العليا من العجلة تسير ضعف سير العربة . وتقطع الربع الاول من الدائرة بعد ذلك ، فتتناقص سرعتها حتى تصير الى مثل سرعة العربة . وتقطع الربع الثانى من الدائرة بعد ذلك فتتناقص سرعتها حتى تصير صفرا وهى تمس الارض . ثم تأخذ سرعتها فى الزيادة فى الربع الثالث فالرابع وهى تجرى الى القمة

ابن الهيثم


الرقص الروسي



جندى من أبناء القوقاس أحاط به لفيف من بنى قومه يصفقون له ، وهو يرقص على أنغام « الأكورديون »

عاملات بأحد مصانع النسيج فى موسكو ، يقمن برقصة قديمة ، وهن بملابس العمل

تؤلف روسيا ، أو الاتحاد السوفياتى ، من بلدان كثيرة متباينة الأجواء والعادات والتقاليد واللغات . ولكل من هذه البلدان رقصة اورقصات قومية، واناشيد خاصة بها ، وهى شائعة بين أفراد الشعب فى المدن والاقاليم . وكانت الطبقات الارستقراطية فى عهد الحكم القيصرى تميل الى انواع الرقص الاوربية الاخرى ، وعلى الخصوص الرقص الفرنسى . ولكن هذا الميل قد ضعف الآن ؛ وطغت الرقصات القومية الروسية المختلفة على جميع الاوساط

وفى روسيا رقصتان مشهورتان ، شائعتان فى جميع الجمهوريات التى يتالف منها الاتحاد السوفياتى، وهما : رقصة « القفقاس » ورقصة «جولوبى» ويقوم بالاولى راقصان فقط، اى رجلان أو رجل وامرأة ، يقترب الواحد من الآخر ثم يبتعد عنه ؛ على ضرب الأكف وصوت المزمار، ويلصق الراقص ذراعيه بجسمه ويضرب الارض بقدميه ضربات منتظمات متواليات ، أما الرقصة الثانية فيشترك فيها لفيف من الرجال والنساء

ويستخدم الروس مختلف الآلات الموسيقية فى حلقات الرقص ، ولكنهم يميلون ميلا خاصا الى « الاكورديون » والى الطبل الصغير، واحيانا الى الكمان . وبينما يدور الرقص بين شخصين أو اكثر ، يلتئم المشاهدون فى حلقة ويشاركون الراقصين بالتصفيق . وهم من هذا القبيل اقرب الى العادات الشرقية منهم الى الغربية . ولا غرابة فى هذا ، فالشعوب الروسية كلها تجرى فى عروقها دماء شرقية

*

وعند الروس رقصة كثيرة الشيوع ايضا ، اصلها من جبال القفقاس ، ولكنها انتشرت فى جميع الجمهوريات السوفياتية ، ويرقصها الرجال دون النساء ، ويمسكون بايديهم الخناجر القفقاسية المعروفة أثناء الرقص، ويمثلون مشاهد منوعة للفروسية والبطولة

وقد اشتهرت راقصات الاوبرا الروسيات فى رقصة توقيعية كثيرة الانتشار الآن ، وهى تعرف باسم « الباليه الروسى ». وكثيرا ما عرضت هذه الرقصة فى مصر، فى مواسم الاوبرا الافرنجية ، بوساطة راقصات ايطاليات أو فرنسيات

والشعب الروسى من أشد الشعوب تمسكا برقصاته القومية، وميلا الى الفنون الجميلة، وبخاصة الرقص والغناء والتمثيل



في الصورة العليا فتيان وفتيات
من مدينة كراسي ـ التابعة
لاحدى جمهوريات القفقاس ـ
يرقصون رقصة شعبية .
وتبدو في الصورة الجانبية
فتاتان في رقصة «ليافونكها»
احدى رقصات روسيا البيضاء

قصة الشهر

صبي يضحي

للروائى الايطالى : إدمون د . آمسيس

« قبل هذا الملاك الكريم . إنه ضحى بصحته ، وأذاب حشاشة قلبه من أجل والده . . لقد ضرب أحسن الأمثلة فى التضحية والإيثار »

لم يكن قد جاوز الثانية عشرة من عمره ، وكان أكبر أولاد ابيه، وهو لا يزال تلميذا بالفرقة الرابعة فى مدرسة القرية الابتدائية ، ومع حداثة سنه ، وجمال خلقه ، ونضارة وجهه ، كان ممتلىء الجسم ، راجح العقل ، سليم التفكير ،عالى الهمة

اما والده فقد كان يتقاضى راتبا ضئيلا من عمله فى مصلحة السكة الحديدية ، لا يكاد يقيم اود اسرته الكبيرة . لذلك كان يركب الصعب ، ويلاقى اشد العنت فى تدبير ما يلزم لها من مال يضيفه الى راتبه ، ليتيسر له القيام بحاجات المعيشة ، ومطالب الاسرة. وكان الرجل قد بلغ ارذل العمر . . ولولا ظروفه المعيشية للزم بيته ، لا يبرحه الا الى الكنيسة فى أيام الآحاد ، اوالى الرياضة فى المتنزهات اصيل كل يوم

وكان الوالد يبنى آمالا كبارا على نجاح ابنه فى الشهادة الابتدائية ، حتى يستطيع ان يلحقه باحدى الوظائف . . فيخفف عنه الحمل الذى اثقل كاهله ، وحرمه الراحة، وادناه من المرض. لذلك كان دائب العناية به ، شديد الحرص على وقته، وتوفير الراحة له ، يهتم بحالته الدراسية اهتماما كبيرا ، فيساله كل مساء من المواد التى درسها فى يومه والتى سيدرسها فى غده . وكان لا يتساهل معه ، ان لاح عليه تقصير، او بدا منه تهاون، فيذكره حينذاك بما تلجئه اليه الضرورة من اعمال اضافية تدر عليه ما يسد به العجز فى ميزانية البيت ، ويقفه على ما تسببه تلك الاعمال من اعتلال صحته ، وضعف ابصاره . فهو يقوم ليلا ــ بعد الفراغ من عمله فى السكة الحديدية ــ بكتابة عناوين المشتركين لبعض دور النشر ، ويأخذ ثلاث « ليرات » مقابل

كتابة خمسمائة عنوان

وقد كانت تلك الاعمال متعبة له حقا، ومنهكة لقواه، ومضعفة لصحته، وكان يضج دائما بالشكوى ويقول لزوجه وأولاده وهم يتناولون العشاء فى كل ليلة: «ان العمل بالليل يكاد يذهب بنور عينى.. ولكن ما حيلتى وليس منه بد ؟!..»

وذات ليلة، قال له ابنه، معقبا على هذه العبارة:

ــ انك تعلم يا والدى ان «خطى» قريب الشبه من خطك، وانى أستطيع أن أكتب كما تكتب انت، فهل هناك ما يمنع من مساعدتك بقدر ما اطيق ؟

فأجابه والده على الفور، بصوت شاعت فيه بوادر العطف، ونوازع الحنان، وبدا فى نبراته ايثاره مصلحة ابنه:

ــ لا! لا يا بنى! حاشا لى أن أختلس منك بعض وقتك، فانت فى حاجة الى كل دقيقة تمر، لتستذكر فيها دروسك، وتجدد معلوماتك. فاحرص على وقتك، وواظب على عملك.. هيأ الله لك اسباب النجاح، وكتب لك التوفيق. شكرا لك يا بنى على رقيق شعورك، ونبيل عواطفك، وارجو الا تعاود التفكير فى هذا مرة اخرى!

كان الغلام يعرف حق المعرفة أن اباه شديد الحرص على وقته، وانه لن تجدى معه اية محاولة ليقبل أن يعاونه.. فآثر الصمت، واغلق باب الحديث فى هذا الموضوع، وطوى فى نفسه امرا..

تعود الرجل أن ينتهى من عمله قبل أن ينتصف الليل، ثم يغادر المكتب الى حجرة النوم.. فيستسلم لنوم عميق، تتخلله الاحلام المقلقة، والرؤى المزعجة، فاذا ما انتهى الليل، وبدت تباشير الصباح، أسرع الى عمله الرتيب فى السكة الحديدية، فى استرخاء واعياء

غالب الغلام النوم فى الليلة التى دار فيها هذا الحديث مع والده، وظل مستيقظا الى أن تيقن أن اباه قد استغرق فى نومه، وانه لن يصحو الا بعد أن يتنفس الصبح. فنهض، وارتدى ملابسه، وتسلل يمشى الهوينا على اطراف أصابعه الى الحجرة التى اعتاد أبوه أن يكتب فيها ما تكلفه به دور النشر، ودلف اليها وئيد الخطا، خفيف الحركة، كثير النشاط، ثم أشعل المصباح، وجلس الى المكتب، وبيده الصغيرة أخذ يقلب الاوراق المكدسة فوقه الى أن اهتدى الى المكان الذى انتهى اليه ابوه فى ليلته، فشرع ينسج على منواله فى حذر وحيطة، وكله حرص أن يتشابه الخطان، وتتقارب الحروف، لئلا يكون هناك فرق بينهما يدركه أبوه

كان يكتب فى سرور وعجلة يشوبهما قليل من الخوف.. فاذا أعيته الكتابة، وكلت يده وضع القلم وفرك احدى يديه بالاخرى، ثم استأنف العمل وهو اوفر

نشاطا ، وأكثر سرورا . وكان كلما توهم او مر بخاطره ان احدا يراقبه من اهله ، كف عن العمل وتلمس الباب ليتسمع ان كانت هناك حركة او همسة ، فاذا لم يحس شيئا ، رجع الى مكانه وجد فى عمله

لقد كتب فى تلك الليلة مائة وستين عنوانا ، يستحق اجرا عليها « ليرة » واحدة .. ثم نال منه التعب ، والح عليه النوم ، واختلطت امامه الكلمات ، ولم يعد يقوى على متابعة الكتابة ، فوضع القلم فى مكانه من المكتب ، واطفأ المصباح ، ورجع من حيث اتى ، ثم اخذ مكانه من السرير واستسلم لنوم عميق ، ولم يستطع أن يستيقظ فى موعده الذى اعتاد ان يقوم فيه من النوم كل يوم ، ولم يقم كعادته نشيطا ، لكنه تكلف ذلك أمام أهله

*

انتظم عقد الاسرة حول المائدة لتناول الغداء فى اليوم التالى ، وكان السرور يشع فى نفوسهم جميعا .. فقد رأوا والدهم — على غير ما عهدوه فيه — باسم الثغر ، طلق المحيا ، لين الحديث ، يكاد يسيل رقة وعذوبة . وأدار دفة الحديث — كعادته — حول ما يبذله من عمل ، ولكنه كان فى هذه المرة كثير الابتهاج ، بادى السرور ، عظيم الفرح ، يوزع ابتسامته بين أولاده ، ويخص كلا منهم بنظرة عطف وحنان ، واخيرا ربت على كتف ابنه الاكبر ، وكان يجلس الى جانبه ، وقال :

— يسرنى أن تعلم يا « جول » ان والدك جم النشاط ، كثير الانتاج ، وانه ما زال فى عزم الشباب .. وحسبى فى الاستدلال على ذلك ، انى قد أنجزت فى ليلتى المنصرمة فى مدى ساعتين أكثر مما كنت أعمل فى كل ليلة بمقدار الثلث . وكان يقدر عمله دائما بالزمن الذى يقضيه فيه ، من غير أن يهتم بالنقطة التى منها ابتدأ ولا بالتى اليها انتهى ، لذلك لم يفطن الى عمل ابنه .. وواصل حديثه قائلا :

— ومع انى زدت عن عملى كل ليلة بهذا القدر ، لم تفتر همتى ، ولم تضعف عزيمتى ، ولم تكل يدى ، ولم تتعبنى عيناى

فبادل « جول » والده الشعور بالسرور ، وأبدى له كثيرا من الاعجاب ، واثنى على همته ، وامتدح نشاطه ، ودعا له بالتوفيق ، ولم يشر اية اشارة تنبىء عن عمله . وقال فى نفسه استرحاما لوالده ورأفة به :

— مسكين انت يا والدى ! لك الله من بائس ، تراكمت عليك الهموم ، وقد دببت الى الشيخوخة ، ونالت منك السنون ، وما زلت ثقيل الحمل ، كثير التبعات ، وليس لك سند ولا عضد .. سأضاعف الجهد ، فى مواصلة العمل ليدوم لك هذا الانشراح ، وليلازمك الشعور بالقوة

وقد بر الغلام بوعده ، فكان ينهض اذا دقت الساعة معلنة

انتصاف الليل الى حجرة المكتب ويأخذ مكان أبيه، ويتابع العمل فى همة، الى أن يغلبه النعاس فينصرف الى حجرة نومه . وكان يبالغ فى الحيطة حتى لا يفطن الى عمله احد من أفراد الاسرة . ونجح فى ذلك ايما نجاح ، وظلت تلك حاله الى ان فاجأ الوالد أسرته وهم يتناولون العشاء ذات ليلة بقوله :

ـ يخيل لى أن المصباح يستنفد فى هذه الليالى مقدارا ليس باليسير من البترول ، ولست متأكدا ان كان به خلل ، أو ان البترول فاسد ...

تولد خوف داخلى فى قلب « جول » وخشى أن يتنبه والده لما يقوم به مساعدة له . وساوره شىء من القلق لم يلبث أن تبدد حين اتخذ حديث أبيه مجرى مغايرا ، واستمر يعمل ما اعتاده بعد أن ينصرف أبوه للنوم

لقد كان « جول » يختلس الوقت الذى يصرفه فى معاونة أبيه من وقت راحته . . فكان يقوم فى الصباح منهوك القوى ، متعب الجسم ، محطم الاعصاب ، لان جسمه لم يأخذ قسطا كافيا من النوم . وكان عندما يشرع فى استذكار دروسه، يداعب الكرى اجفانه فيترنح ذات اليمين وذات الشمال . ولولا انه كان يمسك بحافة المكتب من حين الى حين لسقط عن كرسيه الى الارض

وفى احدى الامسيات لم يقو على مدافعة النوم، فاستسلم لسلطانه، والقى برأسه على المكتب فوق مكتبه ، وكان المصباح الى جانبه ، ولم يستيقظ الا حينما صاح به ابوه وهو يصفق بكلتا يديه فى جلبة وضوضاء ، ويقول :

ـ جميل جدا منك هذا النوم ، لعلك قضيت يومك فى قطع الاحجار ، وجمع الاخشاب من الغابات .. انك اذن فى حاجة الى الراحة والنوم ... انهض ! انهض وذاكر يا « جول » فغير لائق بمثلك ان ينام ...

نهض المسكين وهو يرتعد فرقا، وواصل الاستذكار فى سآمة وملل .. ولم تفارق عيناه السطر الاول من الكتاب الذى أمسك به. وما ان غاب عنه أبوه الى حجرة نومه ، وأيقن انه قد استغرق فى النوم ، حتى شرع فى عمله فى دأب وجد، الى ان تيقن من انه فرغ من القدر الذى يكتبه كل ليلة فى كتابة العناوين ، فغادر موضعه الى سريره

تكرر ذلك منه ، وتكرر من أبيه تأنيبه وتعنيفه ، حتى تولد فى نفسه الشعور بكراهية المدرسة والدروس .. ولاحظ والده منه ذلك ، فراقبه عن قرب ورسم له خطة ينتهجها ليعود الى سيرته الاولى .. ولكنه لم يظفر ببغيته، ولم يبلغ أمله فيه ، فاستشاط غضبا ، واعتلج فؤاده أسى، واخذ يكيل له اقذع الشتائم كلما رآه، ويسوق اليه اقسى عبارات التوبيخ والتأنيب على تفريطه واهماله ، وعدم عنايته وقلة اكتراثه ، وكان مما قاله له مرة :

ــ ألا فاعلم يا « جول » انك لم تعد ذلك التلميذ المجد الذى عرفناه من قبل ، وهذا يؤلمنى كثيرا . ففكر جيدا وراجع نفسك ، وعدل سلوكك ، وثابر على عملك . فاننا جميعا قد علقنا آمالنا عليك ، ووضعنا رجاءنا فيك . . فكن عند حسن الظن بك ، وثق اننا لن نتذوق للحياة طعما الا اذا وثقنا من انك عدت الى ما كنت عليه نشيطا فى عملك ، مكبا على درسك . .

نالت هذه الكلمات من نفس « جول » ، واثرت فيه تأثيرا بالغا . . لانه لم ير والده قط بمثل هذا العبوس ، ولم يسمع منه أحد مثل هذا التأنيب ، ولكنه التمس له شتى المعاذير ، وقال فى نفسه :

ــ سيتضح الامر فى يوم ما ، وينبلج صبح الحقيقة . . ويعلم والدى حينئذ انى لست متكاسلا ولا متهاونا

فى الليلة التى حدثت فى صباحها تلك المشادة بين الوالد وابنه . . كان الوالد يتحدث الى اولاده على مائدة العشاء ، فى بشر ومودة ، وسرور وايناس . وقال لهم فى نشوة من الطرب وفيض من الفرح :

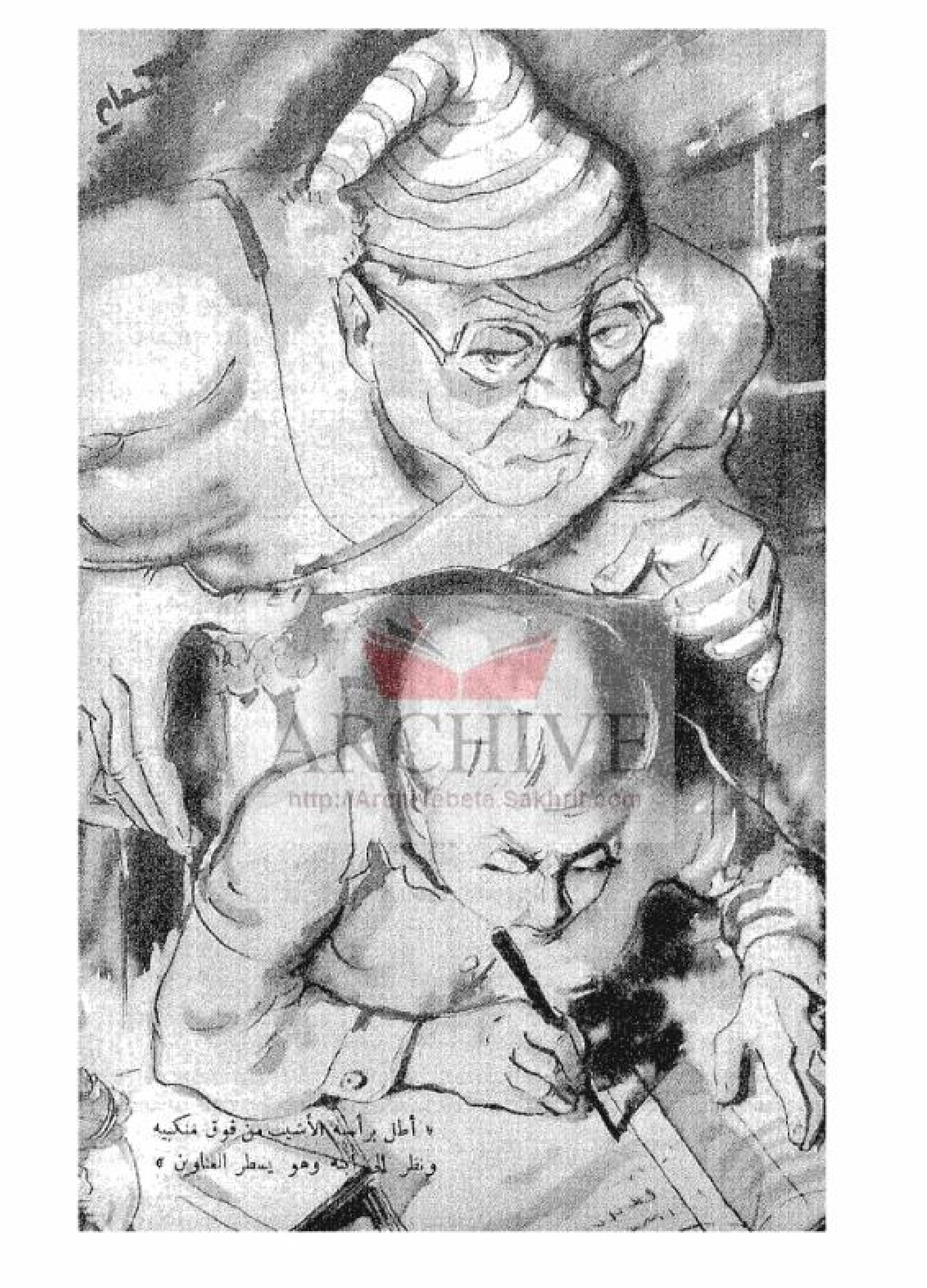
ــ لقد زاد الدخل يا اولادى من كتابة العناوين فى هذا الشهر ، اثنين وثلاثين « ليرة » عنه فى الاشهر الماضية . وقبل ان يتم حديثه قام الى صوان وراءه ، واخرج منه صندوقا كبيرا من الحلوى كان قد جاء به ليقدمه هدية لاولاده فى تلك المناسبة السارة ، ثم جعل يوزع عليهم قطع الحلوى وهو عظيم النشاط ، بادى البشاشة . . مما شجع « جول » ، وملأ قلبه غبطة وابتهاجا ، وحدا به أن يعزم عزما اكيدا على متابعة المساعدة لابيه ، والمبالغة فى اخفاء عمله هذا عنه . . ليظل النشاط يغمر قلبه ، ويشيع فى جسمه ، وقال لنفسه :

ــ على ان أواصل العمل من أجل العائلة ومن أجل والدى ، مهما ساءت النتيجة ، ووخمت العاقبة . ولست أبالى بعد الآن بتأنيب ابى وعبوسه فى وجهى ، ما دمت أدخل السرور على قلبه من ناحية اخرى . . .

كان هذا الحديث يدور فى نفس « جول » ، حين كان والده يكرر ذلك النبأ السار . . اثنتان وثلاثون « ليرة » تضاف الى راتبى وما أكسبه من عملى الاضافى . . انه لربح وافر وخير كثير . ثم انتبه « جول » الى والده ، وهو يقول فى صوت تغيرت نبراته :

ــ انه لا يعكر صفوى ، ولا يشوب سرورى الا حالة هذا الولد . واشار اليه بسبابته . . فانها قد ساءت وتبدلت . . وذلك شىء يقلقنى ويقض مضجعى

تمالك « جول » نفسه عندما سمع هذا التقريع ، ودافع دمعة حارة كادت تنبجس من عينيه ، وانصت الى ضميره يردد : « حسبك يا « جول » هذا السرور الذى أفعم قلب والدك »



« أطل برأسه الأشيب من فوق منكبيه
ونظر إليه وهو يسطر العناوين »

واظب الغلام على العمل ليلا — معاونة لأبيه — شهرين كاملين ، كان في خلالهما مثلا طيبا من امثلة النشاط والجلد .. اما عمله المدرسي فقد تأخر فيه كثيرا وأضحى دون المتوسط بكثير ، مما حمل والده على الحنق عليه والموجدة منه

وفي يوم ما عرج ابوه على المدرسة قبل ان يذهب الى عمله في الصباح وقابل استاذه ، ليستفسر منه عن حالة ولده ، فقال له الاستاذ :

— ان ابنك في حال لا يحمد عليها .. لقد كان قبل ثلاثة اشهر مثلا يحتذى في الجد ، ولا ادرى لماذا فترت عزيمته ، وتسرب اليه الخمول والكسل ، فكثيرا ما يتثاءب ويتمطى في أثناء الدرس ، شأن من به حاجة ماسة الى النوم . ولقد أضحى قليل الانتباه الى الدروس والعناية بها .. فموضوعاته الانشائية فقدت قوتها السابقة ، فغدت قصيرة لا روح فيها ، وهو يكتبها مع هذا بخط رديء . ان في استطاعة ولدك ان يكون خيرا مما هو الآن ، وان يعود أول فرقته ، كما كان . ولكن لست أدرى ماذا يقعد به عن ذلك . فشكره الوالد وانصرف ، وفي قلبه من الهم ما لا يعلم كنهه الا خالقه

*

عندما عاد الوالد في المساء .. نادى ابنه وانفرد به في حجرة مكتبه ، وقال له في كثير من الحدة :

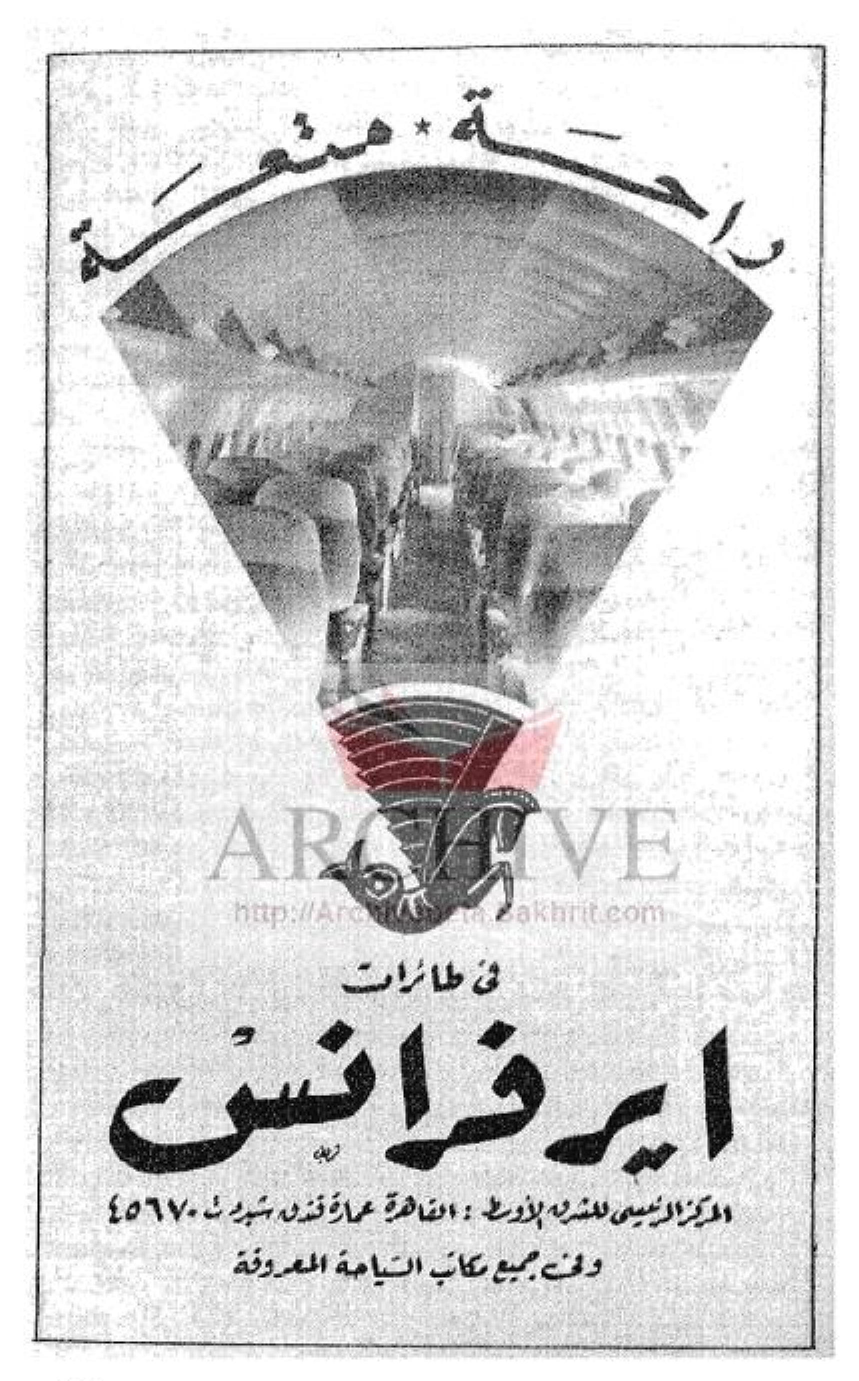
— انك تعرف يا « جول » ان زهرة حياتي قد ذبلت ، واني هامة اليوم او غد .. ومع ذلك لا اذوق برد الراحة ، واواصل الليل بالنهار من أجل العائلة ومن اجلك ، وكنت اود أن تقدر ذلك منى فتثابر على عملك وتجد في دروسك ، لتبلغ الغاية التى رسمتها لك . فاتخذ منك عونا لي على تدبير ما يلزم لتلك الاسرة الكبيرة من نفقات . ولكنك ابيت الا أن تزيد همومي ، وتضاعف آلامي بتقصيرك واهمالك .. ان هذا لا يسرني منك ، ولا يسر احدا من اخوتك ، ويسيء الى والدتك .. فقال الغلام بصوت تخنقه العبرات :

— لا يا والدي ! اني أقدر تمام التقدير انك تركب الصعب من اجلنا .. وانك تضحى بصحتك في سبيلنا .. وهم أن يرفع الستار عن حقيقة امره ، لكن والده واصل الحديث قائلا :

— انك تعلم أن دخلنا ضئيل ، وان اسرتنا كبيرة ، وانه لا بد لنا من عزائم قوية ، لننهض بتكاليف المعيشة .. وقد كنت أتوقع ان مصلحة السكة الحديدية ستمنحني مائة « ليرة » في هذا الشهر مكافأة لي ، ولكني علمت صباح اليوم انها قد عدلت ، فحز ذلك في نفسي ، وكان وقعه اليما على قلبي

تأثر « جول » لسماع هذا الخبر ، وارتاعت نفسه ، واعتلج بالأسى قلبه . وقال في نفسه :

— لقد هممت أن أطلعك على حقيقة امرى ، وسر اهمالي


راحــة * متعــة
في طائرات
اير فرانس
المركز الرئيسي للشرق الأوسط : القاهرة عمارة فندق شبرد ت ٤٥٦٧٠
وفي جميع مكاتب السياحة المعروفة

لدروسى ، ولكنى سأسرها فى نفسى ، واطويها عنك . . وان الالم الذى بسببه لك اهمالى ساجزيك به من ناحية اخرى . ساجلب لك اثنتين وثلاثين «ليرة» زيادة عما كنت تستحق كل شهر من عملك فى كتابة العناوين . اما دروسى فساذاكرها بالقدر الذى يهيىء لى النجاح فيها . . لن ادعك نهبا للأفكار ، ولا فريسة لشاق الاعمال .. سأساعدك فى اعالة الأسرة

وواصل الغلام عمله فى معاونة ابيه بعزم الرجال شهرين آخرين . كان فيهما بغض الطرف، عما كان يواجهه به أبوه من قارص الكلم ، ولاذع التأنيب

الا ان الرجل لما طال به الامر ، ولم يتأثر ابنه بالموعظة،ولم يستمع للنصح ، أهمله اهمالا تاما . . فكان لا يبدأه بحديث، ولا يستمع اليه اذا تحدث ، كما كان يتحاشى النظر اليه ، وقطع كل صلاته به يائسا من اصلاحه . وما ان رأى الغلام ذلك من ابيه حتى اعتلت صحته ، وساءت حاله ، وأسرع اليه النحول والذبول ، فضوى جسمه ، واصفر لونه ، وغارت عيناه ، وتخدد جبينه . . وأصبح اشبه الناس بالمصدورين ، الذين حانت وفاتهم ، ودنا أجلهم . ولقد شاع الاهمال فى عمله المدرسى شيوعا لم يسبق له نظير فلم يعد يقوى على شىء منه .. لقد هم أن يكف عن عمله فى مساعدة والده ، لكن دقات الساعة الاثنتى عشرة كانت تدفعه دفعا قويا الى القيام بالمهمة التى أخذ على نفسه أن يقوم بها .. وكان يحس اذا تباطأ فى سيره قليلا ، انه يسرق من والده وعائلته « ليرة » هم فى أشد الحاجة اليها ، فينهض مسرعا . كان دائم الاعتقاد فى ان والده سيقف على حقيقته يوما ما، وعندئذ يصفح عنه ويغفر له .. فيهدأ باله ، ويطمئن خاطره ، ويواصل عمله

فى ليلة قالت الأم لزوجها، وقد هالها ما أصاب ابنها من اعتلال الصحة :

— ان « جول » مريض ، وانت عنه فى شغل . . ألا تراه وقد ذوت نضارته، وغاضت ملاحته، وذبل جسمه ، وتمشت العلة فى أعضائه ، ثم التفتت الى «جول» وقالت له :

— انك مريض يا « جول » فماذا تشكو ؟ بماذا تحس؟. وقبل أن ينطق الغلام التفت اليه أبوه فى احتقار ، وقال :

— ان هذا الولد لا يهمنى الآن فى شىء ، لانه خيب أملى فيه ، فانصرف الى اللهو وصم أذنيه فلم يسمع نصحى

فقالت له زوجه :

— ان الولد فى حالة سيئة،وقد فات أوان التقريع . . فتدبر الامر بحكمة ، لئلا تسوء العاقبة ، ولا تحمد النتيجة ، فقال لها فى صرامة واصرار :

— انى اكرر انه لم يعد يهمنى منذ الآن عاش أو مات ، صح أو

اعتل ، فقد رضت نفسي على انه ليس لي ابن لا يقدر ظروفي ، ولا يصغي لارشادي ، فلا تحدثيني في شأنه بعد اليوم

كان لهذه الكلمات في قلب الصبي وقع السهام ، فقد ايقن انه مات في قلب والده ، وانه اصبح لديه نسيا منسيا ، فقال في نفسه وهو يذوب ألما ، وقلبه يتفتت اسى :

ــ انه لا حياة لي بدون حبك ايها الوالد الرحيم ! كيف اعيش محروما من حنانك ، مطرودا من رحمتك . . لا بد لي من ان اجابهك بالحقيقة ، وأواجهك بالواقع ، لاسترد عطفك،واستعيد محبتك . هذه هي اللحظة الحاسمة في حياتي . . سانقطع عن كتابة العناوين ، لانها هي التي أوردتني هذا المورد الآسن ، سأواظب على دروسي ، وسأشمر عن ساعد الجد لأنال رضاك . . هانذا قد قررت ولن ارجع عن عزمي منذ الليلة . . .

❊

قوي العزم في نفس الغلام على ان يستدر عطف والده عليه ، وحبه له ، بالكف عن معاونته في اعماله الاضافية ، وبالعكوف على المذاكرة والجد في دروسه ، فلما اعلنت دقات الساعة ان الليل قد انتصف ، وان موعد قيامه قد حان ، اخذ يتقلب في فراشه كالمحموم ، وطار عنه النوم ، واستبد به القلق ، واحس انه يوشك على ارتكاب جريمة في حق اسرته ، ان قعد عن متابعة العون لابيه . واخيرا لم يجد بدا من القيام،اراحة لضميره، وبرا بابيه، ورأفة باسرته،وعقدالنيةعلى عدم العودة الى العمل بعد تلك الليلة

تسلل الى حجرة المكتب واخذ مكانه منها، وقبل ان يستقر في مكانه ، طاشت من يده حركة اطاحت ببعض الكتب ، فأحدث سقوطها على الارض صوتامزعجا، قطع سكون الليل المطبق من حوله، وبعث الرعب في قلب الفتى ، فجمد الدم في عروقه ، وتصبب من جبينه عرق بارد ، واسقط في يده ، وقال في نفسه :

ــ ماذا يكون موقفي لو استيقظ والدي ورآني على حالي هذه . . حقا انني لا أقوم بعمل قبيح ، وحقا انني اجلب بهذا العمل بعض الخير لوالدي . . وكل ذنبي انني اقوم به من غير علمه،وبدون اذنه ، ولكن ماذا أفعل ؟ لتكن النتيجة ما تكون . . الم اقررانني ساخبره بكل شيء ؟ ثم لم يلبث ان هدأ جنانه، وعاد اليه هدوؤه، فأمسك بحزمة من الاوراق البيضاء ، وقرب اليه سجل العناوين ، التي اصبح يحفظ معظمها ، واخذ يكتب في حركة لا شعورية،وقلبه مفعم بشيء من السرور يشوبه الالم

كان يخيل اليه في تلك الليلة انه يسمع وقع اقدام تقترب منه، فينصت لها ويتلفت يمينا وشمالا . ويمضي الوقت ولا يرى شيئا . . فيستأنف العمل والاوهام

تساوره ، والافكار السوداء تعبث براسه .. كان يفكر فى موقف والدته اذا هى استيقظت من نومها مذعورة على صراخ والده وهو يؤنبه وينهره ، ويفكر أيضا فى ذلك الالم الذى يسيطر على قلب والده حين يقف على حقيقة تلك « الليرات » الزائدة ، ويعلم انها ليست من عمل يده ، وان ما يعتقده فى نفسه من القوة ، وفى قلبه من الهمة ، ان هو الا وهم لا يمت بشىء الى الواقع.. وعندئذ تملكه رعب شديد ، وتولاه خوف كبير ، وخشى فاجعة النهاية ، وسوء المغبة ، فقام الى الباب ونظر من ثقب المفتاح ، ولما ايقن أن أحدا لم يقم من مضجعه ، وأن السكون لا يزال مخيما ، اطمأن باله ، وزالت وساوسه ، وهدأت مخاوفه ، ورجع الى مكانه ليتم عمل ليلته بهمة ونشاط ، وعزم يزداد صلابة كلما ازدادت أمامه أكداس الاوراق ...

*

مر الحارس أمام البيت فقطعت خطوات حذائه الثقيل ، الهدوء الشامل ، والسكون المطبق ، وبعثت الى قلب « جول » رجفة خفيفة ما لبثت أن تبددت ، وحل مكانها الاطمئنان .. ولم يمض الا قليل حتى مرت سيارة مسرعة ، تركت وراءها صدى مزعجا . وما كاد صوتها يخفت ، حتى انبعث من بداية الشارع جرجرة عربات تتقدم فى بطء وتحدث جلبة وضوضاء تزعج النائم وتفزعه ، ودامت تلك الحال وقتا ليس بالقصير ثم انقطعت أو كادت ، ولف الكون السكون من جديد . ولولا نباح الكلاب فى منازل الجيران لظل الهدوء شاملا ...

لم يدرك الغلام ان سقوط الكتب أيقظ والده ، وان خطوات الحارس ، وجرجرة العربات وصوت السيارة ، حالت بينه وبين الشعور به وهو يفتح الباب ، ويدلف الى الحجرة ، ويقف وراء ابنه ، ويطل براسه الاشيب من فوق منكبيه ، ينظر الى حركات يده ، وهى تسطر العناوين فى سرعة فائقة ، واتقان بالغ ، فتسمر فى مكانه ، وغمره شعور ممتزج بالالم والسرور ، ولم يستطع أن يتمالك نفسه ، فسقطت من عينيه دمعتان على يد الغلام ، فانتبه لمكان ابيه ، فارتاع وفزع ، وصرخ صرخة عالية .. وفى تلك اللحظة احتضنه والده واخذ يهدىء روعه ، ويقبل ما بين عينيه ، والولد يصيح وهو يرتجف :

ــ اغفر لى يا والدى ! لن أعود ، لن أعود أبدا ! اغفر لى ، والرجل يقول له فى اضطراب وارتباك :

ــ لا عليك يا بنى ! أنا احق بعفوك ، وأولى بمغفرتك .. اقبل معذرتى ، واصفح عنى .. انا والدك الضعيف .. سببت لك الآلام ، وجلبت لك الامراض .. اهدأ يا بنى ، ولا تبالغ فى الاعتذار . ثم انخرط الرجل يبكى بكاء مرا ، وأخيرا حمل ابنه بين ذراعيه ، واسرع به الى امه فى حركة

لا شعورية ، وكانت تلك الجلبة قد ايقظتها .. ثم وضعه برفق بين ذراعيها ، وهو يقول :

ـ قبلى هذا الملاك الكريم .. انه ضحى بصحتـــه ، وأودى براحته ، واذاب حشاشة قلبــه، وبذل كل ما فى استطاعتبـه من اجلنا .. لقد ضرب أكبر مثل من امثلة التضحية والايثار .. حرم على نفسه النوم ، وباعد بينهـا وبين الراحة منذ زمن بعيد .. وانا اطالعه كل ساعة بنوع جديد من التأنيب والتعذيب ، حتى أثقلت على قلبه .. ذلك القلب الذهبى الذى انطوى على انبل العواطف .. انه كان يعمل ذلك ليعاوننى فى كسب الخبز لتلك الاسرة الكبيرة، ثم اختنق صوت الرجل ولم يستطع أن يتم حديثه ..

ضمت الأم ابنها الى صدرها فى حنان وشفقة، وانهالت على جبهته لثما وتقبيلا ، ولم تحر جوابا ، لانها أخذت بالمفاجأة التى لم تكن تتوقعها .. وبقيت لحظات هكذا، غالب الرجل فيها البكاء، ثم أخذ بيد زوجه ، وهو يقول :

ـ اسرعى ، أسرعى به الى حجرة النوم ، هيئى له أسباب الراحة ، انه فى أشد الحاجة الى النوم . ولما لم تسعفه زوجه ، انتزعه من بين ذراعيها فى رفق وعانقه عناقا حارا ، ثم سار به الى سريره ووضعه فى عناية بالغة، ومسح عليه بيده وهو يقول :

ـ بارك الله فيك يا بنى، وأعاننى على مجازاتك

فقال الغلام فى كثير من التأثر :

ـ وبارك لنـا فيك يا والدى ! نحن مدينون لك ، ولا نستطيع أن نقوم بحقك علينا ، وانى اشكرك يا والدى ! انك انت ايضا فى حاجة الى النوم ، فاذهب لتستريح

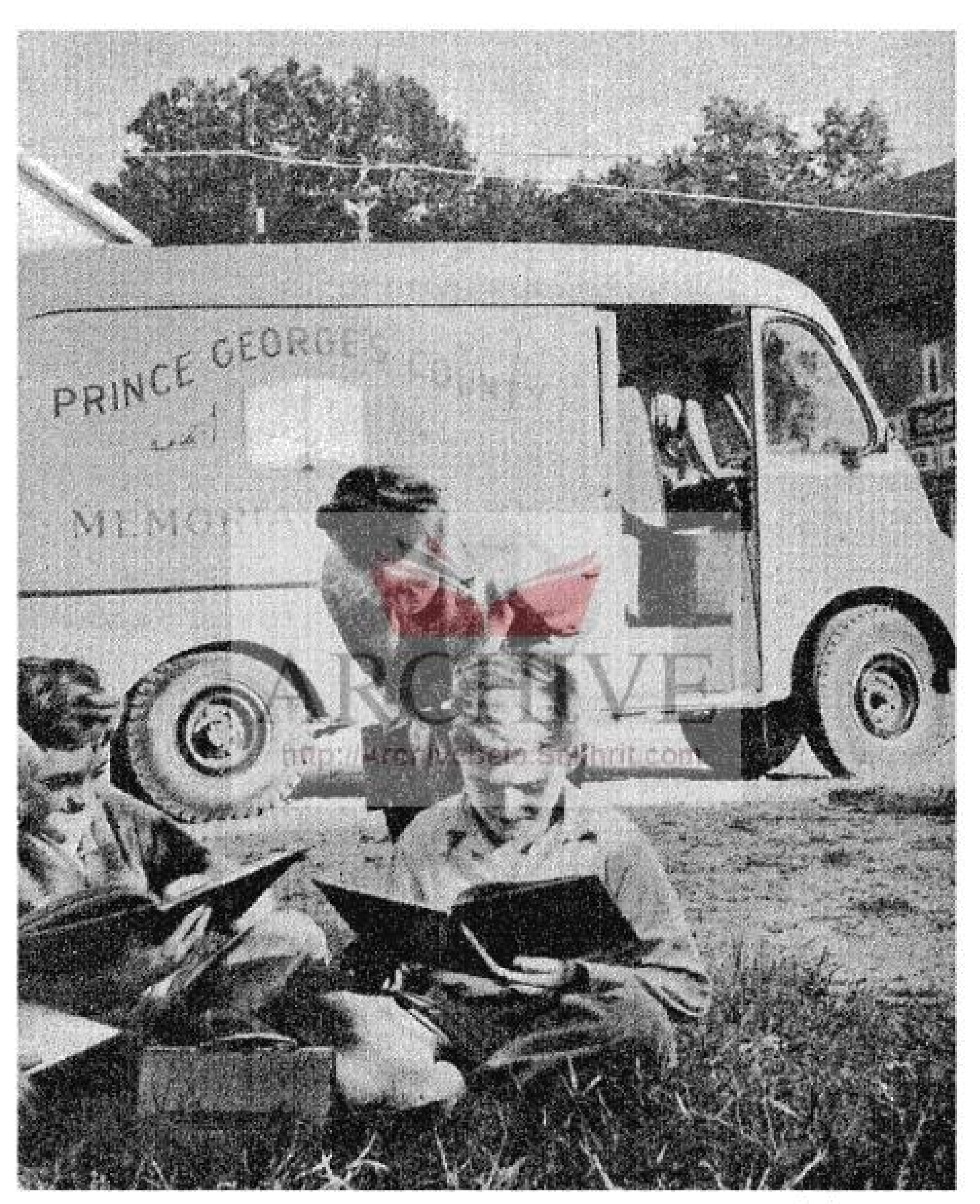
فتناول الوالد يد ابنـه وطبع عليها قبلة حارة أودعها كل عطفه وحنانه ، وشفقته . وكان الغلام يحس بعواطف ابيه الملتهبة تسرى فى جسمـه سريان الكهرباء ، فتنبسـط اساريره ، وينطلق وجهه ، ويتورد خده .. ثم جعل الوالد يمسح بيده على وجهـه ، وهو يقول :

ـ نم انت يا بنى ، فانى أود ان أراك مستريحا ، ولن يطمئن لى خاطر ، الا اذا رأيتك نائما

كان « جول » قد هده السهر ، ونال منه التعب ، وآذاه تأنيب ابيه من قبل ، وتبرئته منه ، فلم يلبث الا قليلا حتى استغرق فى نوم عميق لم يفق منه الا فى ضحى اليوم التالى .. وقد نعم بأحلام لذيذة ومشاهد سارة فى أثناء نومه ، فاستيقظ نشيطا تترقرق الحيوية فى وجهه ، مستمتعا بلذة استعادة مكانتـه فى قلب أبيـه الذى كان لا يزال بجانب سريره ، وقد اسـند راسه الابيض على نفس وسادته ، وهو مستغرق فى نومه وعلى وجهه بسمة الرضا .. فابتسم الغلام بدوره ، لان والده قد قدر له تضحيته ..

تلخيص : رشدى اسماعيل مقى

جلسوا وسط المزرعة ، واستغرقوا فى قراءة ما بأيديهم
من الكتب التى استعاروها من إحدى المكتبات المتنقلة





المكتبات المتنقلة

كلما ازداد اقبال الشعب فى امة ما على القراءة والمطالعة، ازداد توثبها للحياة ، وعظم نصيبها من اليقظة والوعى القومى .. لذلك تعنى الحكومات فى البلدان الراقية بتوفير وسائل الاطلاع وتنمية عادة القراءة فى نفوس الشعب ، وبخاصة العمال والصناع والمزارعين وافراد الطبقات الفقيرة التى تعجز عن شراء الكتب . فاصبحت الهيئات الثقافية لا تكتفى الآن بالمكتبات العامة فى العواصم والمدن، التى لا يفيد منها سوى نفر قليل من ذوى الثقافة المتوسطة والعالية ، بل يخصصون عدة سيارات للتجوال فى القرى والحقول والاحياء الصناعية، تحمل عددا وفيرا من الكتب المبسطة التى تتفق وعقلية القرويين والصناع . ويعنى عادة باختيار هذه الكتب بحيث تتصل بحياة القراء اتصالا وثيقا وتتناول مشاكلهم الخاصة ، وتهدف الى تهذيب خيالهم وتقويم اخلاقهم وتربية عواطفهم . وقد رافقت عدسة المصور احدى هذه المكتبات المتنقلة فى احدى رحلاتها وسجلت الصور المنشورة على هذه الصفحات

إنه يستعير بعض الكتب التي يلذ لوالده الاطلاع عليها بعد الفراغ من عمله



إحدى الاخصائيات اللاتى يشرفن على المكتبات المتنقلة . . تعرض على طفلين كتاباً مصوراً





تشأت «عائشة» في عز ونعمة، في بيت يعتز بالعلم ويرعى الادب وكان أبوها — اسماعيل تيمور باشا — حريصا على ان يجمع المجد من طرفيه: عز المحتد، وفخر العلم، فشهدت في طفولتها كبار الكتاب واعلام الشعراء يجتمعون في صالون القصر، وصافحت أذنيها الصغيرتين روائع القصيد وآيات النثر العالي، فانحرفت — بالرغم منها — من الطريق المألوف، واتجهت الى الميدان الادبي متأثرة بذلك الجو الذى كانت تعيش فيه، ولقد كرهت امها — وكانت جركسية عريقة في الحريم — ذلك الانحراف، وحاولت — ما استطاعت — ان تردها الى الطريق الذى تسلكه لداتها من فتيات الأسر، وسليلات البيوتات الكبيرة. واتخذت هذه المحاولة صورة عنيفة حين اخذت الأم تمنعها من حضور مجلس الكتاب في الصالون، وترغمها على تعلم فن التطريز، فازدادت الطفلة عنادا ونفورا مما يراد لها، وتعلقت بالممنوع في شغف وحماس. فلما اوصدت الأم أبواب «الصالون» دونها، واستحال عليها أن تروى ظماها الى حديث الشعر والفن، نفرت من التطريز، وهجرت ادواته، وانزوت في القصر محزونة، متألمة، تعاني اشواقا طاغية الى الادب ومجالسه، واشتد عليها الامر، وأوشكت نضرة صباها أن تجف وتذوى، في تلك المعاناة الأليمة، وذلك الصراع المرير

ثم كانت النجاة ...

استثار مرأى «الطفلة الحزينة» عطف الأب الكريم، فتدخل في الصراع المحتدم بينها وبين الأم، وانقذها من الوحشة والالم، حين عاد بها الى مجالس الادب، وأحضر لها اثنين من الاساتذة المعلمين،

يعلمانها القرآن الكريم ، والفقه، واللغة الفارسية ، ثم اختار لهـا بعض الاديبات من النساء ، عندما ظهرت له بوادر نبوغها في الادب، ولاحت مخايل براعتها في نظم الشعر

*

اقبلت « عائشة » على الدرس مشوقة متلهفة راضية مغتبطة ، وانصرفت اليه بكل حماسها، وكل مواهبها،وقد خيل اليها انها تدنو من الأفق الذي رنت اليه من بعيد، وان الحلم الذي خايلها من فجر الصبا ، قد اوشك ان يصبح حقيقة واقعة ، فلن تلبث ان تنضم الى موكب الشعراء ، وتغدو ندا لهؤلاء الأعلام ، الذين طالما أصغت اليهم مفتونة معجبة

وزهاها الفرح فرفعت عقيرتها تنشد :

بيد العفاف أصون عز حجابي
وبعصمتي أسمو على أترابي
وبفكرة وقادة وقريحة
نقادة قد كملت آدابي
ولقد نظمت الشعر شيمة معشر
قبلي ، ذوات الخدر والأحساب

جعلت مرآتي جبين دفاتر
وجعلت من نقش المداد خضابي
كم زخرفت وجنات طرسي أنملي
بعـــذار خط أو إهاب شبابي
ولكم أضا شمع الذكا وتضوعت
بعبير قولي روضة الأحباب

بالطفلة المغرورة ! ذات «الفكرة الوقادة والقريحة النقادة»، و«شمع الذكاء الذي أضاء !»

لقد نظمت الشعر اذن !

أجل، واصغى الزمن، وتهيأت الآذان لسماع البشرى بمولد « شاعرة »

لكن الطبيعة انكرت هذه النغمة الشاذة! فما يرضيها قط ان تكون مرآة الفتاة « جبين دفاتر » وما تسيغ ان ترى انامل انثى مخضوبة « بالمداد » ، وما تعترف « بعبير القول » في روضة حواء !

ومدت يدها ، فوضعت حدا لهذا العبث الصبياني وذلك المسخ المنكر !

تزوجت الفتاة ، قبل ان تتم دروسها في العروض ، وتمرن على نظم الشعر ـ من احد اشراف الترك ، وهي في الخامسة عشرة من عمرها . وطوتها الحياة الزوجية في غمارها ، وشغلتها عن الشعر والانشاد ، وملأت دنياها بزوج ، وبنين ، وبنات .. فانزوى الحلم الكبير في ركن من قلبها

وسكتت القيثارة التي بشرت نغماتها الاولى بمولد « شاعرة »

وانصرفت الآذان التي كانت تحيط بالقصر متسمعة مترقبة ، وقيل : ضوء لم يكد يلوح حتى خبا ، ونجم لم يكد يبزغ حتى هوى وراح

*

ومضت الانثى مع تيار الحياة، في الطريق الذي سارته من قبلها الأم حواء

مضت تحمل وتضع ، وترضع وتفطم ، وتمرض وتربى ، فى ضجيج لا تكاد تسمع معه همس الحلم المنطوى فى أعماقها ، وفى اشتغال لاتكاد تشعر فيه بنفسها

وظنت، وظن الناس ، ان الحياة الزوجية قد قضت على الامل الوليد

*

ومرت الايام ، والاعوام

وخفت اعباء الأمومة نوعا ، بفضل التجربة والمرانة والتعود

وشب الصغار من البنين والبنات ، وزال بعض همهم ، فكان لعائشة شيء من الفراغ ، سمعت فيه أنين شوق مكبوت الى الشعر والانشاد

وبدا لها ، فامسكت القيثارة التى هجرتها اعواما ، وقد غمرها شعور جارف مختلط مبهم ، من عواطف مضطربة متناقضة ، امتزج فيها اليأس بالحنين ، والخوف بالفضول .. ومضت ـ فى تردد وحذر ـ تشطر هذين البيتين :

وليلى ماكفاها الهجر حتى
أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها : ارحمى الأمى ، قالت :
وهل فى الحب يا أمى ارحمينى ؟!

وليلى ماكفاها الهجر حتى
أطالت فى دجى ليلى أنينى
وكل تجلدى بالصبر لما
أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها ارحمى الأمى ، قالت:
كذا خط اليراع على الجبين
فدع قلق الصغار وكن صبوراً
وهل فى الحب يا أمى ارحمينى ؟!

فاصغت الى صوتها وهى ترتجف ، ولا تكاد تصدق اذنيها !

وعادت الى القيثارة مرتابة تريد أن تستيقن ، فرددت :

وليلى ماكفاها الهجر حتى
أرتنى جرح قلبى بالعيون
وما قنعت بسفك دمى ولكن
أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها : ارحمى الأمى ، قالت:
بأمى قد بليت .. فمن معينى ؟
أترحم فى الغرام وأنت صب ؟
وهل فى الحب يا أمى ارحمينى ؟

فهزها العجب ، واستمرات ما هى فيه ، وأنثنت تغنى للمرة الثالثة :

وليلى ماكفاها الهجر حتى
أذاعت بعد كتمان شجونى
وحين تبينت آيات وجدى
أباحت فى الهوى عرضى ودينى
فقلت لها : ارحمى الأمى ، قالت:
جننت، وفى الهوى بعض الجنون
وهبنى كنت أمك كيف أحنو؟
وهل فى الحب يا أمى ارحمينى ؟

كيف وقد هجرت الانشاد ؟

كيف وقد حسبت انها فرغت من ذلك الامر ، وخرجت من دولة الشعر ؟

كيف وقد ظنت ان الحياة

الزوجية قد شغلتها عن النظم والمنظوم ؟

نعم .. هجرت الانشاد ، وشغلتها حياة الزوجية والأمومة من النظم ، لكنها أذاقتها من الاعباء والملذات والهموم ما هذب حسها وارهف وجدانها ، وانضج الموهبة الكامنة فيها

وهكذا كان ذوقها الادبي يرق، وينمو ، ويصفو ، بفضل التجربة الكبرى : تجربة الأمومة والزواج

هكذا كانت موهبتها الفنية تزداد على الايام قوة ونضوجا ، حتى اذا لاحت الفرصة وتهيأ الظرف ، بدت «الشاعرة» التى ظن انها وئدت فى المهد، وانبعثت نغماتها تحمل طابع الانثى، وتغنى للحب والحياة ، فى حرارة، وتفان، واستغراق :

حسبي من الحب ما أقضى لمـا تلق
وما لقيت من الآلام والسقم

ملك الفؤاد وقد هجر
بدر المحاسن مذ ظهر

ما حيلتى فى حبه
إلا الخضوع لما أمر

وا حيرتى فى حبه
وا طول شجوى بالخفر

يا قلب حسبك ما جرى
أحرقت جسمى بالشرر

رام الحبيب لك الضنى
لم ذا وأنت له مقر ؟

لكن تعذيب الهوى
ما للشجى منه مفر

ألق الوشاح وخلى
أصلى سعيراً فى سقر

وعن المنار فلا تسل
ولأنت أولى من عذر

بهذه الأغنيات العذبة ، ارتفع صوتها من وراء الخدر شاديا مترنما ، وراحت أشواقها المكبوتة الى الشعر تتنفس فى حرية وانطلاق ، لا يعقلها قيد ولا يقف دونها حائل ، وقد أينعت ثمار « البنوة » فى جنتها فأصبحت تبث فى عالمها النور والحياة ، وتملأ قلبها أمنا وغبطة وسلاما

لكن القدر لم يكن قد فرغ من قصتها بعد

كان ما يزال هناك فصل أخير، يحيل به هذه الحياة الراضية مأساة أليمة

مد الموت يده الى زينة دنياها فطوى «توحيدة» فتاتها الكبرى، وأذاق هائشة الحزن الاكبر، وعرفها طعم الثكل

وكانت « توحيدة » عروسا فى الثامنة عشرة من عمرها ، فاهتز قلب « الشاعرة » لذلك الشباب الذى يزف الى القبر ، وتمزقت كبد الأم ، وهى ترى تلك الفلذة الغالية ، تودع حفرة مظلمة ، ويهال عليها التراب !

كانت محنة قاسية مروعة ، لكنها خلقت شخصية فذة هى شخصية « الشاعرة الثكلى » واصغت الدنيا الى أنينها الموجع ونواحها الحزين ، بل أصغى الفن

الى آيتها الـكبرى ، تتجلى فى مرثيتها الرائعـة ، التى تصف المشهدالفاجعلاحتضار العروس :

جاء الطبيب ضحى وبعر بالشفا
ان الطبيب بطبـه مغرور

لما رأت يأس الطبيب وعجزه
قالت ، ودمع المقلتين غزير :

أماه ، قد كل الطبيب وفاتنى
مما أؤمل فى الحياة نصير

لو جاء عراف اليمامة يبتغى
برئى لرد الطرف وهو حسير

أماه ، قد عز اللقاء ، وفى غد
سترين نعشى كالعروس يسير

قولى لرب اللحد : رفقاً بابنتى
جاءت عروساً ساقها التقدير

وتجلدى بازاء لحدى برهة
فتراك روح راعها المقدور

أماه ، قد سلفت لنا أمنية
يا حسنها لو ساقها التيسير

صونى جهازالعرس تذكاراً فلى
قد كان منه الى الزفاف سرور

أماه ، لا تنسى بحق بنوتى
قبرى لئلا يحزن المقبور

فأجبتها والدمع يحبس منطق
والدهر من بعد الجوار يجور

بنتاه ! يا كبدى ولوعة مهجتى
قد زال صفو شأنه التكدير

قد كنت لا أرضى التباعد برهة
كيف التصبر والبعاد دهور ؟

ولهى على « توحيدة » الحسن التى
قد غاب بدر جمالها المستور

ومضت سبع سنوات كوامل ، وهى لا تكف عن البكاء والنواح ، حتى كـل بصرها ، وشـاخت حياتها قبل أن تبلغ الاربعين

ونفضت يديها بعـد ذلك من الدنيا ، وعاشت للشعر والادب ، تلقى على مسمع الدنيا أنات قلبها الثـاكل ، وتملأ الأفق بأناشـيد الحس المرهف ، والمزاج الرقيق ، والأنوثة الشـاعرة

كم قابلتنى ليال ريحها سعر
جليئة السير ترى بالشرارات

لاقيتها بجميل الصبر من جلدى
وبت أسقى الثرى من غيث عبراتى

أقوم والضيم تطوينى نوائبه
على التجلد ولم أسمعه أناتى

ولم أزل أشتكى بثى ومظلمتى
لعالم الجهر منى والخفيات

فيا لها من جراح كلما اتسعت
أعيت طبيبى رغماً عن مداواتى

سلام على عائشة

بنت الشاطىء
(من الأمناء)

« لم يكن لى حب اول ... فقد بدات بالثانى .. ! »

ـ عجبا ، وكيف حدث ذلك .. ؟

ـ انه امر فى غاية البساطة . كنت فى الثامنة عشرة حين اقدمت على اول مغامرة غرامية لى ، مع حسناء فاتنة .. لكنى لم اجد فى حبها ، او حب من تلونها ، اى جديد ! .. وعلى هذا فانى اعتبر أن حبى الاول ـ والاخير ـ هو الذى أصابنى فى سن السادسة ، حين اغرمت بمربيتى ! .. لكن تفصيلات علاقتنا ووقائع حبنا ذاك قد تبخرت من ذاكرتى .. ولو كنت أذكرها فما اظنها تشوق أحدا .. »

وسكت سرجى منهيا كلامه .. فقال رب البيت معقبا : « وأنا بدورى اعتقد ان قصتى لا تشوقكما .. فانى لم أحب امرأة قط قبل التقائى بـ « آنا نيكولايفنا » زوجى ! .. وقد سار كل شىء بيننا طبيعيا وتم زواجنا ببساطة وفى أسرع وقت .. وهكذا تتلخص قصة حبى الاول فى كلمات . والواقع انى حين اقترحت ان يروى كل منا قصة حبه الاول كنت اعتمد عليكما ، أنتما الاعزبين المخضرمين ... فهلا اتحفتنا بقصة مسلية يا « فلاديمير » ؟

كان « فلاديمير » رجلا جاوز الاربعين ، ذا شعر أغبر كان فى شبابه أسود اللون ... فقال بعد تفكير : « من حسن حظكما ان حبى الاول لم يكن عاديا ، فاذا شئتما رويت لكما قصته .. ولكن ، كلا ، لو رويتها لجاءت جافة مقتضبة . الافضل ان اكتبها باسهاب وروية ، ثم أقراها عليكما غدا .. »

وفى الليلة التالية قرأ عليهما « فلاديمير » القصة التالية :

ـ ١ ـ

فى سنة ١٨٣٣ كنت فى السادسة عشرة .. أعيش فى موسكو مع والدى ، فلما اقبل الصيف استأجرا بيتا فى الريف ، مواجها لحدائق « نسكتشنى » . وكان والدى يعاملنى معاملة طيبة ، أقرب الى التسامح وقلة الاكتراث ... أما والدتى ـ التى كانت تكبره بعشرة أعوام ، والتى تزوج منها طمعا فى مالها ـ فكانت كذلك منصرفة عنى ـ برغم كونى أبنها الوحيد ـ الى ملاحقة زوجها الشاب بغيرتها الشديدة وغضبها ، ولكن فى غير حضوره ، فقد كان قاسيا حازما بارد الاعصاب .. وكانت تخشاه وترهبه ، ولا تجرؤ على مواجهته بثوراتها ! ..

فأتاح لى جو البيت أن أنعم بقسط وافر من الحرية ، افعل فى ظله كل ما يحلو لى ، وبخاصة بعد أن انتهت مرحلة دراستى المنزلية على أساتذة خصوصيين ، وظفرت بعطلة طويلة استعدادا لالتحاقى بالجامعة بعد انقضاء الصيف ..

ولن انسى الاسابيع الاولى التي قضيتها في ذلك المنزل الريفي . كان الطقس رائعا ، فامتلأت أن أتنزه في حديقتنا والحدائق العامة المجاورة ، وفي يدي كتاب ما ، ولكن كان يندر ان أفتحه ، وانما كنت أوثر أن أردد أبياتا من الشعر الذي احفظه بصوت عال وانا سائر بين الاشجار ، ودمي يجري في عروقي ، وقلبي يرف بين ضلوعي رفيفا عذبا غريبا ، لا عهد لي به من قبل .. يملأ أعماقي الامل ، والترقب ، والخوف من شيء ما ، والعجب من كل شيء .. ويحلق خيالي على الدوام في الآفاق البعيدة ، ويحوم حول النزوات الحمقاء ، كما تحلق الحمائم فوق أبراج الاجراس عند الفجر ! .. كنت احلم ، واكتئب ، وابكي احيانا ، ولكن خلال الدموع والاشجان كانت عذوبة النغم الجميل أو فتنة الليل الساجي تنتزعني من همي فاستمرىء الاحساس اللذيذ بالشباب ، والحياة الفوارة ، وازدهر كما تزدهر الخشائش في الربيع ..!

وكان عندي حصان أركبه ، فكنت اسرجه بنفسي وانطلق في جولات بعيدة أركض فيها خلال الحقول باقصى سرعة ، وانا اتصور نفسي فارسا من فرسان العصور الوسطى البواسل ، والهواء يهمس في اذني بالاماني الحلوة ، فارفع وجهي نحو السماء استروح اشعاعها المشرق واقترف زرقتها الصافية ، فاملأ منهما روحي الرحبة المفتوحة ابدا لاستقبالهما ...

في ذلك الوقت لم تكن صورة المرأة ورؤى الحب تتخذ لنفسها في ذهني صورة واضحة محددة .. ولكن في كل افكاري ومشاعري كان يكمن احساس غامض خفي خجول ، نصف نائم ونصف يقظان ، بشيء جديد ، عذب ، انثوي ! ... وهو احساس هيمن على كياني كله فتنفسته وجرى في عروقي مختلطا بكل قطرة من دمي .. فكان مصيره حتما أن يشبع ويرتوي ! ..

وكان بجوار البيت الذي استأجرناه في ذلك الصيف مسكن خشبي صغير معد للتأجير .. وذات يوم ـ بعد ثلاثة اسابيع من وصولنا ـ فتحت نوافذ المسكن المجاور واطلت منها وجوه بضع نسوة .. كانت احدى الاسر قد استأجرته . وفي نفس اليوم استفسرت امي من الخادم ونحن حول مائدة الغداء عن جيراننا الجدد ، فلم يكد ينطق باسم الاميرة « زازيكين » حتى عقبت امي في لهجة احترام وتوقير : « آه ، اميرة .. » ثم اضافت : « لكنها أميرة فقيرة فيما أحسب .. »

فقال الخادم وهو يقدم احد اطباق الطعام : « نعم .. فقد أحضرت متاعها على عربات بالاجرة .. والمتاع كله متواضع من احقر صنف ! »

واذ ذاك قالت امي معلقة على كلامه : « هذا من حسن الحظ .. ! »

فحدجها ابي بنظرة لوم صارمة ، اسكتتها !

لكن الحديث كله لم يكن يعنيني ، فدخل سمعي من اذن ، وخرج من الاخرى !

— ٢ —

وكنت قد اعتدت التجوال فى حديقتنـــا كل عصر بحثا عن غربان أصـطادها ببندقيتي الصغيرة ، وفى ذلك اليوم تمخضت جولتى عن فشـل ذريع .. وفيما أنا عائد الى البيت صـادف مرورى بجوار السور المنخفض الذى يفصـل حديقتنا عن حديقة الجيران . وكان بصرى الى الارض ، حين طرق سمعى فجاة صوت صادر من الحديقة المجاورة .. فالتفت ناحيـة مصـدره ، واذا بصرى يقع على منظر غريب فى بابه ! ..

كانت فتاة طويلة رشـيقة القد ، ترتدى ثوبا ورديا وتضـع على راسها منديلا أبيض ، منتصبة فوق الحشائش وسط « هالة » مكونة من أربعة شبان .. تضرب جباههم الواحد بعد الآخر بغصن رفيع من أغصان الشجر ، وهم يقدمون لها الجباه برضا وارتياح !.. وكانت حركات الفتاة ولفتاتها فاتنة آمرة ساخرة الى حد كاد يخرجنى عن طورى ويجعلنى اصيح اعجابا بها وافتتانا ، بل اتمنى لو أنزل لها عن كل ما أملك نظير أن تمنحنى ضربة من أصابعها الرقيقة على جبينى ! واذهلنى جمالها عن نفسى ، فسقطت بندقيتى منى على الارض بغير ان أشعر ، ونسيت كل شىء الا المخلوقة الناعمة التى اراها أمامى فى وضع جانبى ، والتى راح بصرى ينهب رقبتها العاجيـة وذراعيهـا الناصعتين وشعرها المرسـل تحت منديلها الابيض ، وعينيها نصف المغمضتين ، وأهدابها الطويلة ، وخديها الناعمين ...

وفجأة صاح بى صوت رجل صادر من مدى قريب : « يا فتى .. يا فتى .. إيليق أن تنظر هكذا الى امرأة لا تعرفها ؟ »

والتفت .. فاذا الرجل يرمقنى من وراء السور بنظرة ساخرة .. وفى نفس اللحظة اسـتدارت الفتـاة بوجهها نحوى ، وضحكت .. فبرقت عيناها الغبراوان ولمع بين قرمز شفتيها صف من الاسنان اللؤلؤية الجميلة .. فغضضت الطرف فى اجفال ، ثم التقطت بندقيتى ومضيت ، وضحكتها الموسيقية تتبعنى ، حتى بلغت غرفتى فارتميت على الفراش ودفنت وجهى بين راحتى .. وكان قلبى ينتفض فى صدرى ، من فرط الخجل والفرح ، والانفعال الممتع الذى لم أكن قد تذوقته من قبل !

وحين تمالكت نفسى بعد برهة ، فصففت شعرى وهبطت الى الطابق الارضى لأتناول الشـاى ، كانت صورة الفتاة تتماوج أمام عينى .. فسألنى والدى وقد لحظ اضطرابى : « ماذا ؟ .. هل قتلت غرابا ؟ » واذ ذاك أوشكت أن أقص عليه كل شىء ، لولا انى قمعت ميلى فى آخر لحظة ، وابتسمت لنفسى ... !



س . ت ١٨٣٢٦ الاسكندرية

س . ت ٢٧٧٨٢ القاهرة

« كيف اتعرف اليها ؟ »

كان هذا اول ما فكرت فيه حين استيقظت فى الصباح التالى ، فهبطت الى الحديقة قبل تناول الفطور ، لكنى جبنت عن الاقتراب من السور ، فلم أر احدا ... وبعد الافطار خرجت الى الشارع ، فجعلت أتمشى امام البيت ذهابا وايابا ، واتطلع الى نوافذ غرفتها من بعيد ، حتى لمحت وجهها وراء احدى الستائر ، فهرعت مبتعدا فى انزعاج ... مستأنفا طواف المقيم بمحاذاة الحدائق العامة ، وأنا أجهد ذهنى بالتفكير فى شيء واحد : « كيف اتعرف اليها ؟ »

لكن القدر كان رحيما بى ، فتولى حل مشكلتى من حيث لا ادرى . لم أكد أعود أدراجى الى البيت حتى علمت من أمى أنها تلقت فى فترة غيابى رسالة من جارتها الجديدة تسألها فيها أن تسمح لها بزيارتها كي توسطها لدى بعض ذوى المناصب الكبرى ممن تعرفهم ليذللوا لها عقبة تعترض بعض اعمالها ... وعلى هذا طلبت منى أمى ان انوب عنها فى ابلاغ الاميرة ترحيبها ورجاءها أن تتفضل بزيارتها فى الساعة الواحدة اذا شاءت ..

كتمت عن أمى فرحتى بهذه الاستجابة السريعة لأمنيتى ، وصعدت الى غرفتى فأبدلت ثيابى ، ثم هبطت أعدو الى غايتى ...

وعلى باب « الحديقة » او الممر الضيق المؤدى الى بيت الاميرة استقبلنى خادم اشيب الشعر ، اسمر الوجه ، متسائلا : « ماذا تريد ؟ »

ـ هل الاميرة زازيكين فى البيت ؟

وقبل ان يجيبنى سمعت صوتا نسائيا يناديه من الداخل : « فونيفاتى ! » .. فأدار الرجل ظهره ومضى ليلبى نداء سيدته .. ثم عاد يدعونى الى الدخول، فبذلت مجهودا كبيرا للسيطرة علي أعصابى وهو يقودنى الي غرفة الاستقبال .. وهناك وجدت امرأة فى نحو الخمسين قبيحة الخلقة ، تجلس فوق مقعد مريح بقرب النافذة ، وعيناها السوداوان الصغيرتان ترقبان الباب ، فاتجهت اليها رأسا وانحنيت أمامها محييا ، ثم قلت : « أحسب ان لى شرف مخاطبة الاميرة زازيكين ؟ »

ـ انا الاميرة زازيكين .. وانت ابن مسيو « ف » ، أليس كذلك ؟

ـ نعم ، وقد جئت برسالة من امى ..

ـ تفضل بالجلوس ..

وانهيت اليها رد أمى على رسالتها ، فاستمعت اليه وهى تنقر على اطار النافذة بأصابعها الحمراء المتورمة ، وحين أنهيت كلامى نظرت الى نظرة ثابتة ثم قالت : « حسنا .. سوف آتى بالتأكيد ..

انك تبدو صغيرا ، كم سنك .. اذا جاز لى ان اسال ؟ »
— ست عشرة سنة ..
— جميل .. والآن اعتبر نفسك فى بيتك ، فانا امقت الكلفة والمظاهر الرسمية ..
وفى تلك اللحظة انفتح باب الغرفة وبرزت منه الفتاة التى رايتها فى الليلة السابقة فى الحديقة ... فلم يكد بصرها يقع على حتى ارتسمت على فمها ابتسامة ساخرة .. بينما قالت لى الأم مشيرة اليها : « ها هى ذى ابنتى .. وهذا هو ابن الجيران يا زينوتشكا .. هل لى أن أسالك عن اسمك ؟ »
فأجبتها وأنا أنهض محييا الفتاة فى اضطراب : « فلاديمير »
— واسم والدك ؟
— بتروفتش
— كنت أعرف فيما مضى « قوميسير » للبوليس يدعى فلاديمير بتروفتش ايضا ..
وكانت الفتاة ما تزال ترمقنى بنفس النظرة ، وهى تميل براسها قليلا ، واجفانها تختلج فى حركة رشيقة .. ثم قالت اخيرا : « لقد رايت « فولدمار » من قبل . اتسمح لى أن ادعوك بهذا الاسم ؟ » ..
وكان فى صوتها جرس كرنين الفضة ، بعث فى أوصالى رعشة علبة ..
فأجبتها فى لهفة : « بربك افعلى »
وتنبهت الاميرة الأم متأخرة ، فسالت : « ماذا تقولان ؟ » .. لكن ابنتها لم تجبها ، بل مضت فى حديثها معى بغير ان تحول بصرها عنى : « هل عندك ما يشغلك الآن ؟ »
— كلا ..
— اذن هل لك ان تساعدنى فى طى بضع كرات من صوف الابرة ؟ هيا بنا ...
وأومأت الى براسها كى اتبعها ، فسرت وراءها الى غرفتها كما لو كنت أمشى فى حلم ... حتى جلست على مقعد واشارت الى كى اجلس فى المقعد المقابل ، ثم فكت رباط « شلة » من الصوف الاحمر ووضعتها بين رسغى يدى .. كل ذلك وهى صامتة تفتر شفتاها عن تلك الابتسامة الخفيفة الماكرة ! .. ثم بدأت تطوى الخيط على كرة صغيرة من الورق .. وفجاة رمقتنى بنظرة براقة خاطفة سببت لى دوارا ، فلم أقوعلى الصمود لها ، وغضضت بصرى مرغما .. فسألتنى بعد لحظة : « ماذا دار بخاطرك عنى أمس يا فولدمار ؟ احسبك أسأت بى الظن ؟ ! »
فأجبتها فى ارتباك : « أنا .. يا صاحبة السمو .. ابدا .. كيف ؟ »
فقالت معقبة : « اصغ الى . انك لا تعرفنى جيداً .. انا مخلوقة غريبة ، احب دائما أن اسمع قول الصدق ، وانت — كما ذكرت الآن —

فى السادسة عشرة ، وانا فى الواحدة والعشرين .. وهكذا ترى أننى اكبر منك بسنوات ، واذن فيجب أن تصدقنى القول دائما ، وأن تفعل ما أطلبه منك .. أنظر الى .. لماذا لا تنظر الى ؟ »

وكنت لا أزال مرتبكا ، لكنى تحاملت على خجلى ورفعت عينى اليها .. فابتسمت ، لا ابتسامتها الاولى ، وانما ابتسامة تشجيع .. ثم قالت بصوت متهدج حنون : « انظر الى .. لست امانع فى ذلك .. فانى معجبة بك ، واشعر شعورا غامضا باننا سوف نصير أصدقاء .. ولكن ، ترى هل اعجبتك ؟ »

ــ يا صاحبة السمو ...

لكنها قاطعتنى قائلة : « اولا يجب أن تنادينى باسمى « زينايدا الكسندروفنا » ... وثانيا انها عادة سيئة فى الشباب الا يجاهروا بآرائهم ومشاعرهم فورا وبصراحة... اننى اعجبك ، أليس كذلك ؟ »

فأجبتها وانا أتكلف اقصى ما استطعت من مظاهر « الرجولة » والاتزان : « بلا شك ، يازينايدا الكسندروفنا .. ولست اميل الى اخفاء شعورى .. »

فهزت رأسها فى خفة ، ثم سألتنى فجأة : « هل لك مرب او معلم خصوصى ؟ »

ــ اوه ، كلا .. كان ذلك منذ زمن بعيد ..

وقد كذبت ، فانه لم يكن مضى شهر على رحيل معلمى الفرنسى ، لكن اكذوبتى اثمرت ثمرتها التى اردتها ، فقد علقت على جوابى قائلة : « اذن فأنت قد كبرت ! .. » ثم نقرت على اصابعى واضافت : « امدد ذراعيك بالخيط جيدا .. » ثم انهمكت من جديد فى طى خيوط الصوف على كرة الورق .. وانتهزت فرصة اطراقها ببصرها الى اسفل فجعلت أتأملها بامعان وجرأة تزايدت تدريجا .. وبدا لى وجهها أجمل واشد فتنة منه فى الامس . كان كل ما فيه عذبا جذابا . وكانت جالسة وظهرها الى نافذة عليها ستارة بيضاء شفافة ، تنساب منها أشعة الشمس فلا يقع منها الا ظلها الناعم على جدائل شعرها الذهبى ، وعنقها الناصع ، وكتفيها المستديرين ، ونحرها المخروط بانتظام رائع ! .. فمضيت أتملى من جمالها وأفكر . شعرت كأننى اعرفها منذ زمن ، بل كأننى لم اعرف الحياة او اتذوقها قبل ان القاها .. كانت ترتدى ثوبا بسيطا ، فتملكنى ميل قوى وحنين الى تقبيل كل ذرة من ثيابها . ولمحت طرف حذائها من تحت ردائها .. ماذا لو انحنيت فلثمت حذاءها ؟ ! .. وهمست لنفسى : « ها أنذا قد تعرفت اليها .. بل ها أنذا جالس امامها .. فأية سعادة حبوتنى بها يا ربى ؟ » وبذلت مجهودا كى لا اقفز من مقعدى نشوان .. فقد كنت سعيدا سعادة السمك فى الماء ، ولو خيرت لبقيت فى تلك الغرفة لا ابرحها .. الى الابد !

ثم رفعت الفتاة اجفانها ببطء الى . ومرة اخرى برقت عيناها بريقا حنونا ، وابتسمت ، وهى ترفع اسبعها نحوى مهددة : « كيف جرؤت أن تنظر الى .. ؟ »

صعد الدم الى وجهى ، وجالت الخواطر براسى : « انها قد لحظت كل شيء ، وفهمتنى ! .. كيف لا وهى ... »

وفى تلك اللحظة سمعنا دقا على الباب .. كان الطارق خادمنا نحن ، ارسلته امى ليتعجل عودتى برد الاميرة على دعوتها .. فخرجت بصحبة الفتاة الى غرفة امها ، وهناك انحنيت للأميرة قائلا : « آن لى أن اذهب يا صاحبة السمو ، فهل اقول لأمى انك قادمة لزيارتها حوالى الساعة الثانية ؟ » فقالت : « نعم ، يا بنى .. كما تقول » ثم رفعت الى انفها علبة السعوط التى فى يدها فتنشقت منها أنفاسا ، بينما كنت استدير للخروج .. وتبعنى صوت الابنة يقول : « تعال وزرنا ثانية يا فولدمار » ثم ضحكت ! ..

« لماذا تضحك دائما ؟ » أخذت أدير هذا التساؤل فى ذهنى وانا عائد الى البيت . وحين وصلت أنبتنى أمى بعنف على تأخرى ، فلم أجب بحرف .. واسرعت الى غرفتى لأخلو بنفسى .. واحلم !

— ٤ —

وفى الموعد المحدد جاءت الاميرة لزيارة امى ، لكنها تركت فى نفسها اثرا سيئا ، فقد قالت امى لأبى ونحن جلوس حول مائدة الغداء : ان هذه الاميرة « زازيكين » تبدو امرأة سوقية مشاكسة ، وقد صدعت راسها بالحديث عن منازعاتها القضائية والمالية التى تطلب منها التوسط لها بشأنها لدى احد الامراء .. ثم اضافت أمى أنها برغم ذلك قد اضطرت لدعوتها هى وابنتها لتناول الطعام فى اليوم التالى ، بحكم الجوار واللقب الذى تحمله على الاقل ! .. وقد علق ابى على الحديث بقوله انه قد تذكر اخيرا انه كان فى شبابه يعرف زوج الاميرة المرحوم « زازيكين » ، الذى كان يعرف فى المجتمعات بلقب « الباريسى » نظرا لأنه قضى فترة طويلة من شبابه فى باريس ، وقد كان من الاثرياء لكنه اضاع ثروته فى القمار ! .. ثم اضاف أبى انه قد سمع أن الابنة جميلة ومثقفة ، مثل ابيها لا أمها ! ..

وانتهت المناقشة عند هذا الحد ... وبعد الغداء خرجت الى الحديقة ، بعد أن اقسمت لنفسى الا اقترب من حديقة الجيران .. لكن قوة خفية جذبتنى برغمى الى هناك ، فلم اكد ابلغ سور الحديقة حتى لمحت « زينايدا » ! .. لكنها كانت وحيدة هذه المرة ، تتمشى على مهل وقد أمسكت فى يدها كتابا تقرؤه ... حتى اقتربت منى ومرت بمحاذاتى ، بغير أن تلحظنى ، فآثرت ان أدعها وشأنها .. لكنى فجأة شعرت بحافز قوى يدفعنى الى أن اسعل متعمدا ، كى انبهها

الى وجودى ، ففعلت .. واذ ذاك استدارت بوجهها من غير أن تقف ، وازاحت بيدها شريط قبعتها العريضة عن عينيها ، ونظرت الى ، ثم ابتسمت ابتسامة باردة .. وعادت الى قراءة الكتاب !

وكنت قد شرعت فى رفع قبعتى تحية لهـا ، فجمـدت يدى .. واسـتانفت سيرى بخطى ثقيلة وقلب ثقيل ، وأنا اهمس لنفسى : « من اكون انا بالنسبة لها ؟ » .. وبعد لحظة سمعت خلفى خطوات مالوفة ، فاستدرت .. واذا ابى مقبلا ..

ـ اهذه هى الاميرة الشابة ؟

ـ نعم ..

ـ او تعرفها ؟

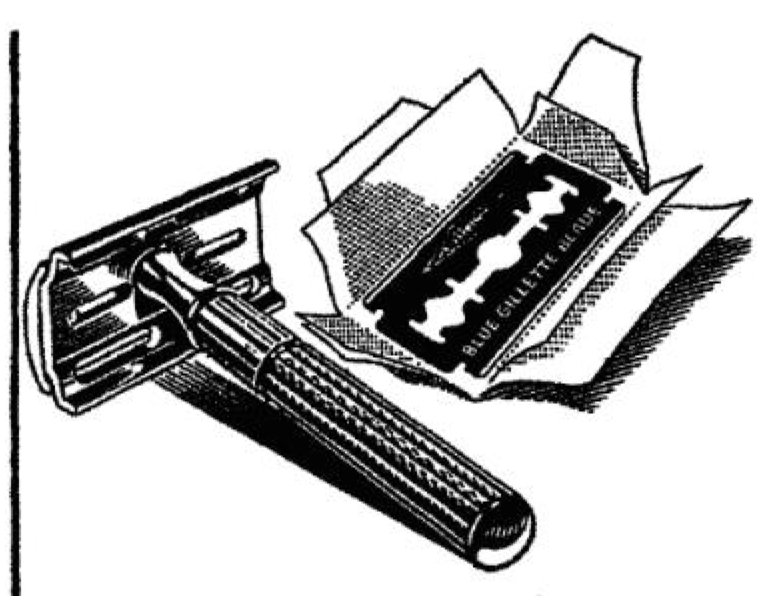
ـ رايتها هذا الصباح عند امها ..

فتوقف ابى ، وعاد ادراجه .. حتى حاذى الفتـاة ، فانحنى لها محييا .. فردت له الانحناءة وقد اسفرت الدهشة فى عينيها ، وكفت عن القراءة .. ثم تبعته ببصرها برهـة وهو يبتعد .. فلحقت بها بدورى ، لكنها لم تعبأ حتى بالنظر الى ، وانما رفعت كتابها الى عينيها مرة اخرى واستانفت القراءة ! ..

ـ ٥ ـ

قضيت تلك الليلة .. وطيلة اليوم التالى فى شبه ذهول .. احاول استذكار بعض علومى فلا اعى منها شيئا ، فقد كانت الحروف المطبوعة تمر امامى مجردة من كل معنى ! .. واذكر انى قرات هذه العبارة اكثر من عشر مرات : «كان يوليوس قيصر يمتاز بشجاعته الفائقة الشبيهة بشجاعة الجندى المحارب فى ميدان القتال » لكنى لم افهم منها حرفا ، فالقيت الكتاب جانبا ! .. وقبيل موعد الغداء صففت شعرى وارتديت سترتى الانيقة ورباط رقبتى الجديد ، فسألتنى امى : « علام كل هذا ؟ .. انك لم تدخل الجامعة بعد . ومن يدرى هل تنجح فى الامتحان أم لا .. » فاجبتها فى اكتئاب : « لبست هكذا من أجل الضيوف القادمين » .. فقالت ساخرة : « يالهم من ضيوف ممتازين .. كفى هراء ! » .. فاضطررت لابدال سترتى ، لكنى احتفظت برباط الرقبة !

وجاءت الاميرة وابنتها بعد قليل .. فجلسنا حول المائدة ، وجاءت جلسـة ابى الى جوار « زينـايدا » فجعل يحدثها ويحييها بظرفه ولباقته ، واعجبتنى لهجتها فى نطق الفرنسـية .. اما امى فلم تعجب بالأم ولا بالابنة ، وقالت عن الاخيرة : انها فتاة مغرورة ، بلا مبرر ! .. وبعد الغداء بقليل انصرفت الضيفتان ، فرافق أبى الاميرة حتى الباب الخارجى .. وحين مرت بى « زينايدا » مسرعة همست لى بلهجتها الرقيقة : « تعال لزيارتنـا فى الثامنة ، اتسمع ؟ .. لا تنس » .. وادهشـنى تقلبها واطوارها ، فان معاملتها الجافة لى خلال الغداء كانت قد سحقتنى وايأستنى .. ولكن ها هى ... !



تبلغان حد الكمال عندما تستعملان معا !

تصنع ماكينات وشفرات جيليت بنفس الدقة وتحظى صناعتها بنفس العناية الفائقة والفحص الدقيق . وبديهى أن الماكينة والشفرة تكونان فى أحسن حالاتهما عندما تستعملان معًا ـ عندما يكون إحكام الصناعة فى إحداهما سببًا فى إظهار تفوق الاخرى مما ينتج عنه أحسن وأكفأ حلاقة عرفت للآن .

ماكينات وشفرات

جيليت Gillette

(ه)

للطلبات شابر : ج.ب. شريدان وشركاه ٣ شارع بنك مصر بالقاهرة س.ت ٧٨٦١

وفى الثامنة تماما عبرت باب حديقة الجيران ، وأنا فى أزهى ثيابى . . وكانت تنبعث من الداخل أصوات مرحة ، فلم اكد ادخل الردهة حتى تراجعت مدهوشا . كانت الفتاة واقفة فوق كرسى فى وسط المكان ، ممسكة بيدها قبعة رجل ، وحولها « نصف دستة » من الرجال يحاولون لمس القبعة بايديهم ، عبثا . . ولم تكد ترانى حتى صاحت : « انتظروا ، انتظروا . . هاهوذا ضيف آخر ، لابد له من تذكرة ايضا » ثم قفزت من الكرسى الى الارض واقتادتنى الى وسطهم قائلة : « ايها السادة ، دعونى اعرفكم بمسيو فولدمار ، ابن جيراننا . . وهؤلاء هم : الكونت مالفسكى ، دكتور لوشين ، الشاعر ميدانوف ، الضابط المتقاعد نيرماتسكى ، وضابط « الهوسار » بايلفزوروف . . فلعلكم تصيرون أصدقاء »

أما أنا فكنت فى حالة من الارتباك أنستنى حتى ان أنحنى لواحد منهم ، بينما استطردت زينايدا قائلة : « أكتب تذكرة لمسيو فولدمار ياكونت» فسرت همسة احتجاج بين الحاضرين ، لكن الفتاة أصرت على طلبها ، فلباه الكونت مرغما . . ثم شرح « لوشين » الأمر لى بلهجة ساخرة : « نحن نلعب لعبة يا نصيب ، ومن يلتقط النمرة الرابحة من القبعة يحظ بشرف تقبيل يد الاميرة زينايدا . افهمت يا فتى ؟ »

لكن « الفتى » وقف حائرا صامتا ، بينما قفزت الفتاة فوق الكرسى من جديد وشرعت تهز القبعة بما فيها فوق رؤوسنا ، وكل منا يمد يده نحوها فيأخذ نصيبه . . وكنت آخرهم فى الحصول على ورقتى ، لكنى لم أكد أفضها حتى . . . يا الهى ، ترى كيف كانت حالتى حين قرأت فيها كلمة « قبلة » ؟ ! . . كل ما اذكره انى صحت باعلى صوتى : « قبلة ! » . . فصاحت الاميرة فى أثرى : « برافو ، لقد ربحتها . . كم انا مسرورة بذلك » وهبطت من الكرسى وهى ترمقنى بنظرة عذبة ادارت راسى ، ثم سألتنى : « هل انت مسرور بالنتيجة ؟ » . . فقلت فى حشرجة وغباء : « أنا ؟ » . . وفى تلك اللحظة سمعت احدهم يهمس لى : « بعنى نمرتك الرابحة ، انى أدفع لك فيها مائة روبيـة » ، فلم اجبه الا بنظرة أحتقار بالغة جعلت الفتاة تصفق بيديها شامتة . . ثم جاءت مرحلة « التنفيذ » فطلب منى لوشين أن أجثو على احدى ركبتى ، ووقفت زينايدا أمامى مادة يدها الى فى وقار . . ومرت أمام عينى سحابة ، لكنى تمالكت نفسى فضغطت شفتى على أصابعها بنهم الى حد ان طرف ظفرها خدشنى ! . . فصاح لوشين وهو يعيننى على النهوض : « لقد أتقنتها . . . »

ثم ابتكرت الجماعة ألعابا مسلية مختلفة ، سادها الهرج والمرح والضحك الصاخب ، حتى لقد دار راسى وكأنى ثملت بنبيذ مجهول ،

فجعلت اضحك واتصايح وقد احسست بسعادة لا توصف.. وطيلة الوقت حبتني زينايدا بكثير من العطف والمحاباة، واجلستني بجوارها.. وفي احدى اللعبات كان على ان أجلس معها تحت ملاءة كبيرة سوداء شبه شفافة، تغطى كلينا تماما، كي اهمس لها « بكلمة السر » في اللعبة ... ولن انسى التصاق راسينا في الظلام، وبريق عينيها الناعم في العتمة، والانفاس الساخنة التي لفحتني من شفتيها، ولمعة اسنانها اللؤلؤية، ودغدغة شعرها المرسل التي اشعلت النار في بدني!.. لكنني لبثت صامتا، فنظرت الى وابتسمت ابتسامتها الغامضة الماكرة، ثم همست في اذني اخيرا: « ماذا بك ؟ ».. فاحسست بالدم يصعد الى وجهي، وضحكت ضحكة هستيرية وانا التقط انفاسي اللاهثة، مشيحا عنها..!

واستأنفنا العابنا.. يا الهي، اى شيء لم نفعله في تلك الليلة. لعبنا على البيان، ورقصنا، وغنينا، ومثلنا « معسكر الغجر » وقلدنا الدببة، واشتركنا في أعجب الحيل وخدع « الكوتشينة »، ثم انشد لنا « ميدانوف » بعض اشعاره الجميلة، والبسنا الخادم ثوب امرأة، ولبست الاميرة ثياب رجل..

واخيرا تعبنا وأنهكنا الصخب، فامد لنا العشاء، حوالي منتصف الليل.. وبعد أن أكلنا وشربنا تفرقنا، فغادرت المنزل اخيرا وقد ارهقتني سعادتي، وفيما انا أصافح زينايدا مودعا ضغطت على يدى بحرارة وابتسمت لي.. ابتسامتها الغامضة!

كان هواء الليل حين خرجت ثقيلا رطبا وهو يلطم وجهي الساخن، وقد بدت في الجو تباشير عاصفة تتجمع، وتسوق امامها على أديم السماء قطيعا من السحب السود تضطرب وترتعش فوق هامات الاشجار القائمة من بعيد، وهزيم الرعد الغاضب يدمدم عند الافق.. فاخذت طريقي الى غرفتي من السلم الخلفي، وكان خادمي الخاص مضطجعا داخل الباب، فخطوت فوقه متلصصا.. لكنه استيقظ ورآني، فانبأني أن أمي غضبت لتأخري وارادت أن ترسل في استدعائي لولا أن ابي نهاها عن ذلك!..

وفي غرفتي جلست على مقعد مخدر الاعصاب، لا افكر في أن اخلع ثيابي أو أنام، وانما استمرىء لذة احساسي الجديد العذب، واضحك في نفسي بين الحين والآخر كلما تذكرت نادرة حدثت خلال السهرة.. او احس ببرودة في اطرافي كلما فكرت في اني احب، وان هذا هو الحب.. فيطفو وجه زينايدا امامي ببطء في الظلام، وجهها بنفس الابتسامة الغامضة على الشفتين، ونفس النظرة المتسائلة الحالمة الرقيقة من العينين!.. واخيرا نهضت من المقعد فمشيت الى فراشي وتمددت عليه، بثيابي، ثم أرحت راسي على الوسادة في رفق، كأنما خشيت أن افعلها بحركة عنيفة تبدد الاطياف التي تملأها..

لـكنني لم اغمض عيني ، وانما لبثت ارقب وميض البرق في الخارج ، وكتلة الحدائق العامة السوداء ، وواجهات المباني الصفراء .. حتى اطل الفجر من الافق وانتشرت في الجو رقع السحاب الاحمر .. فشعرت بالتعب والنعاس ، وصورة زينايدا تطفو امام عيني .. حتى اغفيت !

أواه أيتها المشاعر العذبة والنفحات المباركة التي تعمر القلب حين يختلج بأولى انفعالات الحب .. اين انت ؟ .. اين انت ؟

— ٧ —

وفي الصباح ، حين جلست الى مائدة الافطار أنبتني امي بشدة ، وطلبت مني أن اقص عليها كيف قضيت الليلة السابقة ، فأجبتها في بضـع كلمـات بعد ان حذفت اكثر التفصيلات وخلعت على كل ما رويته طابع البراءة التامة .. وبرغم ذلك فقد قالت معقبة : « على اية حال لا أحب أن تخالط هؤلاء النـــاس ، ثم امامك دروســـك وامتحاناتك التي يجب ان توليها كل التفاتك .. »

لكنني لم اكد أفرغ من الافطار حتى اخذني ابي من ذراعي ومضينا الى الحديقة ، وهناك اجبرني أن اصارحه بكل ما رأيت في بيت آل زازيكين ، مستغلا احترامي وحبي بل صداقتي له .. فأفضيت له بكافة التفصيلات ، واصغى هو الي بمزيج من الانتباه وعدم المبالاة ، وهو جالس على مقاعد الحديقة يرسم بعصاه على الرمل اشكالا ورسوما مختلفة ، يضحك احيـانا ، او ينظر الي بامعان ، او يسألني سـؤالا قصيرا .. وفي البداية لم اجرؤ ان انطق امامه باسم زينايدا ، لكني لم استطع ان اقمع ميلي الى اطرائها ، فضحك والدي طويلا ، ثم بدا كمن يمعن الفكر .. واخيرا نهض ومضى مني ، ثم اختفى عند الباب الخارجي ، لكني لمحت قبعته تتحرك بحذاء السور .. حتى اختفت بدورها داخل حديقة الجيران !

قضى ابي نحو ساعة في بيت آل زازيكين ، ثم خرج فمضى مباشرة الى المدينة ، ولم يعد الا في المساء ! .. اما انا فذهبت الى بيت زينايدا بعد الغداء ، فلم تكد الاميرة العجوز تراني حتى طلبت مني ان أنسخ لها عريضـة اعطتني مسـودتها ، فجلست البي رغبتها .. وكان باب الغرفة المجاورة قد فتح أثناء ذلك ، فرأيت منه وجه زينايدا شاحبا ، وشعرها مرسـل على كتفيها في اهمال واضح ، ونظرت الفتـاة الى بعينيها الواسعتين لحظة ، ثم .. اغلقت الباب في وجهي برفق ! ... ونادت الأم مرارا : « زينا .. زينا » لكنها لم تتلق ردا .. فأخذت العريضة معي الى البيت وعكفت طيلة الليل على نسخها ..

— ٨ —

ومنذ ذلك اليوم شعرت انني لم اعد طفلا .. فكان يوم بداية حبي وبداية آلامي !.. لم اعد أطيق البعد عن زينايدا ، واضطرب كل كياني ،

صرت اقضي ايامي وليالي افكر فيها تفكيرا مضنيا .. وتملكتني الغيرة . اذ شعرت بضآلتي فى نظرها ، لكن قوة خفية كانت تجذبني دائما اليها ، فانتفض فرحا وأنا اعبر باب غرفتها !

وادركت زينايدا انى قد تدلهت فى حبها ، فجعلت من عاطفتي لعبتها ، وعذبتني بلا رحمة .. مارست معى تلك اللذة القاسية التى يستمرئها الانسان حين يشعر انه قد صار ـ بالنسبة لشخص آخر ـ المنبع الوحيد لفرحه الطاغى وألمه المميت ! .. صرت كالشمع بين يديها ، لكنى لم اكن الوحيد الذى احبها ، فان كل الرجال الذين كانوا يترددون على البيت شغفوا بها شغفا جنونيا ، ولكن خاسرا .. فقد احتفظت بهم جميعا عند قدميها . كانت تسليتها الكبرى أن تستثير آمالهم ، ثم مخاوفهم .. وان تضرب رؤوسهم بعضها بالبعض، من غير ان يخطر ببالهم أن يتمردوا أو يقاوموا .. ! وكانت عواطفها ومشاعرها المتناقضة تتعاقب على شفتيها وعينيها بسرعة وسهولة كما تتعاقب ظلال السحب فى صفحة السماء فى يوم عاصف ، فكان وجهها يعبر عن السخرية ، والاستغراق فى الاحلام ، والهوى المشبوب ، فى آن واحد تقريبا ، أو فى لحظات متلاحقة خاطفة .. !

وكان كل رجل من عشاقها ضروريا بالنسبة لها . كان بايلوفزروف « حيوانها المتوحش » الذى يقذف بنفسه فى النار طائعا مختارا من اجلها .. و « ميدانوف » شاعرها المفضل الذى ينشدها قصائد غزله الحارة فى حماسة دافقة ، فيستجيب « للأنسجة » الشاعرية فى طبيعتها ! .. و « لوشين » طبيبها الساخر الذى يفهمها أكثر من سواه ، ويحبها أكثر من سواه ، فتحترمه بالرغم منها ، وان لم تعدم أوقاتا ومناسبات تمارس معه فيها لذاتها الخبيثة فى اشعاره بانه هو بدوره تحت رحمتها ! .. اما الكونت « مالفسكى » فقد عجزت عن فهم مدى العلاقة بينه وبين زينايدا .. لكن دمى كان يفور ويغلى فى عروقى كلما رأيته يقترب منها فى نعومة الثعلب فيتكىء على ظهر مقعدها ثم يهمس فى اذنيها بكلماته المعسولة وهو يبتسم ابتسامته المثيرة ، بينما تعقد هى ذراعيها على صدرها وتصغى اليه ، ثم تبتسم وتهز رأسها .. !

وذات يوم جرؤت فسألتها : « ماذا يغريك باستقبال الكونت مالفسكى فى بيتك ؟ » فأجابتنى ساخرة : « شاربه الجذاب » ! ثم استطردت جادة : « اتظنني مولعة به ؟ .. انى لا استطيع ان أولع برجل ادنى منى فى المرتبة ، بحيث أنظر اليه من عل .. وانما اشترط فى رجلى أن يستطيع السيطرة على ، وان كنت آمل ألا اعثر على ضالتي قط ، فلست أريد الوقوع فى براثن انسان ما ، بأى ثمن ! »

ـ انت اذن لا تؤمنين بالحب ؟

ـ اولست احبك انت ؟

قالتها ولطمتني مداعبة بطرف قفازها على أنفى ..

نعم ، لقد جعلت « زينايدا » مني ملهاتها .. ظللت ثلاثة أسابيع اراها كل يوم ، فرايت منها عجبا ! .. ولم تكن تأتي الى بيتنا الا نادرا ، فحمدت لها ذلك ، ففي بيتنا كانت تصطنع الوقار والاتزان .. وبرغم ذلك لم ترض أمي عنها ، بل ظلت ترقبها واياي بعين لا تغفل . اما أبي فلم اكن أحسب حسابه كثيرا ، فقد كان يتركني وشأني .. وهكذا طلقت كتبي ودراساتي ، بل طلقت نزهاتي الخلوية ورياضتي المحببة : ركوب الخيل . صرت كالحشرة المربوطة من ساقها ، أدور وادور حول محور واحد ، هو بيت زينايدا . وأحيانا كنت اتسلق حائطا مهدما يشرف على حديقتها ، فأجلس فوقه ساعات أحدق في الفضاء ، ولا أرى شيئا .. يغمرني احساس عجيب سخي بالعواطف والانفعالات : بالكآبة ، والبهجة ، والتفكير في المستقبل ، وحب الحياة ، والخوف من الحياة !

واستمرت زينايدا تلعب معي لعبة القط والفار . كانت تغازلني وتتودد الي حتى تثور عواطفي ومشاعري .. وفجاة تتنكر لي فلا اجرؤ ان اقترب منها ، او حتى أنظر اليها .. ! واذكر انني لمست منها برودا دام عدة ايام ، حتى تحطمت أعصابي .. وذات يوم كنت أتمشي في الحديقة بجوار السور الفاصل بيننا ، فرايت زينايدا جالسة فوق الحشائش متكئة بمرفقيها على الارض ، بلا حراك .. وفجاة رفعت راسها وراتني ، فأومات الى براسها ايماءة آمرة لم أفهم قصدها منها ، فتريثت حائرا .. حتى كررت اشارتها ، فقفزت فوق السور وعدوت نحوها فرحا .. واذا هيئتها تصدمني . كانت شاحبة شحوبا مخيفا ، يبدو على وجهها الالم الدفين والعذاب المر ، فسالتها وقد انفطر قلبي : « ماذا بك ؟ » .. فمدت يدها واقتلعت بضعة اعشاب من الارض عضتها باسنانها في عصبية ثم القتها بعيدا .. واخيرا خرجت من صمتها فسالتني : « أنت تحبني كثيرا ، أليس كذلك ؟ »

لم أجب .. فما جدوى الجواب ؟ .. واذ ذاك أردفت وهي ترمقني بنظرة فاحصة « بلى .. ! » .. ثم شرد فكرها برهة ، واخفت وجهها بين يديها ، وعادت تقول هامسة : « كل شيء صار يضايقني . كان خير لي أن اذهب الى أبعد اقطار الارض ، من ان اقاسي هذا . لم أعد احتمل . لم يعد في طوقي التغلب على همي .. انني ضائعة ، يا الهي انني ضائعة .. ! »

فالحفت في السؤال : « لماذا .. ماذا جرى ؟ »

لكنها لم تجب ، وانما اكتفت بهز كتفيها .. فظللت احدق فيها والكآبة تعصر قلبي . لقد فطرته كلماتها .. ولكم تمنيت في تلك اللحظة ان أضحي بحياتي لو كان في ذلك منجاتها من شجنها .. !

وكان الهواء يهمس لأوراق الشجر ، ويؤرجح الاغصان فوق راس زينايدا .. وهديل الحمائم وطنين النحل يملآن الآذان .. والشمس في



نظف أسنانك
بمعجون
كولينوس
لأن له رغوة سخية !
قليل من كولينوس ينظف تنظيفا تاما ، فرغوته تنفذ إلى
كل ثنايا الأسنان كما أنه سائغ الطعم . يباع مرة أخرى
كريم الأسنان المعروف
بصفه الزعب اشتهر
به قبل الحرب .
KOLYNOS
DENTAL CREAM
كولينوس

علاها تشرق على سماء صافية ، فاتكأت الفتاة على مرفقها وقالت لي : « اقرأ لي شيئا من الشعر ، فانا أحب طريقتك في انشاده .. ولكن اجلس اولا »

جلست .. ثم قرأت عليها قصيدة « فوق تلال جورجيا » .. فاوقفتني عند بيت أعجبها وجعلت تكرر نصه ساهمة ، كأنما لنفسها : « لن يستطيع القلب أن يختار غير الحب » .. وفجأة نهضت واقفة وقالت لي : « هيا بنا ، فان « ميدانوف » في الداخل مع ماما .. لقد نظم لي قصيدة ، وهجرته .. ولا بد أن ذلك جرح احساسه . ولكن ماذا كان بوسعي ان افعل . انك ستفهم هذه المواقف يوما .. فلا تغضب مني ! »

ثم ضغطت يدي على عجل ومضت تعدو صوب البيت ، وانا خلفها .. وهناك تلا علينا ميدانوف أحدث قصائده التي نشرت ، فلم أفهمها . كان يصيح ويقرأ شعره بصوت كالجرس ، فسمعت ضجيجا ! .. كنت منهمكا في مراقبة زينايدا ومحاولة استخلاص مغزى كلماتها الاخيرة .. وافقت على صوت الشاعر يتلو هذا البيت : « لعل غريبا مجهولا قد فاجاك وسيطر على قلبك ! » .. وفي هذه اللحظة التقت عيناي وعينا زينايدا ، فاطرقت الى أسفل وتضرجت وجنتاها .. واذ ذاك انتابني لون من الرعب أثلج أطرافي .. لقد ذقت طعم الغيرة عليها من قبل ، ولكن في تلك اللحظة فقط ، أومض في رأسي احتمال أن تكون قد وقعت في شراك الحب .. فهمست لنفسي في انزعاج : « يا الهي .. انها عاشقة ! »

— ٩ —

ومنذ تلك الساعة بدأ عذابي الحقيقي . ارهقت ذاكرتي وذهني ، وقلبت الأمر على وجوهه، محاولا الاهتداء الى اسم معشوقها المحظوظ ، ولكن عبثا .. ففرضت عليها رقابة صارمة في الخفاء ، وهدتني رقابتي الى مدى التغير الذي طرأ على الفتاة . بدأت تخرج للمشي وحدها ، مسافات طويلة .. وأحيانا كانت تمتنع عن مقابلة الزائرين ، وتلوذ بغرفتها لا تبرحها .. فجعلت أستعرض المعجبين بها واحدا بعد واحد ، سائلا نفسي : « ترى هل هو هذا ، أم هو ذاك ؟ » وانتهيت من تفكيري الى ترجيح أن يكون غريمي هو الكونت ماليفسكي ، وان كنت قد خجلت من أن أفاتح زينايدا في أمره ..

ولم تكشف لي رقابتي عن أبعد من أنفي ، على أنها انكشفت للبعض ، وفي مقدمتهم الدكتور لوشين ، لكنه لم يحدثني في الأمر .. وكان هو قد تبدلت أطواره أيضا ، فنحل جسمه ، وصارت ضحكته جوفاء قصيرة ، وصار يثور لأتفه سبب ، بل انه كف حتى عن سخريته اللاذعة المعتادة ..

وذات يوم جمعتنا غرفة فى بيت زينايدا . هو وانا وحدنا ، فقال لى : « اراك تكثر من التردد على هـذا البيت ايها الفتى ، أليست عليـك واجبات مدرسية تحضرها ؟ » .. فأجبته فى شيء من الجفاء : « ومن ادراك انى لا انجزها فى بيتى ؟ »

ـ على اية حال لست ألومك على ما تفعـل . فانه شيء طبيعـى ومألوف فى مثل سنك .. لكنك سيء الحظ فى اختيارك . الا تعرف حقيقة هذا البيت ؟

ـ لست افهم قصدك ..

ـ هذا امر يؤسف له أيضا . لكنى اجد من واجبى ان احذرك ، فاصغ الى يا فتى . ان العزاب القدامى ، مثلى ، يستطيعون التردد على هذا البيت من غير أن يصيبهم اذى ، فقد تبلدت قلوبنا ، وما من شيء يؤثر فيها .. اما أنت فقلبك ما يزال فجا ، وهذا الجو يؤذيك ، صدقنى ..

ـ كيف ؟

ـ ماذا .. هل أنت فى خير حال الآن ، هل انت طبيعى .. وهل ما تحس به فى صالحك ؟

ـ ما هو هذا الذى احس به ؟

ـ آه يا فتى ، ما جدوى الانكار والمراوغة ووجهك يظهر ما يبطن قلبك ؟ .. ولكن ما فائدة الكلام ؟ .. انا نفسى ما كان لى أن ادخل هـذا البيت ، لولا ... لولا انى مخلـوق غريب الاطوار ! .. والذى يدهشنى حقا أن شابا فى مثل ذكائك لا يدرك ما يدور حوله ..

ـ وماذا يدور حولى ؟

ـ كأنما أنت تجهله . تعنى اذن اقوله لك . صدقنى ان « الجو » هنا لا يناسبك .. قد يكون الهواء معطرا ، لكنه خانق ! .. نعم ، خذ بنصيحتى وعد الى دروسك ..

وهنا اقبلت الأميرة العجوز ، وبدأت تشكو للطبيب الم اسنانها .. ثم ظهرت فى اثرها زينايدا ! .. فقالت الام : « على فكرة ، يجب أن تؤنبها يا لوشين ، انها تشرب ماء مثلوجا طيلة اليوم ، فهل هذا يناسب صحتها ، مع ما تعلمه عن ضعف صدرها ؟ »

ـ لماذا تفعلين ذلك يا فتاتى ؟

ـ وماذا فى ذلك يا طبيبى ؟

ـ قد تصابين ببرد وتموتين .. !

ـ ليت ذلك يحدث حقا ..

ـ يالها من فكرة بارعة !

ـ ولم لا ، هل الحياة تساوى كل هذا العناء ؟

ـ انك كعهدى بك دائما ، تتلخص طبيعتـك فى كلمتـين : نزوات وعدم شعور بالمسئولية

ـ فليكن .. وانت يا مسيو فولدمار ، لا تنظر الى هكذا ، لست احتمل ان يرثى الناس لحالي ..

ثم خرجت لتوها من الغرفة ، فالتفت الى لوشين وقال : « دعنى اقول لك مرة اخرى يا فتى .. انه جو لا يصلح لك ! »

ـ ١٠ ـ

وفى مساء اليوم نفسه اجتمع اصدقاء زينايدا فى بيتها كالعادة ، ودار النقاش حول قصيدة « ميدانوف » ، فأبدت الفتاة اعجابها البالغ بها ، ثم قالت معقبة : « ولكن .. اتعلم ماذا كنت افعل لوكنت شاعرة ؟ .. اختار موضوعات اخرى لقصائدى .. فاصف مثلا جماعة من الفتيات فى قارب يسبح بهن فوق مياه نهر ساكن ، والقمر فى أوجه ، وكلهن يرتدين ثيابا بيضا ويحلين صدورهن بأزهار بيض ، ويغنين .. حتى يصلن الى الشاطىء فتستقبلهن فرقة من الراقصات بالمشاعل والغناء والضحكات .. ولكن .. أن صدرى منقبض ، فدعونا نتسل بمسابقة « التشبيهات » ـ ومن مقتضاها ان يقترح احدهم موضوعا ما ، فيتسابق الجميع فى مقارنتـه بشىء يشبهه ، والفائز هو صاحب ابرع وادق تشبيه ! ..

واتجهت زينايدا الى النافذة ، وكانت الشمس تنحدر نحو المغيب ، وقد انتثرت فى الجو رقع من السحاب الاحمر ، فقالت الفتاة : « ماذا تشبه هذه السحب ؟ » وقبل ان يفكر الباقون فى جواب استطردت هى مجيبة : « اعتقد انها تشبه الاشرعة القرمزية التى كانت تسير سفينة « كليوباترة » الذهبية حين ابحرت بها لتقابل حبيبها انطونى .. اتذكر يا ميدانوف يوم رويت لى قصتها ؟ »

واجمعت كلمتنا على أن أحدا منا لم يكن يستطيع ان يهتدى الى تشبيه أروع من هذا ، فمادت زينايدا تتساءل : « وكم كان عمر انطونى اذ ذاك ؟ » .. فقال مالفسكى : « كان شابا بلا شك » وأيده ميدانوف قائلا : « نعم كان فى أوج شبابه » .. وهنا تدخل لوشين مصححا : « كلا أيها السادة ، بل كان قد جاوز الاربعين ! »

« جاوز الاربعين ؟ » رددت زينايدا عبارته فى شرود ..

وبعد قليل انفض الجمع ، فعدت الى بيتى وشفتاى ترددان بلا وعى : « انها عاشقة .. ولـكن لمن ؟ »

ـ ١١ ـ

ومرت الايام .. وازدادت اطوار زينايدا غرابة وشذوذا .. وذات يوم ذهبت للقائها ، فوجدتها جالسة فوق مقعد ومتكئة براسها على منضدة .. فلما أحست بدخولى رفعت وجهها ، واذا هو قد تندى كله بالدموع ، لكنها اغتصبت ابتسامة ، وقالت لى : « اهو أنت ؟ .. تعال » .. فاقتربت منها ، واذ ذاك وضعت يدها على راسى ، وفجاة

جذبت شعرى بشده ، حتى صحت برغمى : « انك تؤلمينني » فقالت شامتة : « آه ، وهل لا يوجد ما يؤلمنى أنا ؟ » .. ثم صاحت نادمة وقد تبينت انها انتزعت فعلا بعض شعرات من راسى : « اواه ، ماذا فعلت بك يا مسيو فولدمار المسكين ؟ » .. ولفت الشعرات على أصابعها بانتظام ثم قالت والدموع تلمع فى عينيها : « سوف أضع هذا التذكار من شعرك فى ايقونة البسها فى رقبتى .. فلعل هذا يعزيك بعض الشيء .. والآن ، وداعا ! »

وتركتنى ، فعدت ادراجى الى البيت .. وهناك وجدت امى تعنف ابى بشدة من اجل شيء لم أعرفه ، بينما ظل هو كعادته هادئا صامتا لا يجيبها بكلمة ، ثم تركها ومضى . وبعد خروجه أنبتنى على زياراتى المتكررة لبيت الاميرة « القديرة على كل شيء » كما وصفتها .. فقبلت يدها كى أنهى الموقف ولذت بغرفتى .. لكنى لبثت عاجزا عن التفكير . كانت دموع زينايدا قد فطرت قلبى ، حتى لقد احسست بميل الى البكاء .. ولم لا أبكى ، الست طفلا ، فى السادسة عشرة ؟ ؟

وذات يوم . . . .

وأنا فى جلستى المعتادة فوق الحائط أو « برج المراقبة » الذى يشرف على حديقة الاميرة ، أحدق فى الفضاء وأنصت الى اجراس الدير القريب ، أنتابنى ذلك الاحساس الغامض بوجود شخص بالقرب منى ، فنظرت الى اسفل . كانت زينايدا فى ثوبها الرمادى البسيط تمرق فى الممر الذى تحتى ، فلما رأتنى توقفت ورفعت طرف القبعة « القش » العريضة التى ترتديها ثم نظرت الى بعينيها المكسوتين بالقطيفة : « ماذا بربك تفعل فى علاك ؟ .. هيا .. انك دائما تصارحنى بحبك ، فاذا كنت صادقا فاقفز من مكانك الى .. » .. وقبل أن يضيع صدى كلماتها كنت أطير فى الهواء اليها ، كأن يدا قوية دفعتنى من الخلف .. وكان ارتفاع الحائط أربعة عشر قدما ، فلم اكد المس الارض بقدمى حتى سقطت عند قدميها فاقد الوعى .. وحين عدت لوعيى ، وقبل أن أفتح عينى ، شعرت بزينايدا منحنية فوقى ، تقول لى بصوت تبين فيه الرقة والانزعاج : « طفلى العزيز ، كيف فعلتها .. كيف اطعتنى .. أنت تعلم كم أحبك .. هيا وانهض »

وكان صدرها لصق صدرى ، ويداها تحتضنان راسى .. وفجاة بدات شفتاها الناعمتان الغضتان تغطيان وجهى بالقبل .. ثم انطبقتا على شفتى .. ولعل الفتاة أدركت فى تلك اللحظة ، من تعبير وجهى ، برغم بقائى مغمض العينين ، انى قد أفقت من اغمائتى .. فنهضت واقفة وهى تقول : « هيا ، انهض أيها الفتى العابث .. لماذا ترقد هكذا فوق التراب ؟ » .. فوقفت على قدمى ، بينما استطردت هى : « لا تنظر الى هكذا .. يا للعبث ، انك لم تصب بسوء .. فامض الى بيتك واغسل وجهك .. واياك أن تتبعنى ، والا غضبت منك و .. »

ولم تتم جملتها ، بل مضت فى طريقها .. فجلست على الرصيف ارقبها ببصر شارد ! ..

— ١٢ —

فى اليوم التالي صحوت مبكرا ، وكان الطقس جميلا منعشا ، فخرجت أرتاض فى ضواحى المدينة ، تسكعت طويلا فوق التلال وخلال الغابات ، ثم اضطجعت فوق الحشائش، وشردت... استعدت فى خيالى حادث الامس ، وكلمات زينايدا التى لا تنسى ، وقبلاتها . لكن اعذب ما جال بخاطرى ان الفتاة لن تستطيع بعد الآن أن تنكر شجاعتي ، بل بطولتي.. وهمست لنفسي : « انها قد تفضل سواى ، لكن سواى يقولون انهم سوف يفعلون من اجلها كذا وكذا ، اما انا فقد فعلت .. وأى شيء اتردد فى ان افعله من أجلها ؟ » .. وجمح خيالى فتصورت نفسى انقذها من يد الاعداء ، وانتزعها بالقوة من السجن ، حتى يسيل دمى ، وأستشهد عند قدميها ..

ثم نهضت على قدمى ، واستأنفت طوافى فى الغابة ، حتى تنبهت الى أن موعد الغداء قد اقترب ، فأردت اختصار المسافة الباقية بالعودة من طريق آخر قصير ، عبر ممر رملى ضيق ، فدلفت اليه .. ولم اكد أسير فيه خطوات حتى طرق سمعى صوت حوافر جياد آتية ورائى ، فتلفت ناحيتها بحركة غير ارادية .. واذا انا ارى جوادين مقبلين جنبا الى جنب ، تبينت فى راكبيهما زينايدا ووالدى.. فاختبأت كى لا يريانى ، وحين مرا بمحاذاتى لحظت على وجه الفتاة شحوبا شديدا ..

وضاعفت من سرعة خطاى ، حتى بلغت البيت وقت الغداء ، فوجدت والدى جالسا بجوار والدتى، وقد ابدل ثيابه وغسل وجهه ، يقرأ لها مقالا فى احدى الصحف بصوته الموسيقى الناعم ، وهى تبدو غير مصغية .. فلما رأتنى سألتنى غاضبة اين قضيت النهار ، وفى صحبة من ؟.. وكنت على وشك أن اجيبها بانى كنت أتنزه وحدى.. لكنى وجدت نفسى انظر الى ابى والزم الصمت.. لست أدرى لماذا !

— ١٣ —

ومضت خمسة ايام أو ستة لم ار فيها زينايدا الا لماما ، فقد كانت مريضة .. وان كان هذا لم يمنع « فرقة المعجبين » من التردد عليها كل يوم للسؤال عنها .. وفى تلك الفترة لحظت أنها بدات تتجنبنى ، وتضيق بوجودى .. ومع أن مسلكها قد سحقنى واشقانى فقد آثرت أن أنفذ رغبتها وابتعد عن طريقها ، مكتفيا بمراقبتها من بعيد ، ورصد الشواهد المتعددة على مبلغ التغير الذى طرأ عليها .. !

وذات صباح التقينا مصادفة فى الحديقة ، فهممت بان ادير لها

ظهري مبتعدا من طريقها ، لكنها اوقفتني ، وقالت : « اعطني ذراعك .. منذ مدة لم نتحدث معا ؟ .. »

واسترقت نظرة اليها . كانت عيناها مليئتين بضباء ناعم ، ووجهها كانما يتبسم من خلال ضباب .. فسألتها : « أما زلت متوعكة الصحة ؟ » فاجابتني وهي تقطف وردة حمراء : « كلا ، لقد انتهى كل ذلك ، ولم اعد أشعر بغير قليل من التعب ، سوف يزول .. » فعدت اسألها : « وحين يزول .. هل تعودين كما كنت في الماضي ؟ » .. فرفعت الوردة الى انفها ، وانعكس ظلها الاحمر على وجنتيها ، ثم قالت : « وهل تغيرت ؟ »

ــ نعم ، تغيرت كثيرا ..

ــ اعلم انى عاملتك أخيرا بشيء من البرود ، ولكن .. لا تفكر فى ذلك ، فانه يحدث بالرغم مني .. دعنا من هذا الموضوع

ــ انك لا تريدين أن أحبك .. هذا هو الواقع

ــ بل احببني ، ولكن بطريقة اخرى

ــ وكيف ؟

ــ لنكن صديقين .. اصغ الي ، انت تعلم انني اكبرك فى السن ، وانني اصلح لأن اكون عمتك .. أو اختك الكبرى على الاقل ، بينما انت ....

ــ انا فى نظرك طفل .. !

ــ نعم ، ولكن طفل عزيز ذكي احبه كثيرا . اتعلم ؟ منذ هذه اللحظة أخلع عليك لقب « فارسي » ولا تنس ان الفارس يلازم فى العادة سيدته ، وهاك عربون ودي وجيلي .. قالتها ورشقت وردتها الحمراء فى عروة سترتي .. فقلت مغمغما : « لقد اوليتني مرة جيلا « اجل » من هذا ! » ..

ــ آه يا للذاكرتك .. على اية حال انا مستبعدة ...

ثم طبعت على جبيني قبلة هادئة .. واستدارت مبتعدة وهي تقول : « اتبعني يا فارسي » .. فتبعتها !

ــ ١٤ ــ

وفى تلك الليلة التأم الجمع فى بيتها كالمعتاد ، وابتكرت هي لعبة السهرة كما جرت العادة ، لكنها لم تكن فى هذه المرة يانصيبا أومسابقة فى التشبيهات ، وانما كان موضوعها ان يقص كل منا أغرب حلم رآه فى منامه .. وكالعادة كان حلمها هو الفائز ، قالت : رأيت قصرا فخما ، فى احدى ليالي الصيف ، يموج بالراقصات والراقصين .. كانت ربة القصر الداعية الى الحفلة ملكة شابة .. وكان القصر يتلألأ بالانوار ، والذهب ، والمرمر ، والبللور ، والحرير ، والماس ، والازهار ، والعطور ، وكل نزوات الترف .. وكان ضيوف الحفلة كلهم من الشبان الانيقين

الشجعان ، وكلهم متيم بالملكة الشابة متدله فى هواها ، ينظم القصائد فى التشبيب بها ويكيل لها عبارات الغزل والاطراء ، فتنصت لغزلهم ، وتصغى للموسيقى ، لكنها لا تعبأ بواحد منهم ، او يحظى باعجابها !..

وكان بالقاعة ست نوافذ عالية تمتد بين الارض والسقف ، مفتوحة كلها على الحديقة المظلمة ، باشجارها الضخمة ، والسماء الصافية بنجومها المضيئة .. فاطلت الملكة منها على نافورة بيضاء فى وسط الحديقة ، يختلط خرير مائها بانغام الموسيقى وضجيج الحاضرين ..

ثم خاطبت مدعويها قائلة : « انتم جميعا ايها السادة نبلاء ، أذكياء أثرياء ، تحفون بى ، وتبدون استعدادكم للموت عند قدمى ، ولكن ما حيلتى فى قلبى .. ان الذى احبه ، ويملكنى فى يمينه ليس بينكم ، انه ينتظرنى فى الخارج ، بجوار النافورة .. وهو لا يملك مالا ولا جاها ، ولا يعرفه أحد ، لكنه ينتظرني ، واثقا من ذهابى للقائه .. وسأذهب لالقاه ، وما من قوة تستطيع أن تحول بيني وبينه حين اريد أن اهرع اليه ، وأبقى معه ، ونضيع معا فى ظلام الحديقة ، تحت همس الاشجار ، وفى ظلال النافورة .. ! »

وفرغت زينايدا من سرد حلمها العجيب ، فتناوله الاصدقاء بالتعليق والتفنيد حتى انقضت السهرة فتفرقنا كل الى بيته ، وقد انتصف الليل ..

لكنى عبثا حاولت أن أنام فى تلك الليلة . ظللت اتقلب على سعير ، من جنب الى جنب ، ومن خد الى خد ، أقلب قصة زينايدا على شتى وجوهها ، محاولا استخلاص مغزاها ، وأنا أهمس لنفسى : « ترى من هو ، رجل النافورة ؟.. وأى ثمن لا ادفعه كي اكون ذلك المحظوظ ؟ »

واشتعل دمى فى عروقى وقلبى ، فجعلت اهذى : « الحديقة .. النافورة .. سأخرج الى الحديقة .. »

وخرجت فعلا .. ارتديت ثيابى على عجل وانسللت من البيت . كان الليل حالكا ، والهواء ساكنا ، فمضيت أذرع ممرات الحديقة على غير هدى ، ووقع قدمى يتبعنى ويخيفنى .. ثم وقفت ، وأصخت السمع ، وانتظرت .. فلم أسمع غير دقات قلبى السريعة العالية ..

وفجأة خيل لى انى أرى شبح امرأة ، فمددت عينى فى الظلام وحبست انفاسى .. ماذا ، هل أسمع صدى خطوات ، أم نبضات ؟ .. أضحكة مكتومة ، أم حفيف أوراق الشجر ، أم آهة قلب مكلوم ؟.. واحسست بالخوف والرعب ، فناديت بصوت لم أسمعه أنا : « من هناك ؟ » ..

وهبت نسمة هواء ، وهوت نجمة من السماء ، فأردت أن أصرخ « زينايدا ! » لكن الصيحة ماتت على شفتى .. وعاد الصمت والسكون يلفان الكون ، حتى الضفادع كفت عن نقيقها .. !

وأخيراً عدت يائسا الى غرفتى ، وفراشى البارد ، لاستأنف عراكى مع نفسى من جديد ! ..

واستيقظت فى اليوم التالى والكابوس ما يزال يملأ راسي.. فخرجت امشي فى الحدائق ، وصادفت الكونت مالفسكي .. يا للئيم ! لم يكد يرانى حتى قال بخبثه المعهود وسخريته : « اهكذا يترك الفارس مليكته تغيب عن بصره ورقابته .. انك مهمل يا صاح ، والا لما قصرت فى حراسة مولاتك ، نهارا او .. ليلا ! »

ــ ماذا تعني ؟

ــ انسيت الحديقة ، والليل ، والرجل عند النافورة ؟..

ثم ضحك وادار ظهره لى .. بعد ان نفذت كلماته الى قلبى كالسم حين يسرى فى العروق ، فاندفع الدم الى راسى وهمست لنفسى : « اذا كان الأمر كذلك.. فويل لمن يقع فى يدى ، سوف اثبت للجميع ، وللخائنة ، انى استطيع ان انتقم لنفسى ! »

وهرعت الى غرفتى ، فأخرجت من احد الادراج سكينا حادة كنت قد اشتريتها حديثا ، وتحسست حدها .. ثم دسستها فى جيبى وقد شعرت بقلبى ينتفض غضبا ويرزح تحت ثقل كالحجر! .. وطوال اليوم جعلت اروح واجيء فى البيت ، وأنا اتحسس بيدى السكين التى فى جيبى ، كمن يتهيأ لحدث رهيب ..

وشغلتنى هذه المشاعر والانفعالات عن كل ما عداها ، حتى عن التفكير فى زينايدا نفسها .. ولحظت امي انشغالي ومظهر« البطولة » الذى اتقمصه ، فقالت لى ونحن على مائدة العشاء : « ما لك تبدو مهموما شاردا ؟ » فاجبتها بابتسامة غامضة وأنا اقول لنفسى : « آه لو يعلمون ! » .. ودقت الساعة الحادية عشرة ، فمضيت الى غرفتى ، لكنى لم اخلع ثيابى ، وانما لبثت انتظر منتصف الليل بصبر نافد .. واخيرا دقت الساعة مرة اخرى فتحركت يدى فى حماس : « لقد حانت الساعة ! » وهبطت الى الحديقة ..

وكنت قد اخترت اثناء النهار مكان المراقبة الذى اكمن عنده ، وكانت شجرة صنوبر كثيفة بجوار السور ، فاتجهت اليها واسندت ظهرى الى جذعها ، وانتظرت ! .. كانت الليلة ساكنة كسابقتها ، بل اكثر منها صفاء .. وكانت الدقائق الاولى من فترة الانتظار مملة مرهقة ، فجعلت اتخيل فيها ما سوف افعله واقوله لغريمى : هل اصيح به : « قف ، الى اين انت ذاهب ؟ .. سلم نفسك او اقتلك » ام اغمد السكين فى صدره دون انذار ؟ .. وبدت لى كل حركة بين الاغصان ، وكل صوت ، غير مالوف .. لكن ساعة انقضت بلا جديد ، فبدا دمى يهدأ ويبرد ، وبدأت اشعر بحماقتى ، وبأن مالفسكي انما هزأ منى .. فتركت مكمنى ورحت أجول فى الحديقة . كان السكون شاملا ، وكل الكائنات قد هجعت .. حتى كلبنا قد اخلد للنعاس ، فتسلقت أطلال الحائط المهدم وسرحت الطرف فى الفضاء العريض

الذى امامى ، وتذكرت لقائى مع زينايدا .. فاستغرقتنى الاحلام !
وفجأة خيل الى انى سمعت صوتا غير عادى ، صوت باب يفتح ثم يغلق ، ثم خطوات خفيفة متلصصة تقترب ، فقفزت من مكانى وقد عاودنى نشاطى ، وكمنت فى ظل الحائط .. «ها هو ذا يظهر .. اخيرا» واستللت السكين من جيبى ، وفتحتها .. ورقص لون الدم امام عينى ، وانتفض شعر راسى خوفا وغضبا .. والخطوات مقبلة نحوى .. فتحفزت للانقضاض على غريمى ، ومر الرجل بمحاذاتى .. !
يا الهى ... انه ابى ! ! !
وفى طرفة عين تحول « عطيل » الغيور ، المتاهب للقتل .. الى تلميذ مدرسة ، خائف خجول ! .. والهتنى حدة المفاجاة عن تتبعه ببصرى ، وسقطت السكين من يدى على الحشائش ، فلم اعبأ حتى بالبحث عنها ، من فرط خجلى من نفسى !
وفيما أنا عائد الى البيت عرجت على مقعدى المختار بالحديقة ، ورفعت بصرى الى نافذة زينايدا . كانت مفتوحة ، والغرفة مظلمة الا من النور الازرق القاتم المنعكس عليها من عتمة الليل ، وعلى حين بغتة أسدلت على النافذة المفتوحة ستارة بيضاء ، حجبت داخلها عن الانظار .. !
« ولكن لماذا .. وما معنى هذا ؟ » اخذت أسائل نفسى حين تمددت على فراشى « اهو حلم ، أم وهم ، ام حقيقة .. ؟ » .. وكانت الفروض التى صعدت مع الدم الى راسى ردا على تساؤلى ، غريبة جديدة على ، بحيث لم أجرؤ على مجرد التفكير فيها ! ..

— ١٦ —

وصحوت فى الصباح بصداع شديد فى راسى .. وكانت انفعالات اليوم السابق قد تبخرت ، وحل محلها شعور بالانقباض والكآبة لم اعهده من قبل ، وكان شيئا فى قد مات نهائيا ! .. وعلى مائدة الافطار استرقت نظرة الى ابى ، كان هادئا كعادته .. لكنه لم يتبسط فى الحديث معى ، بل نسى أن يلقى الى تحية الصباح !
وبعد قليل ذهبت للقاء زينايدا ، وفى عزمى أن أصارحها بما رايت .. لكنى جبنت .. وفى المساء ، بينما كنت منفردا بنفسى فى ركن من الحديقة ، جاءت تبحث عنى ، وسالتنى عن سبب كآبتى ، فانهمرت دموعى فجأة بغزارة ازعجتها ، فالحت على : « ماذا بك يا عزيزى « فولوديا » — وكانت تلك اول مرة تدللنى فيها بهذا الاسم ! — ماذا بك .. أجب ! » لكنى لم اجب ، ولم اكف عن البكاء ، فهمت أن تقبلنى فى وجنتى المبللة ، لولا أن اشحت بوجهى عنها وانا اقول بصوت متقطع خلال نشيجى : « انى اعرف كل شىء ، فلماذا تعبثين بى ؟ »
« أنا الملومة حقا .. كم فى من بذور الشر والخطيئة ! .. لكنى

لست ألهو بك الآن ، وانما أنا احبك حقا ، لسبب لايخطر على بالك .. ولكن خبرني أولا ، ماذا عرفت ؟ »

ماذا كنت أستطيع أن أقوله لها ؟ .. وقفت فى مواجهتى ونظرت الى ، وللحال صرت ملك يمينهـا من راسى الى قدمى ! .. وبعد ربع ساعة كنت ألعب معها لعبة « الاستغماية » وأنا أصيح متهللا كلما افلحت فى اقتناصها من خصرها ، وكانت دموعى تتساقط بين حين وآخر ، ولكن فرحا !

ـ ١٧ ـ

قد أجد صعوبة لو حاولت وصف مشاعرى خلال الاسبوع التالى لذلك .. فقد قضيته فريسة لنوع من الحمى النفسـية ، اختلطت فيها كافة ألوان الاحاسيس العنيفة المتناقضة ، والافكار، والشكوك ، والآمال ، والآلام .. فعشت ايامى كالمحكوم عليه بالاعدام الذى يريد أن يظفر من الدنيا بأقصى ما فيها ، هاربا من ذكرياته ، متجاهلا ماضيه وآتيـه ، مستغرقا فى حاضره فقط ! .. حتى عدت الى البيت يوما قبيل الغداء ، فقيل لى ان أبى قد خرج بغير أن يتناول طعاما وان أمى معتكفة فى غرفتها لا تريد أن تأكل شيئا .. وتبينت على وجوه الخدم تجهما غير عادى ، فسألت أصغرهم ، وكان يحبنى بصفة خاصة ، عما حدث .. فقص على أن امى قد اشتبكت مع أبى فى نقاش حاد ، اتهمته فيه بخيانتها والوقوع فى هوى الأميرة الشابة ، فدفع التهمة عن نفسه طويلا حتى فقد اتزانه اخيرا فأهانها بكلمة جارحة عرض فيها بكبر سنها .. فأجهشت أمى فى البكاء .. ثم أضاف الخادم ان سبب الفضيحة كلها خطاب بغير توقيع أعلمته الزوجة من مجهول !

قابلت النبأ بوجوم ، ثم صرفت الخادم وأويت الى فراشى . لم أبك أو أستسلم لليأس ، أو أسأل كيف ومتى حدث ذلك ، وكيف لم أستنتجه من قبل .. بل لم ألم أبى فى قلبى.. فقد كانت « الفاجعة » بالنسبة لى أفدح من أن يجدى فيها شىء من ذلك .. كان معناها النهاية !

وفى اليوم التالى اعلنت أمى عزمها على العودة الى المدينة ، وبعد ان اختلى بها أبى فترة فى غرفتها بدأت تعد معدات السفر فى هدوء ، وادركت انهما قد اتفقا على عدم اثارة فضيحة علنيـة . وفى المساء حضرت مشهدا غريبا ، رأيت أبى يقتاد الكونت مالفسكى من ذراعه فى الردهة ثم يقول له ، امام كبير الخدم ، ببرود مثير : « منذ بضعة أيام أريتك طريق الباب ، واليوم أرانى مضطرا لأن أنذرك بأنك لو طرقت بابى مرة أخرى فسوف أقذف بك من النـافذة .. فلست أحب الخط الذى تكتب به خطاباتك ! »

اذن فهو الذى أرسل الى أمى ذلك الخطاب الذى بغير توقيع ؟ !

وتقاذفتنى الخواطر: كيف عرضت الاميرة الشابة سمعتها ومستقبلها للضياع ، وماذا كانت تأمل وهى تعلم أن أبى متزوج وليس حرا ؟ .. لكنه الحب ، والتفانى ، والتكريس !

واستقر رايي على وجوب زيارة زينايدا ، لتوديعها قبل سفرنا .. فانتهزت فرصة مناسبة وقصدت الى بيتها .. واستقبلتنى أمها استقبالا فهمت منه انها لم تقف على فضيحة ابنتها ، ثم دخلت زينايدا الغرفة شاحبة الوجه ، ترتدى ثوبا اسود ، وقد ارسلت شعرها على كتفيها فى اهمال .. وبغير ان تنطق بكلمة قادتنى من يدى الى غرفتها وهناك قالت لى : « لقد سمعت صوتك فسعيت اليك .. اهكذا سهل عليك أن تتركنا يا شقى .. ؟ »

ــ لقد جئت لأودعك يا سمو الاميرة ، وربما الى الابد !

ــ اشكرك .. لكنى أرجو الا تسيء الظن بى فى قلبك .. ربما اكون قد عذبتك أحيانا ، ولكن ثق بأنى لست الفتاة المستهترة التي تتصورها !

ــ صدقيني يا زينايدا انك مهما فعلت بى ، فلسوف اظل مقيما على حبك حتى آخر أيامى .. !

فاستدارت الي بحركة سريعة ، فاتحة ذراعيها .. ومنحتنى قبلة عاطفية ملتهبة ، الله يعلم من قصدت بها ، لكنى على أية حال تذوقت عذوبتها كاملة ، عالما أنها الاولى والاخيرة ، وانها لن تتكرر قط ! .. ثم انتزعت نفسها مني وخرجت لا تلوى على شيء .. وخرجت أنا الى بيتى نهبا لانفعال لا يمكننى وصفه ، ولا اتمنى ان يعاودنى ، ولو انى كنت أكون سيء الحظ لو لم أجربه قط فى حياتى

ثم عدنا الى موسكو ، فبدأ جرحى يلتئم فى بطء شديد .. فاننى لم استطع أن انفض عنى غبار الماضى واعود الى دراستى الا بعد مجهود عنيف . أما شعورى نحو والدى فلم يسؤ عن ذى قبل ، أو يطرأ عليه اى تحامل او حقد ولوم ، بل انه على العكس صار ادنى الى قلبى واحب الى نفسى ! .. وليفسر علماء النفس هذه الظاهرة كما يحلو لهم !

ــ ١٨ ــ

وكان والدى قد اعتاد بعد عودته الى العاصمة أن يرتاض على ظهر جواده كل يوم .. وذات صباح طلبت منه ان يسمح لى بمصاحبته على جوادى ، فتردد لحظة ثم قبل .. وخرجنا معا الى ضاحية المدينة ، وحين بلغنا منعطف الطريق المحاذى للنهر ، ترجل عن جواده وطلب منى أن انتظره فى تلك البقعة حتى يعود .. ثم سار على قدميه فى ذلك المنعطف ، حتى اختفى عن ناظرى .. !

لكن ساعة مرت وهو لم يعد ، وكان قد بدأ يتصاعد من النهر ضباب كثيف .. ثم هطل المطر ، وظل يتزايد ويشتد .. ففقد صبرى ، ولم أر ما يمنع من أن أسير بالجوادين فى الاتجاه الذى انعطف اليه والدى ،

فمضيت فى الشارع القصير حتى آخره ، ثم وقفت حائرا .. وفيما انا أستدير راجعا حانت مني نظرة الى نافذة مفتوحة فى أحد البيوت الخشبية القائمة قبالتى ، فرايت ابى متكئا على حافة النافذة وظهره الى الطريق ، يتحدث الى امراة فى ثوب قاتم جالسة داخل الغرفة . تكاد تحجبها عن الانظار ستارة بيضاء .. ولم تكن المراة سوى زينابدا !

وكانت المفاجاة اعنف من ان تحتملها اعصابى ، فخطر لى فى البداية ان اعود ادراجى مسرعا ، خشية ان يستدير ابى فيرانى .. لكن شعورا غريبا ، اقوى من الفضول ، واقوى من الغيرة ؛ بل اقوى من الخوف ، سمر قدمي حيث كنت ! .. فوجدتني ارقب ما يجرى واشحذ اذنى كى اسمع ما يدور بين الحبيبين ، ولكن بلا جدوى .. كل ما استطعت استنتاجه من حركاتهما ان والدى كان يصر على شيء ما ، وزينابدا تأبى اجابته الى طلبه .. وكان وجهها الجميل حزينا يحمل فى آن واحد سمات الهوى والاسى والياس .. ثم رايت ابى يهز كتفيه ويعدل وضع القبعة على راسه ، الحركة التى كانت عنده علامة نفاد صبره ، وسمعت من كلامه هذه العبارة المبتورة : « يجب ان تقطعى كل صلة لك بـ .... » .. ولم يكد ينهي عبارته حتى فعل ما لم يكن يخطر ببالي أن يفعله .. رفع السوط الذى فى يده فجاة وهوى به على ذراع الفتاة العارية حتى مرفقها ! .. ولا ادرى كيف استطعت ان اضبط اعصابى فلم تصدر منى صيحة انزعاج مفاجئة ! .. اما الفتاة فقد ارتجفت رجفة شديدة ورمقت ابى بنظرة صامتة ، ثم رفعت ذراعها ببطء الى شفتيها فقبلت البقعة الحمراء التى خلفها السوط على جلدها .. بينما كان ابى يلقى بالسوط بعيدا فى انفعال ويندفع خارجا لا يلوى على شيء ، والفتاة تتبعه الى الباب !

سقط قلبى رعبا وهلعا ، وتدبرت موقفى على عجل فرايت أن اعود مسرعا الى حيث تركنى ابى ، وهكذا اطلقت للجوادين ولنفسي العنان فعدونا باقصى سرعة حتى بلغت مكاني الاول وانا ألهث ، قبل أن يخرج أبى الى الطريق .. وهناك وقفت أنتظره كالذاهل . كنت اعلم ان اتزانه وبرود أعصابه يخذلانه أحيانا ويسلمانه للغضب والتهور ، لكنى عجزت عن اقناع نفسي بأن ما رأيته قد وقع فعلا .. بل شعرت انى ، مهما طالت حياتى ، لن انسى يوما هيئة الفتاة ونظرتها وابتسامتها ، وهى تتلقى جلدة السوط ، فقد حفرت صورتها تلك فى ذاكرتي الى الابد .. فجعلت احدق فى مياه النهر بنظر زائغ من غير ان اتنبه الى ان دموعى اخذت تسيل من عيني .. فان ادراكى كله كان قد تركز فى فكرة واحدة « انها جلدت بالسوط أمام عيني .. ! »

وافقت من شرودى اخيرا على صوت أبى يخاطبنى : « هل ضايقك الانتظار ؟ » .. فأجبته وأنا أقمع انفعالى : « قليلا .. ولكن أين اضعت سوطك ؟ » .. فرمقنى بنظرة خاطفة وقال : « لم اضعه ،

بل رميته عامدا ! » ثم استغرق فى التفكير، ونكس راسه .. وعندئذ ، وللمرة الاولى والاخيرة على ما اذكر ، رايت مدى الرقة والشفقة اللتين تستطيع قسمات وجهه الجامدة أن تعبر عنهما .. وفجأة ركل جواده بهمازيه وانطلق به يسابق الريح فى اتجاه بيتنا ، فبلغه قبلى بنحو ربع ساعة

وفى المساء ، حين جلست الى منضدة كتبى ، جعلت اهمس لنفسى كالذاهل : « هذا هو الحب .. هذه هى العاطفة الحقة ، والا فكيف يستطيع المرء أن يتحمل ضربة سوط من يد كائن من كان ، بل من يد أعز انسان ، ان لم يكن ... يحبه ؟ ! » وللفور بدا لى غرامى بالفتاة كشىء صبيانى تافه يدعو الى الرثاء ، الى جانب هذه العاطفة الاخرى العنيفة العارمة !

— ١٩ —

وبعد شهرين التحقت بالجامعة .. ولم تكد تنقضى ستة اشهرحتى مات ابى بالسكتة القلبية فى « بطرسبرج » حيث كنا قد انتقلنا منذ اسابيع .. وكان قد استلم قبيل وفاته بأيام خطابا من موسكو اثار غضبه وانفعاله ، وعلى أثر ذلك رأيته يتوجه الى غرفة امى فيطلب منها طلبا لم اقف على تفصيله .. وسمعت انه ذرف أمامها دمعا غزيرا ، برغم انه كان بالدمع ضنينا ! .. وفى صبيحة يوم وفاته الفجائية بدأ يكتب خطابا لى بالفرنسية جاء فيه : « يا بنى احذر حب المرأة ، احذر ذلك السم فى الدسم ! » .. وبعد موته بأيام ارسلت امى مبلغا كبيرا من المال الى موسكو !

— ٢٠ —

ومضت اربعة أعوام ، وتخرجت فى الجامعة .. فقضيت زمنا حائرا لا ادرى اية وجهة فى الحياة اتخذ واى باب اطرق .. وذات مساء قابلت الشاعر « ميدانوف » مصادفة فى احد المسارح ، فعلمت منه انه قد تزوج ، لكنى لم الحظ عليه تغيرا يذكر ! .. وفيما نحن نتحدث قال لى ضمن ما قال : « اتعلم ان مدام « دولسكى » هنا الآن ؟ »

فقلت متسائلا : « ومن تكون مدام دولسكى ؟ »

— أو يمكن أن تكون قد نسيتها ؟ .. تلك الاميرة الشابة التى وقعنا جميعا فى حبها ، بما فينا انت ، يوم كانت تقيم فى المنزل الصغير المجاور لحدائق « نسكتشنى » ؟

— وهل تزوجت شخصا يدعى دولسكى ؟

— نعم ..

— وهل هى هنا فى المسرح ؟

ـ كلا ، بل اقصد انها فى بطرسبرج . لقد قدمت منذ ايام وهى توشك أن تسافر فى رحلة طويلة ..

ـ ومن يكون زوجها ؟

ـ انه شاب رائع ، وثرى ، كان زميلا لى فى موسكو .. اقليس غريبا أن تفوز به بعد فضيحتها الكبرى .. التى تذكرها جيدا ولا شك ؟ .. لكن براعتها وذكاءها يكتسحان جميع العقبات ! .. وبهذه المناسبة ، لم لا تذهب لتزورها ؟ انها سوف تسر كثيرا برؤيتك ..

واعطانى ميداتوف عنوان زينايدا ، وكانت تقيم فى فندق « ديمو » فثارت ذكرياتى القديمة فى اعماقى ، واعتزمت زيارتها فى اليوم التالى ، لكن عملا طارئا شغلنى .. وهكذا انقضى أسبوع ، ثم آخر ، وحين توجهت أخيرا الى فندق « ديمو » أسال عن مدام دولسكى علمت ـ ويا للصدمة التى أصابتنى ! ـ انها قد ماتت فجاة منذ اربعة ايام وهى تضع مولودها الاول !

وشعرت بخنجر يطعن قلبى .. وتولانى ندم فظيع وانا أفكر فى اننى كنت استطيع أن اراها ، لولا تقصيرى ، واننى لن اراها قط بعد ذلك ! .. فجعلت اكرر لنفسى وانا احدق فى حارس الفندق بغباء : « لقد ماتت ! .. ماتت .. » .. ثم تنبهت لنفسى فقفلت راجعا الى الطريق ، ومضيت فيه ذاهلا لا اعلم الى أين انا ذاهب .. كان ماضى كله قد استيقظ فجاة وطفا سابحا امام عينى .. اذن فهذه هى النهاية ؟ نهاية تلك الحياة الغضة اللامعة الفوارة بالحرارة والحيوية ؟.. وتراءت لى قسمات وجهها الحبيب ، وعيناها الساحرتان ، وخصلات الشعر ، والوجنتان .. راقدة فى ذلك الصندوق الضيق ، فى قلب الارض الرطبة المظلمة .. غير بعيد منى ، وربما على بعد أمتار من ابى .. بينما انا لا ازال حيا ، انا وحدى .. آواه ، ماذا بقى لى ، ما املى فى الغد ، اى مستقبل يتراءى فى خيالى ، بعد أن غاض شبح حبى الاول ، كزفرة حارة تضيع فى الهواء .. ذاب كما يذوب الشمع فى الشمس ، كما يذوب الجليد ! ..

والآن ، وظلال الليل تزحف على خريف حياتى ، اى شىء أعز على خيالى واغلى من ذكريات ذلك الاعصار الجامح الذى عصف بقلبى فى فجر شبابى .. ؟!

حلمى مراد



بين الهلال وقرائه

بالعكس

س ـ مخي مقلوب . افتح الكتاب العربي من الشمال ، والافرنجي من اليمين . وابدأ اقرأ الصفحة من اسفلها ، حتى اتنبه . واذكر من الاحداث التافه ، انسى المهم . ومما ينغص على حياتي اني اذا ترددت بين امرين ، اخترت الخطأ . فما السبيل الى عدل هذا المخ ؟

م . ل . ك (جامعي)

ج ـ بالله عليك لا تحاول عدله ، ففيه مزايا آسف لأنك لاتقدرها . فانت تذكر انك تنسى المهم . وهل ارزاء الدنيا وهمها الاسبب تذكر هذا المهم الذى تنساه . داوم على النسيان ، ففي النسيان السعادة . وانت تذكر انك دائما تختار الخطأ . وهي ميزة نادرة في العقول . فما عليك بعد ان تختار الا ان تغير رأيك ، واذن سيكون الرأى الذى تتحول اليه لاشك هو الصواب . اما انك تقرأ الكتب بالمقلوب ، ففيه احتمال انك عندئذ قد تجد فيها اعتدالا . فاكثر الكتب التي اقرأها ، اقرأها اعتدالا ، فاحس اني اقرأ شيئا بالمقلوب

لا . لا . لا بأس عليك ، ولا بأس بعقلك

الفواق

س ـ كيف يأتي الفواق « الزغطة » وما علاجه ؟

قارىء . بالقاهرة

ج ـ لقد حلا لي ، قبل ان انظر كيف تأتي الزغطة طبيا ، ان انظر كيف اتت لغة . وبعد الرجوع الى الاصول اللغوية تراءى لي ان لعلها الزغدة ، ومن قرأ مادة زغد في القواميس لم يجد في الذى اقول ظنا بعيدا

وعلى كل حال فكلمة اللغة السيارة هي الفواق ، من فاق الرجل فواقا ، شخصت الريح من صدره

ثم الى الطب . فاعلم ان التنفس شهيق ثم زفير ، وان اداتهما في الجسم الحجاب الحاجز ، وهو عضلة منبسطة كالمنديل ، تفصل الصدر عن البطن ، وفوقها الرئة والقلب ، وتحتها المعدة وسائر الاحشاء . وهذا الحجاب الحاجز مقوس الى اعلى . وهو ينقبض فيزيد الصدر سعة ، فيكون الشهيق . وهو يرتخى فيضيق بارتخائه الصدر ، ويكون الزفير . والذى يتحكم في قبض هذا الحجاب الحاجز وارخائه ، عصب يصل بينه وبين النخاع الشوكى عند الرقبة . وهذا

العصب يعمل بطبعه ، فى انتظام وبدون ارادة ، فيكون تنفس الانسان المنتظم المعروف . ولكن يحدث أن يصيب هذا العصب اهتياج بسبب ما ، يكون منه اثارة العصب الى العمل الباغت، فيكون من ذلك انقباض الحجاب الحاجز بغتة وبقوة ، وتكون زفرة غير منتظرة ، تخرج من الحلق فى شىء من العنف فيكون منها الصوت المألوف . ونسمى هذه الظاهرة بالفواق

ولاهتياج هذا العصب أسباب عدة ، بعضها هين لا خوف منه ، وبعضها خطير مخوف

ومن أسباب الفواق الهينة ، سوء الهضم ، وأكل مواد صلبة أو شرب سوائل تهيج الاغشية. ومن أسبابه انتفاخ المعدة بغازات يحدث عنها ضغط ، ويكثر هذا فى الاطفال الرضع . ومن أسبابه غير الهينة ، ما قد يصيب الجسم من بعد جراحة تكون فى المعدة أو فى الحويصلة الصفراء او فى البرستاتة ، لا سيما فى الكهول من الرجال والشيوخ. وقد يكون الفواق علامة على ورم فى المخ ، يؤثر فى تلك المنطقة منه التى تتصل بانقباض الحجاب الحاجز وارتخائه

وأغلب الفواق قصير المدى ، وهو لا يلبث أن يزول . فاذا هو استمر طويلا والح الحاحا يوم على الايام ، وجبت استشارة الطبيب

وعلاج الفواق العادى ، الذى يكون سببه سوء الهضم ، يتأدى بعلاج سوء الهضم ذاته وازالة الاهتياج الناشىء عنه . وقد تفى بذلك شربة كبيرة من ماء بارد ، أو ماء به نعناع أو فنجان من القرفة. وعلاجه فى الطفل الرضيع أن يحمل من كتفيه ، ويضرب ظهره ضربا خفيفا يبعث ما اجتمع فى معدته من غازات الى فمه ، فيزول الفواق . اما علاج الفواق المزمن ، فيكون بتدارك أسبابه عند الاطباء

كراهة الرجال ..

س ـ أنا فتاة فى الثامنة عشرة واشعر بالوحدة فى وسط المنتديات الادبية والحفلات العامة وانا دائما فى بهجة بين صديقاتى ، وهن مسرورات بوجودى ، ولكنى دائما اشعر بأني محتاجة الى شخص (طبعا صديقة) ابثه ولو قليلا من همومى

قارئة . لبنان

ج ـ فيلسوفتى الصغيرة وددت لو استطعت نشر كل خطابك ، ولكنه طويل جدا ، وفيه من عاطفة قلب ناشىء شىء كثير اضن به على ان ينال النور . لقد ضربت فى كتابك عدة من أمثال ، امثلها عندى قولك « قل نصف ما تعتقد ، وصدق نصف ما تسمع » . وانى أخشى أن تكونى قد طبقت هذا المثل معى ، فقلت لى نصف ما تعتقدين . وأنا من ناحيتى ساطبق النصف الآخر من المثل معك ، فساصدق نصف ما سمعت

اسمعى يا ليلى ، انك تحبين

وأنت تحبين شابا بذاته ، أو شابا مبهما يوشك أن يكون . ان سنك سن الحب ، ولن يغنيك هربك من الرجال شيئا . انك لا تثقين بالرجال ، والرجال لا يثق بهم النساء على قارعة الطريق وفي المحافل العامة ، ولكن في الجو البريء ، بين الاهل والصحاب . لا داعي للاجفال والريبة .. ولا داعي « للبرود » الذي يصفك به صديقاتك

ان فتاة مثلك جديرة بأن تملك امر نفسها على ثقة ، وما كراهة الرجال التي تجدينها الا نذيرا بالرغبة في واحد من بينهم هو « الصديقة » التي تشعرين بانك في حاجة اليها لتبثيها قليلا من همومك

لا تفعلي ما فعلت اختك الكبرى ، واقتربي من فتى أو أكثر من فتى ممن طلبوا يدك في زواج ، واسقطي شيئا من الكلفة بينك وبينه ليكشف هو بدوره عن نفسه . فاذا تمازجت النفسان على طهر ، فاستخيري الله فيه واقبليه زوجا ، ولا ترددي

ولاتحاولي أن تختبريه بتجربة مبادىء علم النفس التي تعلمتها فيه . فذاك اختبار عسير اخشى أن يسقط فيه كل من تمتحنين . واخشى أن يكون في الاسئلة نفسها خطأ ، كما يحدث احيانا في اسئلة الرياضة ، فيلام الطالب بغير حق

امتحني الرجل ، بجمله ، بمجمل قلبك ، تجدي القلب خير دليل

الطريقة المثلى ..

س ـ بماذا تنصحون من يرغب في الاقلاع عن عادة التدخين ؟

ج . الصابري
الديوانية . العراق

ج ـ ننصحه بالا يدخن

نعم .. ننصحه بذلك ما دام ان هناك رغبة ، من ورائها عزم . اعرف رجلا اراد أن يقلع عن هذه العادة ، فدعا نفرا من اخوانه ، لا على طعام ، ولا على شاي ، ولا على حفلة كوكتيل كما يفعل الدبلوماسيون وغير الدبلوماسيين اليوم ، ولكن دعاهم الى حفلة تدخين . وقدم لاصحابه أحسن السجاير والسيجار . وشرب معهم حتى امتلات رئتاه ، ثم اعلن فيهم أن هذه خاتمة المطاف

ومن يومها لم يحمل سيجارة ، ولم يرض أن تدخل بيته سيجارة ، ولم يأذن لاحد في الستة الاشهر الاولى أن يدخن في حضرته سيجارة ، وبهذا الصيام القاطع المانع استطاع أن يقتلع هذه العادة المتاصلة ، وأصبح اليوم لا يبالي أن يجتمع بعشرة يكون هو الوحيد الذي لا يدخن بينهم

هذه في رأيي هي الطريقة المثلى . وأنا احكي عن تجربة

ومن الناس من يخدع نفسه فيقول ادخن واحدة فقط قبل كذا . واخرى فقط بعد كذا . وهذا نوع من الخداع النفسي لرجل غير جاد . خداع لرجل لايؤمن بنفسه ، ولايثق بقدرته ، ولا يلبث أن ينزلق منه الى سابق عادته